



المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

مجلة
كلية التربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود
الاسلامية

مجلة

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
متخصصة بالدراسات القرآنية * تصدر مرة كل عام

١٤٠٣ / ١٤٠٢ هـ

العدد الأول

هيئة التحرير

الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارىء عميد الكلية
الدكتور عبد الفتاح عبد الغنى القاضى رئيس قسم القراءات
الشيخ أبوبكر الجزائرى رئيس قسم التفسير

جميع المكاتبات ترسل إلى : كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - عميد الكلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

- الافتتاحية
- ٩ لمعالى الدكتور عبد الله الصالح العبيد
- ١٣ القسم الأول (البحوث والدراسات) :
— حول القراءات الشاذة وحرمة القراءة بها
- ١٥ للشـيخ عبد الفتاح عبد الغنى القاضى
— حديث الأحرف السبعة، دراسة لإسناده ومـتـنـه وآراء العلماء
في معناه وصلته بالقراءات القرآنية
- ٢٧ للدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارىء
— منطلق الفكر الإسلامى فى القرآن الكريم
- ١٤٥ للشـيخ أبى بكر جابر الجزائرى
— ترجمة القرآن الكريم بين واقعنا المعاش ومستقبلنا المنشود
- ١٦٣ للدكتور عبد العزيز محمد عثمان
— حول بعض القراءات القرآنية
- ٢٠٧ للشـيخ محمود سيبويه البدوى
— برهان الدين البقاعى وكتابه نظم الدرر
- ٢٦١ للدكتور محمد بحيرى إبراهيم
- ٢٩٥ القسم الثانى (التراجم والشخصيات) :
— العلامة الشيخ عبد الفتاح القاضى وأثره فى الدراسات القرآنية
- ٢٩٧ للدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارىء

٣٢١

القسم الثالث (المصاحف العثمانية) :

— المصحف الكوفي ، كتابة الخطاط الشيخ محمد المرسى ،

٣٢٣

إعداد وإشراف قسم القراءات بالكلية

القسم الرابع :

— كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية (نبذة عن تاريخها ،

٣٦٣

وبيان مناهجها ومنجزاتها)

الافتتاحية

لمعالى الدكتور عبد الله الصالح العبيد
رئيس الجامعة

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً.. وصلى الله وسلم على أفضل خلقه أرسله هادياً ومبشراً ونذيراً.. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وعلى آله وأصحابه الذين آزره ونصروه، ورضى الله عنهم بإحسان وعمن تعلم كتاب الله وعلمه وساهم فى نشره وخدمته إلى يوم الدين. أما بعد :

فإن كتاب الله هو أعظم الكتب وأشرفها وأجلها وأعظمها.. نزل به الروح الأمين على أفضل الخلق أجمعين ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط مستقيم.. وهو الكتاب الذى تكفل الخالق جل ذكره بحفظه، فحفظ فى الصدور وفى السطور حفظاً ما كان لكتاب من قبله وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

لقد مر على المسلمين عصور من الازدهار والانحطاط ، ارتفعوا فسادوا وحكموا الدنيا، وتدنا فخذلوا وحكموا من أعدائهم فأصابهم فى الأولى نهاية القوي وفى الثانية وهن الضعيف .

انتهت دول وأفراد ولكن كتاب الله ظل باقياً بالحفظ عن ظهر قلب ، وبالنقل السامع المستمر، وبالمصاحف المتداولة، لم يتعرض خلالها لنقص أو زيادة، بل إن علومه قد ازدهرت وتكاثرت، كما تميزت بالدقة والإتقان من بين سائر العلوم .

وقد حفظ الله لأمة الإسلام - بهذا القرآن - عقيدتها وشريعته ولغتها ، فكان هذا القرآن المصدر الأول لكل مجدد ، والمرجع الأساسى لكل فقيه ، وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وقد أعطى الله سبحانه رسله عليهم السلام من الآيات ما يمكن به لرسالاتهم ويبطل به عمل المفسدين الذين يناوئونهم ويعارضون دعوتهم ، فكانت الآيات للرسل من قبل نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام آيات وقتية لمواجهة الواقع الذى كان يعيشه ذلك الرسول مع قومه الذين يعيش بين ظهرانينهم وقد انتهت تلك المعجزات بانتهاء الغرض منها، وقد أوتى نبينا محمد ﷺ من كل تلك الآيات والمعجزات الكونية التي أوتيتها الأنبياء من قبله إلا أن معجزته الكبرى هي القرآن العظيم الذى لا تنتهى عجائبه ولا تنقضى غرائبه فإنها لم تنته ولن تنتهى حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما أصدق تعبير المصطفى عليه السلام فى وصف ذلك حيث يقول فيما رواه البخارى رحمه الله (ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إالىَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة) .

ولقد حث رسول الله ﷺ على قراءة هذا القرآن فقال فيما رواه مسلم رحمه الله : (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) كما روى مسلم أيضاً قوله عليه السلام : (إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين) كما روى مسلم أيضاً قوله عليه السلام : (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) وروى البخارى رحمه الله عن رسول الله ﷺ قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) .

وقد وصف عليه الصلاة والسلام من يقرأ القرآن بوصف عظيم وعجيب ينبىء عن أثر هذا القرآن فى النفوس والرائحة العبقة التى تنبعث من قارىء القرآن سواء كان مؤمناً أو منافقاً حيث يقول عليه السلام : (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب حلو ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) .

والعمل بهذا القرآن لا يتم بمعزل عن سنة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام الذى جاء حاملاً ومبلغاً رسالة ربه وترك الناس على المحجة البيضاء فقد قال عليه الصلاة والسلام (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً ، كتاب الله وسنتى) .

ذلك أن سنته عليه السلام من قول أو فعل أو تقرير إنما هى تطبيق لما أراد الله سبحانه أن تكون عليه حياة المسلمين بصريح قوله تعالى ﴿ وَمَاءَ اثْنِكُمُ الرَّسُولُ فَنُذُوهُ وَمَا نُهَكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

ويا لهذا القول الحكيم من رباط وثيق بين القرآن والسنة لمن يؤمن بالله ورسوله وكتابه .

وفي هذا العصر الذى تكالبت فيه الأعداء على الاسلام والمسلمين من كل جانب تعرض هذا الكتاب لحرب شعواء حيث أدرك الأعداء أن هذا الكتاب سر وحدة المسلمين والتقاءهم على اختلاف شعوبهم ولغاتهم وبلدانهم فحاربوه سرا وجهارا وليلا ونهارا بأيدي الكفار مرة وأيدي بعض أعوانهم من أبناء المسلمين مرة أخرى ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وفي هذه الحقبة من الزمن تقع على طلبة العلم ومؤسسات النشر والتعليم مسؤولية كبيرة فى حماية كتاب الله تعلمنا وتعلينا واهتماما بالدراسات المتعلقة به وبعلموه تحقيقا وتوثيقا وصيانة وحماية ليزداد الذين آمنوا إيماننا ويرد الله الذين كفروا بغيظهم . . وقد بدأت بحمد الله بوادر جيدة للاهتمام بهذا القرآن فى مناطق كثيرة من بلدان المسلمين .

وإدراكا من الجامعة الاسلامية لهذه المهمة وإسهاما منها فى هذا المجال قامت كلية القرآن الكريم بفضل الله عز وجل ثم بجهود فضيلة عميدها وبعض العاملين معه من أعضاء هيئة التدريس فى الكلية بإصدار هذه المجلة المتخصصة بالقرآن الكريم وعلومه والتي تحمل اسم (مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية) .

وأسأل الله سبحانه أن يجعلها نواة خير فى هذا المضمار ومعلم ارشاد فى هذا السبيل وأن يجزل الأجر والثوبة لكل من عمل فيها وساعد على إخراجها ويسر نشرها وانتشارها ، كما أسأله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه ولى ذلك والقادر عليه .

القِسْمُ الْأَوَّلُ
الْبُحُوثُ وَالذَّرَائِفُ

حَوَالِ الْقِرَاءَاتِ الشَّاذَّةِ

وَأَلَدَّتْ عَلَى حُرْمَةِ الْقِرَاءَةِ بِهَا

للشيخ عبد الفتاح القاضي

أستاذ ورئيس قسم القراءات بالكلية *

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أحكمت آياته، وأتقنت فصوله، واختيرت كلماته، واتفقت مبانيه، واثلفت معانيه، فلا تجد فيه اختلافاً ولا تناقضاً ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (١) وهو الكتاب المنزل على خير مبعوث وأكرم مرسل، وهو دستور الخالق الأعظم، ومنهاج الحق الأقوم، الذي أقامه الحق سبحانه ليبنى به الأمم، وينقذ به الشعوب، ويسعد به الجماعات البشرية كلها.

جاء القرآن الكريم في عصر سرت فيه المنكرات مسرى الريح في الفضاء، وشاعت الآثام في مناحي الحياة كما يشيع الظلام الطامس في الليل الدامس، واستقرت فيه دياجي الباطل وغياهب الجهالة، وأنكر فيه الانسان دعائم الحق، وأسس العدل، حتى أصبح الباطل حقاً والحق باطلاً، جاء القرآن الكريم في عصر استبدت فيه العصبية البغيضة، التي تخضع للهوى، وتميل للفساد، وتعمل كل ما يمزق الرحم، ويقضى على كل ألفة وتعاون، ويثير في الأمة عوامل الفرقة والتناحر، فتصبح الأمة مضطربة الأفكار متداعية الروابط.

* توفي إلى رحمة الله تعالى في الخامس عشر من المحرم سنة ١٤٠٣ هـ، وقد شارك رحمه الله في تحرير هذا العدد من المجلة قبيل وفاته.

(١) فصلت: ٤٢.

فكان الكتاب الكريم مصباح النور، ومشعل الهداية،
ورسول الرحمة ومصدر الخير والبركة، جمع الله به الشمل، وأصلح
به الأمر، ورسم فيه منهاج الحياة الرشيدة، وسن القوانين التي بها
يصلح أمر الدين والدنيا جميعاً وسما بالإنسانية إلى أمثل الطرق،
وأنجع السبل، في إحقاق الحق وإزهاق الباطل ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ

اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ (١) ما
من فضيلة إلا له دعوة إليها وحض عليها، وما من رذيلة إلا حذر
منها ونهى عن قربانها، وما من عمل يصلح صاحبه في الدنيا
ويسعده في الآخرة إلا رسم حدوده، ووضح مناهجه، وصدق الله
حيث يقول: ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٢) وإن كتاباً هذه
بعض فضائله، وتلك بعض مزاياه لجدير بالمسلمين جميعاً أن يعتزوا
به وأن يعملوا جاهدين على صيانتها من عبث العابثين، ومفتريات
الكاذبين، فإنه تراث المسلمين الخالد ومجدهم التليد، الذي
يفزعون إليه إذا ادلهمت الخطوب، وعصفت أعاصير الفتن .

وقد عُني به المسلمون الأولون عناية ملكت عليهم كل
مشاعرهم وأحاسيسهم، وكانت هذه العناية الفائقة مصداقاً لقوله
تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣) .
ومن مظاهر حفظ الله تعالى لكتابه، وشدة حرص المسلمين
في الصدر الأول على المحافظة عليه، وصيانتها من العبث

(١) المائدة: ١٥، ١٦ .

(٢) الأنعام: ٣٨ .

(٣) الحجر: ٩ .

والافتراء، أن قاموا بجمعه في خلافة الصديق رضى الله عنه . .
وفي عهد الخليفة عثمان رضى الله عنه كما هو مبين في محله .
ذكر علماء القراءات قاعدة تُعرف بها القراءات المقبولة، وتُميز
عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة وهذه القاعدة هي : كل
قراءة وافقت اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف
العثمانية، وثبتت بطريق التواتر .

نقول : كل قراءة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة : موافقة
اللغة، وموافقة أحد المصاحف، وثبوتها بطريق التواتر . هي القراءة
التي يجب قبولها، ولا يحل جحدها وإنكارها، وهى من جملة
الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم . ومتى لم تتحقق هذه
الأركان كلها أو بعضها في قراءة فهي قراءة شاذة مردودة .

وينبغى أن يُعلم أن أهم هذه الأركان هو الركن الثالث،
وأما الركنان الأولان فهما لا زمان له، إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة
لزم أن تكون موافقةً للغة العرب، ولأحد المصاحف العثمانية .
فالعمدة هو التواتر، وهو الجزء الأهم في الحد فلا تتصور
ماهية القرآن إلا به، وهو نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على
الكذب، عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول
الله ﷺ .

وقد جنح الشيخ مكى بن أبى طالب وتبعه المحقق ابن
الجزرى إلى الاكتفاء بصحة السند وجعله مكان التواتر .
قال صاحب غيث النفع : وهذا قول محدث لا يعول عليه،
ويؤدى إلى تسوية غير القرآن بالقرآن، ثم قال : ومذهب
الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء أن التواتر
شروط في صحة القراءة، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو

وافقت العربية ورسم المصاحف العثمانية / ١ هـ .

وقال النويرى فى شرح الطيبة : وهذا قول حادث مخالف
لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم ، لأن القرآن عند الجمهور من
أئمة المذاهب الأربعة منهم الغزالى ، وصدر الشريعة ، وموفق
الدين المقدسى وغيرهم هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلا
متواترا / ١ هـ .

ولذلك عرفوا القرآن بأنه اللفظ العربى المنزل على رسول
الله ﷺ المنقول إلينا متواتراً ، المتعبّد بتلاوته ، المتحدّى بأقصر سورة
من سورة . قال الإمام النويرى : وعلى هذا لا بد من حصول
التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة لم يخالف أحد منهم مطلقاً فيما
علمت بعد الفحص الزائد وصرح به جماعة لا يحصون منهم ابن
عبد البر وابن عطية وابن تيمية والنووى والأذرعى والأسنوى
والزركشى والسبكى وابن الحاجب وغيرهم ، وأما القراء فقد
أجمعوا على ذلك أول الزمان ، وكذلك آخره ولم يخالف من
المتأخرين إلا مكى وتبعه بعض المتأخرين . ومن كلام علماء القراءة
البدال على اشتراط التواتر ما صرح به الإمام الجعبرى فى شرح
الشاطبية حيث يقول :

ضابط كل قراءة تواتر نقلها ، ووافقت العربية مطلقاً ،
ورسم المصحف ولو تقديراً فهى من الأحرف السبعة ، وما لم يجتمع
فيه ذلك فشاذ / ١ هـ .

والذى توفرت فيه الأركان الثلاثة المذكورة إنما هى القراءات
العشر ، قال فى غيث النفع : فالشاذ ما ليس بمتواتر ، وكل ما زاد
الآن على القراءات العشر فهو غير متواتر / ١ هـ .

وقال النووي: أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشر، وكذلك أجمع عليه القراء أيضاً إلا من لا يعتد بخلافه وقال ابن الجزري في منجد المقرئين: والذي جمع في زماننا الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول .

وقال أيضاً في الكتاب المذكور: وقول من قال: إن القراءات المتواترة لا حد لها إن أراد في زماننا فغير صحيح، إذ لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشرة، وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله تعالى / اهـ .

ويؤخذ من هذه النقول أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر، وأن التواتر لم يتحقق إلا في القراءات العشر، وعلى هذا فكل قراءة وراء العشرة لا يحكم بقراءتها، بل هي قراءة شاذة لا تجوز القراءة بها لافي الصلاة ولا خارجها .

قال النووي: ولا تجوز القراءة في الصلاة ولا في غيرها بالقراءات الشاذة، وليست قرآناً، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأما الشاذة فليست متواترة، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه، سواء قرأ بها في الصلاة أو غيرها، هذا هو الصواب الذي لا معدل عنه، ومن قال غيره فهو غلط أو جاهل / اهـ .

وقد نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يُصلى خلف من قرأ بها .

وقال ابن السبكي في جمع الجوامع: وتحرم القراءة بالشاذ، والصحيح أنه ما وراء العشرة / اهـ . ومثل ذلك عن ابن الحاجب .

وقال ابن الصلاح : وهو ممنوع من القراءة بما زاد على العشر منع تحريم لا منع كراهة في الصلاة وخارجها ويجب على كل أحد إنكاره، ومن أصر عليه وجب منعه وتأثيمه وتعزيره بالحبس وغيره . وعلى المتمكن من ذلك ألا يهمله .

واستفتى الامام ابن حجر العسقلاني عن حكم القراءة بالشاذ فقال : تحرم القراءة بالشاذ وفي الصلاة أشد، ولا نعرف خلافاً بين أئمة الشافعية في تفسيره أنه ما زاد على العشر: بل منهم من ضيق فقال : ما زاد على السبع / ١ هـ .

وقال السخاوي : لا تجوز القراءة بشيء مما خرج عن الإجماع، ولو كان موافقاً للعربية وخط المصحف، ولو نقلته الثقات لأنه جاء من طريق الأحاد، وتلك الطريق لا يثبت بها القرآن / ١ هـ .

ونقل النويري عن شمس الدين الديري أنه قال : لا يجوز اعتقاد القرآنية في الشواذ التي لم تنقل بالشهرة والتواتر ولا يجوز إيهام السامعين قرآنيتهما، لا سيما إذا كان في الصلاة، وما زاد عن السبع فهو في حكم الشاذ، وإن تفاوتت طرق نقله، وإذا نهى عن ذلك فلم ينته وجب الإنكار عليه، ومقابلته بما يزجره ويردعه / ١ هـ .

وورد عن أبي حاتم السجستاني أنه قال : أول من تتبع بالبصرة وجوه القرآن، وتبع الشاذ منها هارون بن موسى الأعرور فكره الناس ذلك منه وقالوا قد أساء حين ألفها لأن القراءة إنما يأخذها قرن عن قرن، وأمة عن أفواه أمة، ولا يلتفت منها إلى ما جاء من وراء وراء / ١ هـ .

وهذه النصوص التي نقلناها لكم عن أئمة الإسلام، وعلماء القراءات تدل دلالة واضحة لا لبس فيها ولا خفاء على أن

القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر، ولا يكتفى في ثبوته بصحة
السند .

وأن القول بالاكْتفاء بالسند الصحيح غير المتواتر قول
حادث مخالف لإجماع الأصوليين والفقهاء والمحدثين وعلماء
القراءات سلفهم وخلفهم .

وعلى أن التواتر منحصر في القراءات العشر التي نقرؤها
الآن بل قيل في السبع فقط، وأن ما وراءها من القراءات فهو
قراءات شاذة، وإن وافقت العربية والرسم، ونقلت عن الثقات
واشتهرت واستفاضت فإن ذلك كله لا يخرجها عن شذوذها فلا
تُسمى قرآنا، وتحرم القراءة بها في الصلاة، بل يحرم على المسلم
اعتقاد قرآنتها، وإيها السامعين أنها من القرآن، ويجب على كل
مسلم يحترم القرآن ويؤمن به أن ينكر على كل من يقرأ بهذه
القراءات، ويمنعه من القراءة بها منعاً باتاً، ويعزره بالحبس وغيره
إن استطاع إلى ذلك سبيلاً .

هذا رأى جماهير العلماء من الأصوليين والفقهاء والمحدثين
وعامة علماء القراءات، ولم يشذ عن هذا الرأى إلا أفراد قلائل لا
يُحفل بهم، ولا يُلتفت لأرائهم، منهم مكى بن أبى طالب والشيخ
ابن الجزرى ذهباً إلى الاكْتفاء في ثبوت القراءة بصحة السند وإن لم
تكن متواترة .

فالقراءة التي نقلها الثقات بطريق الأحاد، ووافقت الرسم
والعربية فهي قراءة مقبولة عندهما وتصح القراءة بها في الصلاة
وخارجها ولكن بشرط أن تظفر هذه القراءة بالشهرة والاستفاضة
والتلقى بالقبول أما القراءة التي نقلها غير الثقات - ولو وافقت
العربية والرسم - أو نقلها الثقات وخالفت الرسم أو العربية أو

نقلها الثقات ووافقت الرسم والعربية ولكن لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة فهي بأقسامها الثلاثة قراءة شاذة مردودة .

وبناء على هذا نستطيع أن نحكم في اطمئنان وتثبت على القراءة التي انفرد بنقلها المشايخ الأربعة : ابن محيصة ، ويحيى اليزيدي ، والحسن البصرى ، والأعمش ، أو أحد هؤلاء أوراو من روايتهم ، بأنها قراءة شاذة مردودة لا تسمى قرآنا ، ويحرم اعتقاد قرآنتها ، وإيهام السامعين أنها من القرآن ، وتحرم القراءة بها مطلقاً . ويُعزَّر من يقرؤها وهذا كله بإجماع العلماء حتى ابن الجزرى ومكى بن أبى طالب .

أما عند جماهير العلماء فلأن هذه القراءة لم تنقل إلينا بطريق التواتر ، إذ التواتر منحصر في القراءات العشر كما تقدم ، وأما عند مكى وابن الجزرى فلأن بعضها مخالف لسواد المصحف مثل : ﴿ اهدنا صراطاً مستقيماً ﴾ في سورة الفاتحة ، وبعضها مخالف للغة العرب كما سنقفك عليه قريباً إن شاء الله تعالى .

وهي كلها على فرض صحة سندها ، وموافقتها للرسم واللغة لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة وهما يشترطان في صحة القراءة التي لم تثبت بالتواتر أن تكون صحيحة السند ، وأن تكون موافقة للرسم واللغة ، وأن تظفر بالاستفاضة والشهرة . إذن قراءة هؤلاء الأربعة شاذة بإجماع العلماء .

وإننا في الحكم على قراءة هؤلاء بالشذوذ لم نكن متغالين ولا متجنين ، فها هم أولاء علماء الإسلام وأئمة هذا الشأن قد حكموا عليهم بهذا الحكم منذ ألف عام .

فهذا الإمام ابن مجاهد إمام الأئمة يقول في ابن محيصة : كان لابن محيصة اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به

عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه .

وها هو ذا محمد بن أحمد بن شنبوذ أحد رواة ابن محيصة، كان يرى جواز القراءة بالشاذ فبلغ ذلك الوزير ابن مقلة فجمع العلماء والقضاة وأحضره، وأمر بضربه فُضرب .

ثم أعلن توبته عن القراءة بالشاذ أمام هؤلاء العلماء وكان فيهم ابن مجاهد، وكتب عليه محضر بذلك .

ويقول الإمام القاسم بن سلام عن عيسى الثقفي أحد رواة الحسن البصرى: كان من قراء البصرة غير أنه كان له اختيار في القراءة على مذهب العربية يفارق قراءة الجماعة ويستنكره الناس .

ومما يدل على أن هذه القراءات المنسوبة لهؤلاء الأربعة لم تُنقل عنهم بسند صحيح اضطراب النقلة في ضبط بعض ألفاظها، وخروج كثير منها عن قوانين اللغة وأساليب الاستعمال العربي: ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (١) نقل علماء القراءات أن للحسن ثلاثة أوجه: بالعين المعجمة مضمومة ومفتوحة وبالعين المهملة المضمومة . وليس في أمهات كتب اللغة التي بين أيدينا ومنها لسان العرب وشرح القاموس الوجه الثالث . والذي فيها بالعين المهملة المفتوحة وهو سوء البصر بالليل والنهار .

ومن هذه الأمثلة قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَلَّوْا الشَّيَاطِينُ ﴾ (٢) قرأه الحسن بواو بدلاً من الياء مع فتح النون حيث

(١) البقرة: ٧ .

(٢) البقرة: ١٠٢ .

وقع بشرط أن يكون مرفوعاً، قال أبو حيان: وهذا شاذ قاسه على قول العرب: بستان فلان حوله بساتون .

رواه الأصمعي قالوا والصحيح أن هذا لحن فاحش، وقال أبو البقاء: شبه فيه الياء قبل النون بياء جمع التصحيح وهذا غلط .
أهـ من البحر المحيط .

(خطوات) (١) قرأ الحسن بفتح الخاء وإسكان الطاء جمع خَطْوَةٌ بفتح فسكون كذلك وهي المرة الواحدة من الخطو، هكذا ذكر مصنفوا القراءات، والذي صرح به المفسرون وأئمة اللغة أن خَطْوَةٌ بفتح الخاء وسكون الطاء تجمع على خَطَوَاتٍ بفتحها مثل سَجْدَةٌ وَسَجَدَاتٍ وشَهْوَةٌ وشَهَوَاتٍ، وعلى هذا يكون إسكان الطاء على ما ذكره علماء القراءات شاذاً لغة والقياس فتحها .

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ (٢) قرأ المطوعي بكسر الضاد . وليس هذا في كتب اللغة ومنها اللسان وشرح القاموس . ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ (٣) قرأ الحسن بضم التاء وكسر القاف هكذا صرح كثير من الكاتبيين في القراءات وصرح بعض المصنفين بأن قراءة الحسن بكسر التاء والقاف وإزاء هذا الاضطراب في النقل لا نستطيع الجزم بالصواب .

﴿عَمَّكَتِ الْجَبِّ﴾ (٤) قرأ الحسن بكسر الغين وسكون الياء وفتح الباء، هكذا في كتب القراءات . والذي في البحر والبيضاوي والالوسي عن الحسن أنه يقرأ بفتح الغين والياء والباء من غير

(١) في البقرة: ١٦٨، ٢٠٨، الأنعام: ١٤٢، ٢١ .

(٢) آل عمران: ١١١ .

(٣) الأنعام: ٩٨ .

(٤) يوسف: ١٠ .

ألف، وإزاء هذا لا نستطيع الجزم بضبط هذه القراءة وكفى بذلك دليلاً واضحاً على شذوذها وحرمة القراءة بها .

﴿ يَلْسَانَ قَوْمِهِ ﴾ (١) قرأ المطوعى بفتح اللام وإسكان السين هكذا ضبطه مصنفوا القراءات ، والذي صرح به أئمة التفسير كأبي حيان والبيضاوى مع زاده والألوسى وغيرهم أن القراءة بكسر اللام لا بفتحها، وقد استقصيت كتب اللغة ومنها اللسان وشرح القاموس فلم أجد فيها أن اللّسن بفتح اللام بمعنى اللغة بل الذى بمعنى اللغة اللسان أو اللّسن بكسر اللام .

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ ﴾ (٢) قرأ الحسن بإسكان الباء وتخفيف الذال هكذا فى كتب القراءات ومع شدة البحث فى اللغة لم أعثر على (أَبْذَر) وغاية ما عثرت عليه فيها فى مادة (بَذَرَ) باذر وبذر مبادرة وتبذيراً / اه لسان .

وفى شرح القاموس وفى حديث وقف عمر من وليه أن يأكل منه غير مبادر أى غير مسرف فالذى يغلب على الظن أن قراءة الحسن : (المبادرين) .

﴿ كَهَيْعَتِهِ ﴾ (٣) قرأ الحسن بضم الهاء هكذا فى كتب القراءات وقد اضطربوا فى بيان هذا الضم أيما اضطراب وأنكر هذه القراءة كثير من العلماء .

﴿ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤) فى المؤمنين قرأ الحسن بفتح الياء واللام وليس فى كتب اللغة فَلَح بمعنى أفلح .

(١) إبراهيم : ٤ .

(٢) الاسراء : ٢٧ .

(٣) مريم : ١ .

(٤) المؤمنون : ١١٧ .

﴿ فَيَطْمَعُ ﴾ (١) في الأحزاب : قرأ ابن محيصن بكسر الميم هكذا نقل علماء القراءات وكتب اللغة جميعاً على أن طمِع من باب فَرَح ليس غير ، ولذلك طعن كثير في هذه القراءة لمخالفتها للغة العرب وقالوا إن قراءته بكسر العين لا الميم .

﴿ وَفِصْلُهُ ﴾ (٢) في الأحقاف قرأ الحسن بضم الفاء وليس ذلك في شيء من كتب اللغة والذي ذكره الألوسى وغيره أن قراءته كقراءة يعقوب أى بفتح الفاء وسكون الصاد وهذا الذى يغلب على الظن صحته . والله تعالى أعلم .

ولعلك أيها القارئ الكريم - وقد علمت من المثل التى وفتت عليها ما فى القراءات - الشاذة من اضطراب النقلة فى ضبط ألفاظها ، وتصحيح كلماتها ، وتضارب أفهامهم فى وجه أدائها ، وكيفية النطق بها ، ومن مخالفتها للغة العرب ولسائر المصاحف التى أجمع عليها الصحابة زمن عثمان رضى الله عنه توافقتنى على أن هذه القراءات الشاذة لا تسمى قرآناً ، وتحرم القراءة بها فى الصلاة وغيرها ، بل يحرم على المسلم اعتقاد قرآنتها ، وإيها السامعين أنها من القرآن ، ويجب على كل مسلم عنده أثارة من علم أو بقية من إيمان ، أو ذرة من احترام للقرآن أن ينكر على كل من يقرأ بهذه القراءات ، ويمنعه من القراءة منعاً باتاً بجميع الوسائل الممكنة ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

(١) الأحزاب: ٣٢ .

(٢) الأحقاف: ١٥ .

حَدِيثُ الْأَحْرِفِ السَّبْعَةِ

دِرَاسَةٌ لِإِسْنَادِهِ وَمَتْنِهِ وَأَخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ

وَصِلَتْهُ بِالْقُرَّاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

د . عبد العزيز بن عبد الفتاح القارىء

أستاذ مشارك بالجامعة

وعميد كلية القرآن الكريم

هذا حديث عظيم، اتفق الحفاظ على تواتره، وخرجه الأئمة في كتبهم، ولا يكاد يخلو منه مصنف في الحديث . . .
فقد أخرجه: البخارى ومسلم، والترمذى، والنسائى فى السنن، وفى عمل اليوم والليلة، وأبوداود فى سننه، ومالك فى موطئه، وابن حبان فى صحيحه، وأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام فى فضائل القرآن، وأبوداود الطيالسى فى مسنده، وأحمد فى مسنده، وأبويعلى فى مسنده، وعبد الرزاق فى مصنفه، وابن أبى شيبة فى مصنفه، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط والكبير، وأخرجه الطحاوى من طرق كثيرة فى مشكل الآثار، وابن جرير الطبرى فى مقدمة تفسيره، وأخرجه البيهقى فى السنن، والحاكم فى المستدرک . . .

وسرد الحافظ ابن كثير طرقه ورواياته فى فضائل القرآن، كما أفاض فيه شرحاً وتفصيلاً الحافظ ابن حجر فى فتح البارى، وابن قتيبة الدينورى فى مشكل القرآن . . .

وقد أفرد هذا الحديث فى مصنف وتوسع فى شرحه وروايته :
أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار بن إبراهيم

الرازي العجلي المقرئ المتوفى سنة ٤٥٤ هـ (١)، وأفرده بالتصنيف أيضاً أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (٢)، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية (٣)، ورأيت كتاباً للحافظ يوسف بن عبد الهادي اسمه (هداية الانسان إلى الاستغناء بالقرآن) يقع في مجلدين ويبلغ نحو ٤٠٠ ورقة نقل فيه كثيراً عن أبي شامة وذكر أن كتابه في حديث الأحرف اسمه (المرشد).

وأشار إلى هذا المصنف أيضاً محمد بن الجزري المقرئ صاحب النشر، إذ قال بعد ذكره لحديث الأحرف: وصنف الإمام أبو شامة رحمه الله فيه كتاباً حافلاً (٤).

ومن صنف فيه أيضاً ابن الجزري نفسه، قال في النشر: وقد تتبع طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك (٥).

روى حديث الأحرف من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم بن حزام، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وسليمان بن صرد الخزاعي، وأبو بكر الأنصاري، وأبو طلحة الأنصاري،

(١) ترجمته في غاية النهاية : (٣٦١/١).

(٢) ترجمته في غاية النهاية : (٣٦٥/١).

(٣) مجموع الفتاوى لابن قاسم : (٣٨٩/١٣).

(٤) نشر سنة ١٣٩٥ هـ باسم «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلت بالقرآن العزيز» حققه الاستاذ

طيبار التي قولاج عن ثلاث نسخ مخطوطة .

(٥) النشر في القراءات العشر (١/١٩).

وأنس بن مالك رواه بواسطة أبي ، وسمرة بن جندب ، وأبو جهيم الأنصاري ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأم أيوب . .

ورواه بواسطة : عبد الرحمن بن عبد القاري ، والمسور بن مخرمة ، على القول بصحتها . . وروى الحديث عن هؤلاء الصحابة جمع عظيم من التابعين والأئمة بطرق وأسانيد كثيرة : (أما حديث عمر وهشام) فورد من ثلاث طرق : من طريق الإمام محمد بن شهاب الزهري سمعه من عروة بن الزبير وهو سمعه من عبد الرحمن بن عبد القاري والمسور بن مخرمة : ورواه عن ابن شهاب : مالك بن أنس إمام دار الهجرة (١) ، وعقيل بن خالد (٢) ، ومعمّر بن راشد الأزدي (٣) ، ويونس بن يزيد مولى معاوية بن أبي سفيان (٤) ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز الأنصاري (٥) ، وفليح بن سليمان الخزازي (٦) ، وشعيب بن أبي حمزة (٧) .

وورد من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده عن عمر (٨) .

(١) في الموطأ (٢٠١/١) ، وأخرجها أيضا مسلم والنسائي وأبو عبيد . . فضائل القرآن والطحاوي في مشكل الآثار .

(٢) أخرج روايته البخاري وأبرعبيد والطحاوي .

(٣) أخرج روايته عبد الرزاق في مصنفه ، ثم أخرجها مسلم والنسائي والترمذي كلهم عن عبد الرزاق .

(٤) أخرج روايته مسلم والنسائي وابن جرير وأبو عبيد والطحاوي .

(٥) أخرج روايته الطحاوي .

(٦) أخرج روايته الطيالسي في مسنده .

(٧) أخرج روايته أبو عبيد .

(٨) أخرج الحديث من طريقه ابن جرير في تفسيره (٢٥/١) .

وروى من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر
عن عمر (١) .

قال الإمام البخارى رحمه الله بعد أن ذكر إسناده إلى المسور
بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارى : قالوا إنها سمعا عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يقول :

سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول
الله ﷺ - وفي رواية معمر عند عبد الرزاق - مررت بهشام بن
حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ .

قال : فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم
يقرئها رسول الله ﷺ - وفي رواية معمر عند النسائي - فقرأ فيها
حروفاً لم يكن نبي الله ﷺ أقرأنيها . .

قال عمر : فكنت أساوره في الصلاة - وفي رواية مالك -
فكنت أعجل إليه . .

قال : فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه - وفي رواية مالك :
ثم أمهلته حتى انصرف ، وفي رواية معمر : فنظرته حتى سلم ،
وفي رواية عند أبي عبيد : فأخذت بثوبه .

قال : فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟
قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ . فقلت : كذبت ! فإن رسول
الله أقرأنيها على غير ما قرأت .

- وفي رواية معمر ويونس - : كذبت فوالله إن رسول الله
ﷺ هو أقرأني هذه السورة التي تقرأها .

(١) أخرج الحديث من طريقه ابن جرير في تفسيره لكن إسناده ضعيف وعلمته عبد الله بن
ميمون القداح متروك .

قال عمر : فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت :
إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها .
- وفي رواية معمر ويونس - وأنت أقرأتني سورة الفرقان . .
قال عمر: فقال رسول الله ﷺ : أرسله ، اقرأ ياهشام .
فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال النبي ﷺ :
كذلك أنزلت . .

- وفي رواية معمر ويونس ومالك في الموضوعين - : هكذا
أنزلت .

قال عمر: ثم قال ﷺ : اقرأ يا عمر . فقرأت القراءة التي
أقرأني ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل
على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه .

- وفي رواية معمر - فاقرأوا منه ما تيسر ، - وفي رواية
يونس - فاقرأوا منها ما تيسر .

زاد أبو عبيد في رواية عقيل إن ابن شهاب قال في الأحرف
السبعة : هي في الأمر الواحد الذي لا اختلاف فيه . وروى مسلم
ذلك عنه أيضا في حديث ابن عباس أن الزهري قال : بلغني أن
تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف
في حلال ولا حرام .

وفي رواية ابن جرير^(١) عن اسحاق بن عبد الله بن أبي
طلحة عن أبيه عن جده قال : قرأ رجل عند عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فغير عليه ، فقال : لقد قرأت على رسول الله ﷺ
فلم يُغير علي ، قال فاخصما عند النبي ﷺ فقال : يارسول الله ألم

(١) تفسير ابن جرير (١ : ٣٠)

تقرئني آية كذا وكذا؟ قال: بلى. قال فوقع في صدر عمر شبيء،
فعرّف النبي ﷺ ذلك في وجهه، فضرب في صدره، وقال: ابعِدْ
شيطاناً - قالها ثلاثاً . . .

ثم قال: يا عمر إن القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمةً عذاباً
أو عذاباً رحمةً .

وهذه الرواية إسنادها صحيح، وهي تُثبت أنه قد وقع لعمر
مثل ما وقع لأبي بن كعب كما يأتي بيانه وهذه الزيادة لم يذكرها غير
إسحاق .

(أما حديث عثمان بن عفان) فرواه أبو المنهال سيار بن
سلامة : قال : بلغنا أن عثمان رضى الله عنه قال يوماً وهو على
المنبر : أذْكَرُ الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال : أنزل القرآن على
سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ لما قام . فقاموا حتى لم يُحصوا فشهدوا
أن رسول الله ﷺ قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ
كافٍ ، فقال عثمان : وأنا أشهدُ معهم (١) .

رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي المنهال ، قال الهيثمي : فيه
راوٍ لم يسم .

قلت هو الذي بين أبي المنهال وبين عثمان ، فإن أبا المنهال لم
يلق عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأبو المنهال هو سيار بن سلامة
الرياحي روى عن أبي برزة الأسلمي ، والبراء السليطي ، وأبيه
سلامة ، وأبي العالية الرياحي ، وأبي مسلم الجرمي ، وهو ثقة
وحديثه في الكتب الستة .

(١) مجمع الزوائد (٧ : ١٥٢) .

(أما حديث على بن أبي طالب رضى الله عنه) فقد رواه أبو الفضل الرازى من طريق عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود قال : قال لنا على بن أبى طالب : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علّمتم (١) . وهو ليس صريحاً فى الأحرف السبعة لكن معنى قوله : (أن تقرأوا) أى من الأحرف السبعة ما علّمتم إذ التنازع كان بينهم فى ذلك ، وقد روى هذا الحديث أيضا أحمد وابن جرير .

(أما أبى بن كعب) فقد وردت عنه ثلاثة أحاديث من خمس طرق :

طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وسليمان بن صرد الخزاعى ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وزر بن حبیش الأسدى .

أما الحديث الأول : فأخرجه مسلم (٢) من رواية إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن جده ، وأخرجه النسائى (٣) من رواية معقل بن عبيد الله عن عكرمة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس عن أبى ، ومن رواية حميد الطويل عن أنس عن أبى ، وأخرجه ابن جرير (٤) من رواية عبيد الله بن عمر عن سيّار أبى الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى يرفعه ، ومن رواية عبيد الله بن عمر عن ابن أبى ليلى عن أبى ، ومن رواية وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن

(١) كتاب الرازى فى الأحرف السبعة (مخطوط) ص ٣ .

(٢) فى صلاة المسافرين باب فضائل القرآن (١/٥٦١) .

(٣) فى الافتتاح باب جامع ما جاء فى القرآن (١/١٥٣) .

(٤) فى مقدمة التفسير (١/٤٢) .

عيسى ، ومن روايته أيضا ولكن عن محمد بن أبي ليلى عن الحكم عن ابن أبي ليلى ، ومن رواية محمد بن فضيل ، وابن نمير ، ومحمد بن يزيد الواسطى : كلهم عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى ، وأخرجه أيضا من رواية ابن أبي عدى ومحمد بن ميمون الزعفرانى كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبي ، وأخرجه أحمد عن حميد أيضا (١) وأخرجه أبو عبيد عن يحيى بن سعيد وي زيد بن هارون كلاهما عن حميد ، ثم أخرجه ابن جرير وأبو عبيد كلاهما من رواية أبي اسحاق السبيعى عن صقير العبدى عن سليمان بن صرد عن أبي (٢) وأخرجه ابن جرير أيضا والطيالسى (٣) ، والبيهقى (٤) من رواية قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان .

قال الإمام مسلم رحمه الله : بعد أن ذكر إسناده : قال أبو بن كعب رضى الله عنه : كنتُ فى المسجد - وفى لفظ رحتُ إلى المسجد ، وفى آخر دخلتُ المسجد - ، فدخل رجل يصلى ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه . - وقد ذكر اسم الرجل فى رواية سليمان بن صرد عند ابن جرير والبيهقى وهو عبد الله بن مسعود وليس فيها ذكرٌ للرجل الثالث وكذلك فى رواية ابن عباس عند النسائى ، ورواية أنس عند ابن جرير فلعل

(١) (١٢٢ / ٥) .

(٢) أبو عبيد فى فضائل القرآن (مخطوط) ق ٩٥ ، وابن جرير فى مقدمة التفسير (٣٢ / ١) .

(٣) منحة العبود (٧ / ٢ ، ٨) .

(٤) السنن الكبرى .

ذَكَرَهُ حُذِفَ اختصاراً، وورد التصريح بالسورة التي اختلفوا فيها وهي سورة النحل وذلك في رواية عبيد الله بن عمر عن ابن أبي ليلى، ورواية وكيع عن إسماعيل وروايته عن محمد بن أبي ليلى، كل ذلك أخرجه ابن جرير - .

قال أبو رضى الله عنه: فأمرهما النبي ﷺ فقرأ فحسَنَ النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسى من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ..

- وفي رواية وكيع - فدخل في نفسى من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية .

- وفي رواية عبيد الله بن عمر - فدخلنى من الشك في أمر رسول الله ﷺ ما دخل في من أمر الجاهلية ..

- وعند البيهقى من طريق سليمان بن صرد عن أبي: أن النبي ﷺ قال: كلاكما محسنٌ مجملٌ . فقال أبى: ما كلانا أحسن ولا أجمل .

- وفي رواية عبيد الله بن عمر - : فوجدتُ في نفسى وسوسةَ الشيطان حتى احمرَّ وجهى ..

- وفي رواية أبى اسحاق عند ابن جرير - : أن النبي ﷺ قال لكل منهما : قد أحسنت . فقال أبى : قد أحسنت قد أحسنت !!

قال أبو رضى الله عنه: فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدرى، ففضتُ عرقاً وكأنها أنظرُ إلى الله فرَقاً ..

- وفي لفظ ابن جرير - ففضتُ عرقاً وامتلاً جوفى فرَقاً .

- وفي رواية وكينع - أن النبي ﷺ قال : أعاذك الله من الشك وأخسأ عنك الشيطان .

- وفي رواية عبيد الله بن عمر - : اللهم أخسئ الشيطان عنه . .

- وفي رواية محمد بن فضيل - : أعيذك بالله من الشك والتكذيب . .

قال أبي بن كعب : فقال لي : يا أباي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن عليّ أمّتي ، فردّ إليّ الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددتُ إليه : أن هوّن عليّ أمّتي ، فردّ إليّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ .

هذا لفظ مسلم ، وورد مثله عند ابن جرير من رواية ابن بيان عن إسماعيل بن أبي خالد ، وفي رواية ابن معقل عند النسائي قال : يا أباي إنه أنزل القرآن على سبعة أحرف كلهن شافٍ كافٍ .

- وفي رواية عبيد الله بن عمر عند ابن جرير - : أتاني آتٍ من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمّتي ، ثم أتاني الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت : رب خفف عن أمّتي ، ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك وقلت ، ثم أتاني الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة ،

فقلت : يارب اغفر لأمتي ، يارب اغفر لأمتي واختبأت الثالثة
شفاعةً لأمتي يوم القيامة (١) .

- وعند ابن جرير أيضاً من رواية ابن فضيل - قال : إن الله
أمرني أن أقرأ القرآن على حرف فقلت : اللهم رب خفف عن
أمتي ، قال : اقرأه على حرفين ، فأمرني أن اقرأه على سبعة أحرف
من سبعة أبواب من الجنة كلها كافٍ شافٍ .

ثم وردت روايات بتفصيل ذلك : فعند النسائي من رواية
يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس عن أبي قال ، قال ﷺ : إن
جبريل وميكائيل أتياي ، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن
يساري ، فقال جبريل عليه السلام : اقرأ القرآن على حرف ،
فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف فكل حرف شافٍ
كافٍ .

وأخرجه ابن جرير من رواية ابن أبي عدى والزعفراني عن
حميد ، والطحاوي من رواية عبد الله بن بكر السهمي عن حميد
بنحوه . .

إلا أن ابن جرير ذكر في رواية السبيعي عن صقير العبدى :
إن الملكان أتياي فقال أحدهما : اقرأ القرآن على حرف وقال
الأخر : زده - هكذا من غير تسميتهما - ، وفي رواية وكيع : أتاني
جبريل فقال : اقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت إن أمتي لا
تستطيع ذلك ، حتى قال سبع مرات ، فقال لي : اقرأ على سبعة

(١) وقع غلط في هذه الرواية عند ابن جرير من رواية هشام بن سعد عن عبيد الله : فقال في
الأولى : رب خفف عني والصحيح : رب خفف عن أمتي . كما جاء في رواية المعتمر بن سليمان عن
عبيد الله ، وكما هو في المرة الثانية من رواية هشام نفسها .

أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة، فاحتاج إلىَّ فيها الخلائق حتى إبراهيم عليه السلام.

أما في رواية قتادة عند أبي داود وابن جرير: فقال يا أبا أُقْرُتُ القرآن فقليل لى : على حرف أو على حرفين ؟ فقال الملك الذى معى : قُلْ على حرفين . فقليل لى : على حرفين أو على ثلاثة ؟ فقال لى الملك الذى معى : قُلْ على ثلاثة . فقلت : على ثلاثة ، حتى بلغ سبعة أحرف ليس فيها إلا شافٍ كافٍ ، إن قُلْتَ سميعاً عزيزاً حكيماً ، ما لم يَحْتِمَ آيةَ عذابٍ برحمةٍ أو آيةَ رحمةٍ بعذابٍ ، - ولفظ البيهقى - : قُلْتَ غفورٌ رحيمٌ عليمٌ حكيمٌ سميعٌ عليمٌ عزيزٌ حكيمٌ نحو هذا .

وهذه الاختلافات فى الألفاظ لا تضر الحديث ، إذ أنها من قبيل الإجمال والتفصيل ، فالرواية يتفاوتون فى الحفظ ، فيُجْمَلُ بعضهم ما يُفصِّلُه الآخر ، وليس هناك تناقض ، إلا ما قد يتبادر من ذكر المرات التى راجع فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الملك ، وهل أنزلت السبعة فى الثالثة أو فى الرابعة ، فإن بعض الروايات ذكرت الرابعة وبعضها لم تذكرها فلعل هذا من قبيل الاختصار من الراوى ، وعلى كل فالزيادة من الثقة مقبولة ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

أما الحديث الثانى عن أبى رضى الله عنه : فأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى (١) من رواية مجاهد عن ابن أبى ليلى ، وأخرجه

(١) أخرجه مسلم فى صلاة المسافرين باب فضائل القرآن (١/٥٦٢) ، والنسائى فى السنن

(١/١٥٢) ، وأبو داود فى السنن (٢/٧٦) .

من عدة وجوه عنه أيضا ابن جرير (١) ، وأحمد في مسنده (٢) .
 قال الامام مسلم : بعد أن ذكر إسناده عن أبي بن كعب إن
 النبي ﷺ كان عند أضاة بنى غفار (٣) قال فأتاه جبريل عليه السلام
 فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف .
 - وفي لفظ أبي داود والنسائي وابن جرير - : أن تُقرىء
 أمتك القرآن على حرف . .
 قال أبي : فقال ﷺ : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي
 لا تطيق ذلك .

- وفي رواية عند ابن جرير - أسأل الله مغفرته ومعافاته إنهم
 لا يطيقون ذلك فسل الله لهم التخفيف . .
 قال أبي : ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك
 القرآن على حرفين . فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي
 لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك
 القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن
 أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ
 أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبها حرف قرأوا عليه فقد أصابوا .
 - وفي لفظ عند ابن جرير - فمن قرأ منها بحرف فهو كما
 قرأ .

(١) ابن جرير (١/٣٩ ، ٤٠) .

(٢) المسند (٥/١٢٧) .

(٣) الأضاة بوزن الحصة : الغدير ، وأضاة بنى غفار موضع بالمدينة ، ومنازل بنى غفار
 غربى سوق المدينة وبالسائلة من أجبل جهينة إلى بطحان (النهاية لابن الأثير ١/٥٣) (مشارك
 الأنوار ١/٤٩) (خلاصة الوفاء / ٥١٤) .

أما الحديث الثالث عن أبي رضى الله عنه : فقد أخرجه
الترمذى من طريق عاصم بن بهدلة المقرئ عن زر بن حبيش عن
أبي بن كعب (١) ، وأخرجه الطيالسى (٢) وابن جرير (٣)
والطحاوى (٤) وأحمد (٥) كلهم عن عاصم .

قال الترمذى رحمه الله : بعد أن ذكر إسناده عن أبي بن
كعب : قال : لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال : يا جبريل إني
بُعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية
والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط .

- وفى لفظ الطيالسى - والرجل العاسى .
- وفى لفظ الطحاوى - فيهم الشيخ الكبير والعجوز
والغلام والخادم والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتاباً قط .
قال الترمذى : قال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة
أحرف .

- وفى لفظ ابن جرير - : فليقرأوا القرآن على سبعة
أحرف .

وقد ذكر فى رواية الطيالسى المكان الذى لقي فيه النبى ﷺ
جبريل وأنه عند أحجار المرى - هكذا بالألف المقصورة - وفى رواية

(١) الترمذى (١٩٤/٥) .

(٢) منحة المعبود (٨/٢) .

(٣) مقدمة التفسير (٣٥/١) .

(٤) فى مشكل الآثار (١٨٢/٤) .

(٥) فى المسند (١٣٢/٥) .

ابن جرير: أحجار المراء بالألف الممدودة وهي قباء أو موضع بقباء (١).

(وأما عبد الله بن مسعود) فرُويت عنه خمسة أحاديث من سبع طرق:

طريق: النَّزَال بن سبرة، وأبى الأحوص، وفلفة الجعفى، وعمر بن أبى سلمة، وأبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبى وائل شقيق بن سلمة، وزر بن حُبَيْش.

الحديث الأول: أخرجه البخارى (٢) من طريق النَّزَال بن سبرة، وأخرجه أحمد (٣) من وجهين عن النزال.

قال الامام البخارى بعد أن ذكر إسناده إلى النزال: أنه قال: سمعتُ عبد الله يقول: سمعتُ رجلاً قرأ آية سمعتُ من النبى ﷺ خلفها فأخذتُ بيده فأتيتُ به النبى ﷺ فقال: كلاكما مُحْسِنٌ. قال شعبة: أظنه قال: لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا.

وعند أحمد من رواية عفان عن شعبة مثله، وعنده من رواية بهز: كلاكما قد أحسن لا تختلفوا.

الحديث الثانى: أخرجه ابن جرير (٤) من وجهين عن عاصم بن أبى النُّجُود المقرئ عن زر بن حُبَيْش، أحدهما: من

(١) وذكره السهوى فى ديار بنى عمرو بن عوف. انظر (النهاية لابن الأثير ١/٣٤٣) و (خلاصة الوفاء ٥/٢).

(٢) فى فضائل القرآن من الجامع الصحيح، باب اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم (٢٤٤/٦).

(٣) المسند (١/٣٩٣).

(٤) فى مقدمة تفسيره (١/٢٣).

رواية أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن ابن مسعود أنه قال: اختلف رجلان في سورة فقال هذا: أقرأني النبي ﷺ، وقال هذا: أقرأني النبي ﷺ، فأتى النبي ﷺ فأخبر بذلك، قال فتغير وجهه وعنده رجل فقال: اقرأوا كما علمتم - فلا أدري أبشئ أم بشئ أم بشئ ابتدعه من قبل نفسه - فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم، قال: فقام كل رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه .

والآخر: من رواية الأعمش عن عاصم، وفيها تفصيل أكثر، ذكر فيها اسم السورة واسم الرجل: قال: تمارينا في سورة الفرقان فقلنا خمس وثلاثون أوست وثلاثون آية . .

فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً يناجيه، قال فقلنا: إنا اختلفنا في القراءة، قال: فاحمروه رسول الله ﷺ وقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم . قال: ثم أسرَّ إلى علي شيئاً، فقال لنا علي: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم .

قال أبو مجاهد: يظهر من هذا الحديث أنه وقعت لابن مسعود رضى الله عنه واقعتان إحداهما مع أبي بن كعب وكان الاختلاف فيها في القراءة وكانت السورة المختلف فيها سورة النحل، وإلى هذه الواقعة يشير حديث النزال بن سبرة، وهى ذاتها التى حكاهما أبو بن كعب فى حديثه المشهور .

أما هذا الحديث فيشير إلى واقعة أخرى لابن مسعود مع رجل آخر، وكان الاختلاف فيها فى عد الآى وليس فى القراءة، والسورة التى اختلفا فى عدها سورة الفرقان، ثم نجد بعض اختلاف فى حديث عاصم عن زربن حُبَيْش، بين رواية أبى بكر

ابن عياش ورواية الأعمش . فالأعمش يذكر أن النبي ﷺ هو القائل : إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم ، وأن علياً هو القائل : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم . بينما نجد أبا بكر بن عياش ينسب ذلك كله إلى علي مع أنه لم يذكر اسمه ، ورواية الأعمش أصح ، فإن أبا بكر وإن كان صدوقاً إلا أنه يغلط (١) .

وما ورد عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في الأحرف السبعة هو هذا الحديث وهو كما نرى ليس صريحاً فيها ، لكنه يتضمنها ، لأن قوله : يأمركم أن تقرأوا كما علمتم . أى من الأحرف السبعة لأنه كلام قيل بمناسبة الاختلاف في القرآن فالإشارة فيه واضحة .

الحديث الثالث عن ابن مسعود : أخرجه ابن حبان من طريق أبي الأحوص (٢) ، وأخرجه من طريقه أيضاً الطبراني (٣) والبخاري (٤) .

وأخرجه ابن جرير عن أبي الأحوص أيضاً من وجهين ، وفي إسنادهما ضعف (٥) .

قال أبو الأحوص ، قال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ : أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن . هذه رواية ابن حبان ، وزاد ابن جرير : ولكل حرف حدٌ ولكل حرف مَطَّلَع ،

(١) بل قال فيه أبو نعيم : لم يكن في شيرخنا أحد أكثر غلطا منه (ميزان الاعتدال

: ٥٠٠) .

(٢) موارد الظمان : ص ٤٤٠ .

(٣) مجمع الزوائد : (١٥٢/٧) .

(٤) مجمع الزوائد : (١٥٢/٧) ، والمطالب العالية : (٢٨٥/٣) .

(٥) في مقدمة التفسير : (٢٣/١) .

ورواية الطبراني : إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حَدٌّ ولكل حَدٌّ مَطَّلَعٌ .

الحديث الرابع عن ابن مسعود: رُوى عنه من ثلاث طرق .:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعن عمر بن أبي سلمة، وعن فلفلة الجعفي . .

أما رواية أبي سلمة فأخرجها الحاكم بسند صحيح عن سلمة بن أبي سلمة عن أبيه عن ابن مسعود^(١)، وأخرجها الطحاوي^(٢) من وجهين، من رواية عبد الله بن صالح ثنى الليث بن سعد قال ثنى عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سلمة، ومن رواية حيوة ابن شريح أنا عقيل بن خالد عن ابن شهاب .

وأما رواية فلفلة الجعفي فأخرجها أحمد^(٣)، قال الهيثمي : في إسناده عثمان بن حسان العامري، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات^(٤) .

وأما رواية عمر بن أبي سلمة فأخرجها الطبراني، قال الهيثمي : وفيه عمار بن مطر وهو ضعيف جداً وقد وثقه بعضهم^(٥) .

رواية الحاكم عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال : نزل الكتاب الأول من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من

(١) المستدرک (١/٥٥٣) .

(٢) مشكل الآثار : (٤/١٨٤) .

(٣) المسند : (١/٤٤٥) .

(٤) مجمع الزوائد : (٧/١٥٣) .

(٥) الجرح والتعديل : (٦/١٤٨) .

سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجراً وآمراً وحلالاً وحراماً ومُحَكِّماً
ومتشابهاً وأمثالاً فأحلُّوا حلاله وحرَّموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به
وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمُحَكِّمه وآمنوا
بمُتَّشابهه وقولوا آمنا به كلٌّ من عند ربنا . هذه رواية أبي سلمة . .
أما رواية فليلة الجعفي فقال : فزعت فيمن فزع إلى عبد
الله في المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم : إننا لم نأتك
زائرين ولكننا جئناك حين راعنا هذا الخبر . قال : إن القرآن أنزل
على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف ، وإن الكتاب
الأول كان ينزل أو ينزل من باب واحد على حرف واحد (١) .

وليس في رواية عمر بن أبي سلمة اختلاف مع رواية أبي
سلمة بن عبد الرحمن إلا أنه قال في آخر الحديث : فإن كلاً من عند
الله وما يذكركم إلا أولوا الأبواب . .

الحديث الخامس : أخرجه ابن جرير من وجهين عن شعبة :
رواه في أحدهما عن أبي اسحاق عمن سمع ابن مسعود ، وفي
الآخر عن عبد الرحمن بن عابس عن رجل من أصحاب ابن
مسعود قال : من قرأ منكم على حرف فلا يتحولنَّ منه إلى
غيره (٢) .

وروي مطولاً ، أخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن عابس
قال : ثنا رجل من همدان من أصحاب عبد الله وما سمناه لنا ،

(١) أخرجه أحمد : انظر مجمع الزوائد : (٧ : ١٥٢) . ولعل مقصودهم بالخبر الذي راعهم :

إحراق عثمان رضي الله عنه للمصاحف .

(٢) تفسير ابن جرير ط دار المعارف بمصر : (١ : ٥١) .

وأخرجه ابن جرير من رواية زبيد اليامي عن علقمة النخعي (١) عن ابن مسعود: وفيه يقول: إن هذا القرآن أنزل على حروف، والله إن كان الرجلان ليختصمان أشدَّ ما اختصما في شيء قط، فإذا قال القارىء: هذا أقرأني. قال: أحسنت. وإذا قال الآخر قال: كلا كما محسن، ثم يقول: إن هذا القرآن لا يختلف ولا يستثن ولا يثفه لكثرة الرد، فمن قرأه على حرف فلا يدعه رغبة عنه ومن قرأه على شيء من تلك الحروف التي علّم رسول الله ﷺ فلا يدعه رغبة عنه فإنه من جحد بآية منه يجحد به كله، فإنها هو كقول أحدكم لصاحبه اعجل وحيهلا، والله لو أعلم رجلاً أعلم بما أنزل على محمد ﷺ منى لطلبته حتى أزداد علمه إلى علمي .

وقال رضى الله عنه: وإن رسول الله ﷺ كان يُعارض بالقرآن في كل رمضان، وإني عرضت في العام قبض فيه مرتين فأبأني أنى محسن وقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة. هكذا في مسند الامام أحمد (٢).

وفي رواية ابن جرير: لا تنازعوا في القرآن فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ولا يتغير لكثرة الرد وإن شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف، ولكنه جامع ذلك كله لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ولا شيء من شرائع الاسلام .

(١) في إسناده عنتان: إحداهما على بن أبي النبي قال النسائي وأبو حاتم: متروك، والأخرى انقطاعه فزبيد اليامي لم يدرك علقمة... كما أن الروايات السابقة منقطعة الأسانيد إذ تدور كلها على رجل من أصحاب عبد الله لم يسم، ووصف بأنه من همدان. لكن معنى الحديث له شواهد وبعضه له أصل في الصحيح .

(٢) المسند: (٤٠٥/١).

وفيها: وقد كنت علمت أنه يُعَرَضُ القرآنُ عليه في كلِّ رمضان حتى كان عام قبض فُعْرض عليه مرتين فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أني محسن، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه، فإنه من جحد بأية جحد به كله (١).

(أما أبو هريرة) فوردت عنه ثلاثة أحاديث:

أولها: أخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أنس بن عياض عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (أنزل القرآن على سبعة أحرف والمراء في القرآن كفر - ثلاثا - ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم فردوه إلى عالمه) (٢). وأخرجه أيضا ابن جرير (٣) وأحمد في مسنده (٤).

وثانيها: أخرجه ابن جرير من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (أنزل القرآن على سبعة أحرف عليهم حكيم غفور رحيم) (٥). وأخرجه أحمد بإسنادين عن محمد بن عمرو، إلا أنه قال في أحدهما: (عليما حكيماً غفوراً رحيماً) بالنصب (٦).

(١) تفسير ابن جرير: (٥١/١).

(٢) صحيح ابن حبان: (ص ٧٣).

(٣) تفسير ابن جرير: (١: ١١).

(٤) المسند بتحقيق أحمد شاكر: (١٥: ١٤٦).

(٥) تفسير ابن جرير: (١: ٢٢).

(٦) المسند: (٢: ٣٣٢ و ٤٤٠) وذكره الهيثمي وزاد لفظاً آخر (عليما حكيماً غفوراً رحيماً).

ثم قال: رواه كله أحمد بإسنادين ورجل أحدهما رجال الصحيح رواه البزار بنحو (مجمع الزوائد

: ١٥١).

وثالثها: أخرجه ابن جرير من رواية محمد بن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة) (١).

وأخرجه الطحاوي من وجه آخر عن محمد بن عجلان (٢).
(أما معاذ بن جبل) فذكر حديثه الهيثمي ولفظه (أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ) رواه الطبراني ورجاله ثقات (٣).

(أما عبد الله بن عباس) فورد عنه حديث واحد من طريق عبد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود أخرجه البخاري (٤) في صحيحه من رواية عقيل ومن رواية يونس كلاهما عن ابن شهاب عن عبيد الله أن ابن عباس رضي الله عنهما حدثه أن رسول الله ﷺ قال: (أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)، وأخرج مسلم من رواية يونس (٥).

وأخرجه ابن جرير عن عقيل أيضا باختلاف يسير في لفظه قال (أقرأني جبريل القرآن على حرف فاستزدته فزادني ثم استزدته فزادني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) (٦).

(١) تفسير ابن جرير: (١: ٤٦).

(٢) مشكل الآثار: (٤: ١٨١).

(٣) مجمع الزوائد: (٧: ١٥٤).

(٤) صحيح البخاري: (في كتاب التفسير ٦: ٢٢٧، وفي كتاب بدء الخلق ٤: ١٣٧ وفي

كتاب الخصومات ٣: ١٦٠).

(٥) صحيح مسلم: (٦: ١٠١).

(٦) تفسير ابن جرير: (١: ٣١).

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١) ورواه عنه مسلم (٢) من رواية مَعْمَر عن ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام .

(أما عمرو بن العاص) فرُوى عنه حديث واحد من طريق مولاه أبي قيس واسمه عبد الرحمن ابن ثابت (٣) ، أخرجه أحمد في مسنده بإسنادين عن المخرمي (٤) قال : ثنا يزيد بن عبد الله بن الهاد عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : (نزل القرآن على سبعة أحرف ، على أى حرف قرأتم فقد أصبتم ، فلا تتهاروا فيه فإن المرء فيه كفر) (٥) .

والرواية الأخرى فيها تفصيل ، قال أبو قيس مولى عمرو بن

العاص :

سمع عمرو بن العاص رجلاً يقرأ آية من القرآن فقال : من أقرأكها؟ قال : رسول الله ﷺ . قال : فقد أقرأنيها رسول الله ﷺ على غير هذا . فذهبا إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يارسول الله آية كذا وكذا ثم قرأها ، فقال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت . فقال الآخر : يارسول الله . . فقرأها علي رسول الله ﷺ فقال : أليس هكذا يارسول الله؟ قال : هكذا أنزلت . . فقال

(١) المصنف (٥ : ٢١٩) .

(٢) صحيح مسلم (٦ : ١٠١) .

(٣) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب : (١٢ : ٢٠٧) .

(٤) هو عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، انظر تقريب التهذيب

(١ : ٤٠٦) .

(٥) المسند : (٤ : ٢٠٤) .

رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم فقد أحسنتم ولا تماروا فيه فإن المرء فيه كفر أو آية الكفر (١)
(أما حذيفة بن اليمان) فورد عنه حديث واحد أخرجه أبو عبيد من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن حذيفة (٢) .

ولفظه: قال ﷺ: لقيت جبريل عند أحجار المرأ فقلت: يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ العاني الذي لم يقرأ كتابا قط. فقال: انزل القرآن على سبعة أحرف .

وأخرجه أحمد من طريق ربعي بن خراش قال: حدثني من لم يكذبني يعنى حذيفة قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل وهو عند أحجار المرأ فقال: إن أمتك يقرأون القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منهم على حرف فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه . . وفي المسند: وقال ابن مهدي: إن من أمتك الضعيف فمن قرأ على حرف فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه (٣) . وقد سبق حديث عن أبي بن كعب بلفظ قريب من هذه الألفاظ .

(أما عبادة بن الصامت) فروى حديثه حماد بن سلمة عن حميد عن أنس عن عبادة، إلا أنه رواه مرة عن عبادة يرفعه إلى

(١) المسند: (٤: ٢٠٤) وقد أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام الحديث في فضائل القرآن فقال: ثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أسد عن محمد بن إبراهيم عن بسر بن سعيد . . . فذكر محمد بن إبراهيم بن يزيد وسر، ونعنه كذلك فيكون إسناد أحمد منقطعين مع أن رجاءها ثقات .

(٢) فضائل القرآن (مخطوط) (بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٧٦١٦) وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار من وجه آخر عن عاصم (٤: ١٨١) .

(٣) المسند: (٥: ٣٨٥) .

النبي ﷺ، ومرة عنه بواسطة أبي بن كعب، فقد أخرج الطحاوي الحديث بإسنادين صحيحين (١) عن عفان بن مسلم قال ثنا حماد بن سلمة أنا حميد عن أنس بن مالك عن عبادة وأخرجه ابن جرير (٢) بإسناد صحيح عن أبي الوليد الطيالسي قال ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس عن عبادة عن أبي بن كعب . . فزاد أبي بن كعب، وكل من عفان والطيالسي تلميذ حماد من الثقات الحفاظ فلا شك في أن الاضطراب جاء من حماد وهو وإن كان ثقة إلا أنه له أوهام وتغير حفظه في آخر عمره .

(أما سليمان بن صرد الخزاعي) فقد روى حديث أبي بن كعب السابق ذكره، لكنه رواه مرة فذكر أياً ومرة لم يذكره . .

ذلك أنا وجدنا أسانيد صحيحة (٣) عن أبي اسحاق السبيعي عن سليمان عن أبي بن كعب وذكروا حديثه . .

ووجدنا أيضاً أسانيد صحيحة عن همام بن يحيى (٤) عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان عن أبي . .

ثم وجدنا إسنادين صحيحين (٥) عن شريك عن أبي اسحاق عن سليمان ولم يذكر أبي بن كعب، ثم وجدنا العوام بن حوشب أحد الرواة عن أبي اسحاق اختلفت الرواية عنه، فروى

(١) مشكل الآثار : (٤ : ١٨١) .

(٢) تفسير ابن جرير : (١ : ٣٤) .

(٣) عند أبي عبيد في فضائل القرآن، ومحمد بن منيع ذكره ابن كثير في فضائل القرآن . .

(٤) عند الطحاوي في مشكل الآثار .

(٥) عند الطحاوي وابن جرير .

عنه إسحاق بن يوسف الأزرق فلم يذكر أبى بن كعب (١) ، وروى عنه يزيد بن هارون فذكر ابياً (٢) ، والأزرق ثقةٌ ويزيد ثقةٌ عابد متقن .

فالذى يظهر من هذا كله - والله أعلم - أن سليمان بن صرد رضى الله عنه لما روى الحديث ذكر مرة واسطته ولم يذكرها أخرى ، ولا ضرر من إرسال الصحابي ، فسمع الرواة منه كلتا الحالتين فحدثوا بهما .

(أما أنس بن مالك) فروى الحديث بواسطة أبى بن كعب أيضاً ، وأخرج روايته النسائي وأبو عبيد وابن جرير وأحمد كلهم من طريق حميد الطويل (٣) :

(أما أبو طلحة الأنصاري) فروى الحديث بواسطة عمر بن الخطاب ، وليس فيه التصريح بالأحرف السبعة ، لكنه متضمن معناها ، وفيه إشارة إلى الواقعة السابقة في الروايات الأخرى بين عمر وهشام (٤) .

(أما أبو بكر الأنصاري) فأخرج حديثه ابن جرير (٥) وأحمد (٦) والطبراني (٧) والطحاوي (٨) ، كلهم عن علي بن زيد بن

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة وذكره ابن كثير في الفضائل : (ص ٦١)

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائله .

(٣) سبق ذكره عند الكلام على حديث أبى بن كعب .

(٤) ابن جرير : (١ : ٢٥) ، وسبق عند الكلام على حديث عمر مع هشام .

(٥) ابن جرير : (١ : ٤٣) .

(٦) المسند : (٥ : ٥١) .

(٧) مجمع الزوائد : (٧ : ١٥١) .

(٨) مشكل الآثار : (٤ : ١٩١) .

جُدَعَانُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ جَبْرِيلُ : اقْرَأُوا الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدُّهُ ، فَقَالَ : عَلَى حَرْفَيْنِ ، حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ ، فَقَالَ : كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ ، مَا لَمْ يَخْتَمِ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ ، كَقَوْلِكَ هَلُمَّ وَتَعَالَ . هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَعَلَى بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدَعَانَ ضَعِيفٌ رَوَى لَهُ مُسْلِمٌ مَقْرُونًا .

قال الهيثمي بعد أن ذكر حديث أبي بكرة : رواه أحمد والطبراني بنحوه وفيه على بن زيد بن جدعان وهو سىء الحفظ وقد تويع وبقيه رجال أحمد رجال الصحيح (١) .

(أما أبو جهيم بن الحرث الأنصاري) فأخرج حديثه ابن جرير (٢) وأبو عبيد (٣) وأحمد (٤) والطحاوي (٥) كلهم من رواية يزيد بن خصيفة عن بشر بن سعيد، إلا أن أبا عبيد قال : عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي ، ثم قال : وقال غيره عن بشر بن سعيد - هكذا بالثلثة - .

والذي يظهر لي أن الذي سمع الحديث من أبي جهيم هو بشر بن سعيد المدني العابد مولى ابن الحضرمي وهو تابعي جليل روى عن جمع من الصحابة منهم أبو جهيم ، أما مسلم ابن سعيد المذكور فلم أعرفه فلعل الرواي غلط في اسمه أعني شيخ أبي عبيد، وهو اسماعيل ابن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقى .

(١) مجمع الزوائد : (٧ : ١٥١) .

(٢) تفسير ابن جرير : (٤٣/١) .

(٣) فضائل القرآن (مخطوط) .

(٤) المسند : (٤/١٦٩) .

(٥) مشكل الآثار : (٤/١٨١) .

ولفظ حديث أبي جُهَيْم كما ورد في رواية ابن جرير: إن رجلين اختلفا في آية من القرآن فقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ ، وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله ﷺ ، فسألا رسول الله ﷺ فقال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن فإن المرء فيه كفر .

(أما سَمُرَة بن جُنْدَب) فرُويت عنه روايتان مختلفتان، رواهما حماد بن سلمة . .

فقد أخرج أحمد في مسنده قال: ثنا بهز ثنا حماد بن سلمة أنا قتادة عن الحسن عن سَمُرَة (وذكر حديث السبعة) (١) .

قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني في الثلاثة ورجال أحمد وأحد إسناده الطبراني والبزار رجال الصحيح، ثم قال: وعن سَمُرَة قال: إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نقرأ القرآن كما أقرئناه وقال: إنه أنزل على ثلاثة أحرف فلا تختلفوا فيه فإنه مبارك كله فاقروا كالذي أقرئتموه .

قال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار وقال: لا تجافوا عنه بدل ولا تحاجوا فيه وإسنادهما ضعيف (٢) .

وروى أبو عبيد حديث سَمُرَة عن عفان عن حماد إلا أنه ذكر لفظ الثلاثة .

وهذه رواية مشكلة، فقد خالفت رواية بهز عن حماد، وبهز بن أسد العمي ثقة ثبت بل قال العجلي: هو أثبت الناس في حماد بن سلمة، كما أن عفان بن مسلم ثقة أيضا، لكن روايته شاذة،

(١) المسند : (١٦/٥) .

(٢) مجمع الزوائد : (١٥٢/٧) .

والمقدم هنا رواية بهز لكونه أوثق منه ، مع أن رواية (الثلاثة) خالفت المحفوظ المتواتر، وقد عدها الذهبي من مناكير حماد(١) .

(أما أم أيوب الأنصارية) فروى حديثها سفيان بن عيينة رحمه الله عن عبيد الله بن أبي يزيد عنها، أخرجه ابن جرير من وجهين صحيحين عن سفيان(٢) وأخرجه أحمد بإسناد صحيح عنه أيضا، قال ابن كثير بعد أن ذكر رواية أحمد: وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة(٣) .

ولفظ حديثها رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : أنزل القرآن على سبعة أحرف، أيها قرأت أصبت(٤) .

وقد روى حديث الأحرف السبعة عن آخرين من أصحاب رسول الله ﷺ بأسانيد ضعيفة منهارة، منها ما رواه الطبراني عن عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد، قال الهيثمي: فيه عمار بن مطر وهو ضعيف جدا وقد وثقه بعضهم(٥) .

ومنها ما رواه الطبراني أيضا عن أبي سعيد الخدري، قال الهيثمي: فيه ميمون بن حمزة وهو متر وك(٦) .

(١) ميزان الاعتدال : (١/٥٩٤)، وقد ذكر الحافظ ابن كثير روايتي بهز وعفان وذكر لفظ السبعة وعزاه إلى المسند، والذي في النسخة المطبوعة من المسند لفظ الثلاث من رواية عفان، فلعل ابن كثير اطلع على نسخة أخرى من المسند هي التي اطلع عليها الحافظ الهيثمي فقد ذكر لفظ السبعة وعزاه إلى المسند، وعلى كل حال لا يقوى هذا الإسناد على الوقوف في وجه الرواية المتواترة وفيه علتان: حماد بن سلمة ثقة له أوهام ولعل هذا من أوهامه، وعنينة قتادة وهو مدلس .

(٢) تفسير ابن جرير : (١ : ٣٠) .

(٣) فضائل القرآن : (ص ٦١) .

(٤) تفسير ابن جرير : (١ : ٣٠) .

(٥) مجمع الزوائد : (٧ : ١٥٣) .

(٦) مجمع الزوائد : (٧ : ١٥٣) .

ومنها ما أخرجه ابن جرير بسند هالك عن يزيد بن أرقم،
وفيه عيسى بن قرطاس، كذاب (١).

قال أبو مجاهد: فهذا حديث الأحرف السبعة، قد أجمع
كل هؤلاء الأئمة الأعلام من أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين،
ومن بعدهم من المحدثين، على روايته ونقله للأمة، ومما سبق
عرضه من أسانيده يتبين لك أنه متواتر الإسناد، قد روته الجماهير
في كل طبقة ونقلته الجموع الغفيرة من كل جيل، فلا شك في
تواتره ولا ارتياب، بل وجدنا جميع الروايات صحيحة وضعيفها
أطبقت على لفظة السبعة، وأجمعت على جزء من العبارة هو قوله
(على سبعة أحرف)، إلا ما كان من رواية عفان عن حماد في
حديث سمرة وقد سبق تفنيدها وردها.

لكننا عندما استقرأنا ألفاظ الحديث من جميع طرقه لم نجد
عبارة مرادفة تفسر لنا المقصود من الأحرف السبعة تفسيراً شافياً
يحسم مادة النزاع ويغلق باب الخلاف، فذهبنا نبتغي الجواب عند
العلماء المحققين وأهل الدقة والغوص في المعاني من المستنبطين،
فإذا الأمر جلل والخطب عظيم، حتى عدَّ هذا الحديث من
المشكلات والمتشابهات، وفوض قوم أمر فهمه وإدراك معناه إلى
مُنزِّل الآيات البينات.

فصح العزم من الفقير إلى عفوربه على أن يغوص في
معنى هذا الخبر العظيم، إذ لم يقبل عقله أن يكون من المتشابهة،
لشدة مساسه بكتاب الله، وخطورة مدلوله عليه، فوجد أنه لا بد
من سلوك طريق مستقيمة في البحث والدراسة، ولا بد من اتخاذ

(١) تفسير ابن جرير (١: ٢٤).

منهج دقيق في النظر والمقارنة، إذ لا ينفع فيه النظر من بعض نواحيه، ولا يكشف مكنونه إدراك بعض معانيه، فهذه طول التفكير إلى أن يختط طريقة في هذا البحث تتركز على أربع نقاط:

١ - المقارنة بين روايات الحديث وألفاظه المختلفة الثابتة وقد سبق ذلك .

٢ - استعراض جميع أقوال العلماء المحققين في هذا الخبر، وعرضها على رواياته وألفاظه، والمقارنة بينها .

٣ - عرض الجميع على واقع القراءات المتواترة الموجودة بين أيدينا كاملة غير منقوصة، والمقارنة بين تلك الروايات والأقوال وبين هذه القراءات .

٤ - محاولة الكشف عن المراد بالأحرف السبعة من خلال تلك المقارنات، وما يترتب عليها من مناقشات، وما ينتج عنها من نتائج .

أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة :

اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً، حتى بلغت الأقوال التي عدها السيوطي في الإتيان^(١) أربعين قولاً، ولكن لا تهولنك هذه الكثرة، ولا يفزعنك هذا التعداد، فمعظم هذه الأقوال لا قيمة له من حيث الدليل والنظر، وعند التمحيص نجد أن الذي يستحق المناقشة منها ستة أقوال:

(١) الإتيان : (ص ١٣١) .

(الأول) : أن هذا الحديث من المشكل المتشابه الذى لا يُعلم معناه، وذلك لأن (الحرف) مشترك لفظى يصدق على معانٍ كثيرة، ولم يُعين المراد منها فى الحديث وقد نُسب هذا القول الى ابن سعدان النحوى (١).

(الثانى) : أن حقيقة العدد ليست مرادة، وذلك لأن لفظ السبعة يُطلق فى لسان العرب ويُراد الكثرة فى الآحاد، كما يطلق لفظ السبعين ويراد الكثرة فى العشرات، وكأن مراد هؤلاء أنه رُخص للصحابة أن يقرأ كل منهم بلغته دون تحديد، وهذا يؤدى إلى القول بمشروعية القراءة بالمعنى، وقد نُسب هذا القول إلى القاضى عياض (٢).

(الثالث) : أن المقصود سبعة أصناف من المعانى والأحكام: هى: الحلال والحرام، والأمر، والزجر، والمحكم، والمتشابه، والأمثال.

(الرابع) : أن المراد سبع لغات من لغات العرب الفصحى أنزل القرآن بها، فهى متفرقة فيه وبعض هذه اللغات أسعد حظاً بالقرآن من بعض، وهذا قول أبى عبيد القاسم بن سلام، ونصره البيهقى فى شعب الإيمان.

(الخامس) : قال ابن جرير الطبرى: ان هذه اللغات السبع تكون فى الكلمة الواحدة فى الحرف الواحد باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال،

(١) محمد بن سعدان الضرير الكوفى النحوى المقرئ أبو جعفر، ت سنة ٢٣١ (بغية الوعاة

١/١١١).

(٢) أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى، ت سنة ٥٤٤ (الديباج المذهب ٤٦/٢).

وإلى، وقصدي، ونحوي، وقربى، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق، وتتفق فيه المعانى وإن اختلفت بالبيان الألسن .

ثم قال: ان هذه اللغات لم تبق جميعها، بل إن عثمان رضى الله عنه جمع المسلمين على حرف واحد ومصحف واحد، وخرق مصحفاً مخالفاً للمصحف الذى جمعهم عليه، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذى جمعهم عليه أن يمزقه، فاستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التى عزم عليها إمامها العادل فى تركها طاعةً منها له، ونظراً منها لأنفسها ولن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها، وتعتت آثارها، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها (١) .

وقد اختلفوا فى تحديد اللغات السبع التى فسروا بها الأحرف، فقال أبو عبيد: عن سعيد ابن عروبة عن قتادة عمى سمع ابن عباس يقول: نزل القرآن بلغة الكعبيين، كعب قريش وكعب خزاعة، قيل له: وكيف ذاك؟ قال: لأن الدار واحدة. وقال أبو عبيد: ويروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجّز من هوازن .

قال أبو عبيد: والعجّز هم: سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، وهذه القبائل هى التى يقال لها عُلّيا هوازن .

(١) تفسير ابن جرير: (٥٧/١ - ٦٤) .

وقال أبو حاتم السجستاني (١) : نزل بلغة قريش، وهذيل،
وتميم، والأزد، وربيعه وهوازن، وسعد بن بكر.
وذهب أبو علي الأهوازي (٢) إلى أن اللغات السبع كلها في
بطون قريش .

وذهب بعضهم إلى أنها كلها في مُضَر .
وحكى ابن عبد البر عن بعضهم أنها: هذيل، وكنانة،
وقيس، وضبة، وتيم الرباب، وأسد بن خزيمة، وقريش .
فهذه قبائل مضر تستوعب في قولهم سبع لغات (٣) .

(القول السادس) : ذهب أبو محمد عبد الله بن مسلم بن
قتيبة، وأبو الفضل الرازي المقرئ، ومحمد بن الجزري المقرئ،
إلى أن المراد بالأحرف السبعة: الأنواع التي يقع بها التغاير
والاختلاف في الكلمات القرآنية ولا يخرج عنها وقد اتفقوا على أنها
سبعة، ثم اختلفوا في تعيينها وحصرها، فقال ابن قتيبة (٤) : فقد
تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه :

١ - الاختلاف في إعراب الكلمة أو حركة بنائها بما لا
يُزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى :
﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ ﴾ و ﴿ أَطْهَرُ ﴾ .

(١) سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني، ت سنة ٢٥٠ (بغية الوعاة

٦٠٦/٢) .

(٢) الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأستاذ أبو علي الأهوازي شيخ القراء

بالشام في عصره، ت سنة ٤٤٦ (١/٢٢٠) .

(٣) الإِتْقَان (١/١٣٥) .

(٤) تأويل مشكل القرآن : (ص ٢٨) .

٢ - أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها
بما يغير معناها ولا يُزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله
تعالى : ﴿ رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ﴾ و ﴿ رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ
أَسْفَارِنَا ﴾

٣ - أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما
يُغير معناها ولا يُزيل صورتها، نحو قوله ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ
كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ و ﴿ نُنشِرُهَا ﴾ .

٤ - أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في
الكتاب ولا يُغير معناها، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا رَقِيَّةً
وَاحِدَةً ﴾ و ﴿ صَيِّحَةً ﴾ .

٥ - أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها
ومعناها، نحو قوله تعالى : ﴿ وَطَلَعَ مَنْضُودٍ ﴾ في موضع
﴿ وَطَلَّجَ مَنْضُودٍ ﴾ .

٦ - أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله
تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ وفي قراءة أخرى
﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ .

٧ - أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله
تعالى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ و ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ ونحو
قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ و ﴿ إِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴾ .

وقال أبو الفضل الرازى (١) هى :

١ - اختلاف أوزان الأسماء من الواحد والتثنية والجمع والتذكير والمبالغة وغيرها .

٢ - اختلاف تصريف الأفعال وما تسند إليه ، نحو الماضى والمستقبل والأمر ، وأن يسند إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به .

٣ - وجوه الاعراب .

٤ - الزيادة والنقصان .

٥ - التقديم والتأخير .

٦ - القلب والإبدال فى كلمة بأخرى ، أو أحرف بأخر .

٧ - اختلاف اللغات .

وقال ابن الجزرى (٢) :

إننى تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها ، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها :

١ - إما فى الحركات بلا تغيير فى المعنى والصورة ، نحو «البخل» بأربعة أوجه ، و«يَحْسِبُ» بوجهين .

٢ - أو بتغيير فى المعنى فقط نحو «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ» و«أَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ» و«إِمْهٍ» .

٣ - وإما فى الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو «تَبَلَّوْا» و«تَتَلَّوْا» و«نُنَجِّيكَ» و«نُنَحِّيكَ» .

(١) ذكره السيوطى وعزاه إلى كتاب (اللوائح) لرازى - هكذا فى الإتيقان صبعة أبى الفضل

إبراهيم - وصوابه : (اللوامح) بالميم .

(٢) النشر (١/٢٦) .

٤ - أو عكس ذلك نحو «بَصَّطَةٌ» و «بَسَّطَةٌ» و «الْصِّرَاطُ» و «السِّرَاطُ» .

٥ - أو بتغيرهما معا نحو «أَشَدَّ مِنْكُمْ» و «مِنْهُمْ» و «يَأْتَلِ» و «يَتَّالٍ» و «فَأَمْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» (١) .

٦ - وإما في التقديم والتأخير ، نحو «فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ» و «جَاءَتْ سَكْرَةٌ بِالْحَقِّ بِالْمَوْتِ» (٢) .

٧ - أو في الزيادة والنقصان نحو «وَأَوْصَى» و «وَوَصَّى» ، و «الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى» (٣) .

قال أبو مجاهد : فهذه ستة أقوال مما ذكروا في معنى الأحرف السبعة تنبغى مناقشتها ، ويحسن عرضها على الدليل ، وامتحان حقيقتها بنيران النظر وهيب التمحيص ، فإذا انكشفت حقائقها خلص لنا القول المختار بلا منازع .

وهذا أوان الشروع في عرضها على ما قدمناه في أول البحث من نصوص المسألة ، وسوف نعرضها كذلك على القراءات الثابتة المتواترة ، وسنجدها حينئذ تنهار واحدة إثر أخرى ، ولا تقوى سوقها على النهوض أمام الاعتراضات الواردة عليها وسنين إن شاء الله بعد ذلك القول المختار السالم من المعارض ، المؤيد بالبراهين ، المؤتلف مع القراءات القرآنية .

مناقشة الأقوال السابقة :

١ - القول بأن هذا الحديث متشابه لا يُعلم معناه : إن كان عند قائله فحسب فلا حرج عليه ، أما إن كان المقصود الاطلاق ،

(١) مع القراءة المتواترة «فَأَسْعَوْا...» .

(٢) مع القراءة الأخرى «فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ» ، وفي المثال الآخر أراد مع القراءة المتواترة «وَجَاءَتْ سَكْرَةٌ بِالْحَقِّ بِالْمَوْتِ بِالْحَقِّ» .

(٣) أراد مع القراءة المتواترة «وَمَا خَلَقَ الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى» .

فبرده ما ثبت فى نص الحديث من أن النبى ﷺ أمر بأن يُقرىء أمة هذه الأحرف، وقد فعل، وأمر أمة أن تقرأ القرآن بهذه الأحرف، وقد فعلت، فقرأ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين القرآن على النبى ﷺ بالأحرف السبعة، فهى معلومة لديهم، أولدى كثير منهم، وقد أقرأوا الناس بها، وتناقلتها الأمة فى مختلف العصور، إلى أن بلغتنا بالأسانيد المتصلة، فكيف تكون مع ذلك كله من المتشابه الذى لا يدرك كنهه، ولا يعرف معناه، إلا إن أراد صاحب هذا القول أن الصدر الأول كانوا قد علموها، وقرأوا بها، ثم اندثر علمها وتعفت من الناس آثارها، فهذا منحى من الفهم يتفق مع ما ذهب إليه ابن جرير وستأتى مناقشته إن شاء الله .

لكننا نعجل منها بالقول: إن الثابت من القراءات القرآنية التى هى بين أيدينا اليوم، يحمل فى طياته هذه الأحرف، ولم يختلف أهل التحقيق فى أن القراءات العشر المتواترة مشتملة على معظم تلك الأحرف، بل هى مشتملة على جميع الأحرف التى أثبتت فى العرصة الأخيرة، لأن الله قد تكفل بحفظ القرآن فلا يصح أن يكون شىء منه قد ضاع أو نسى أو اندثر، ويلزم من هذا أن تكون الأحرف المنزلة فى العرصة الأخيرة كلها محفوظة، حتى تتلقاها الأمة فى كل زمان وعصر بالقبول، إلى أن يأذن الله برفع القرآن. ومما رُدَّ به على أصحاب هذا القول، النص فى الحديث على أن الحكمة من إنزال الأحرف السبعة هو التيسير على الأمة، فكيف يتحقق التيسير بشىء مجهول، وهل نقصر الرخصة بها على الصدر الأول واللفظ عام يشمل الأمة كلها؟

أما لفظ (الحرف) فهو وإن كان مشتركاً لفظياً كما ذكروا إذ يصدق على معانٍ كثيرة، إلا أن القرائن بينت المراد منه ومعناه، كما سيأتى بيانه بالتفصيل .

٢ - القول بأن حقيقة العدد غير مرادة وأنه كان مرخصاً للصحابة أن يقرأوا بالمعنى وأن يبدلوا اللفظ المنزل بمرادفه من ألسنتهم :

سبب هذا القول شبهة التبست على قائله، فقد فهم من ظاهر الحديث المروى عن أبي ، وعن أبي هريرة، وعن أبي بكر، مرفوعاً إلى النبي ﷺ : أنه مثل للأحرف بقوله : (عليماً حكيماً غفوراً رحيماً)، وفي رواية أنه قال عقب ذلك : (فاقرأوا ولا حرج ولكن لا تحتموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة) (١) ، ومن ظاهر الأثر المروى عن ابن مسعود موقوفاً أنه قال : إني سمعتُ القراءَةَ فوجدتهم متقاربين، فاقرأوا كما علمتم، وإياكم والتنطع، فإنها هو كقول أحدكم : هلم وتعال وأقبل (٢) .

فهموا من ظاهر هذه الأخبار أنه كان مرخصاً للصحابة أن يبدلوا ألفاظ القرآن المنزلة، وليس كذلك :

فإن الحديث المذكور غاية ما يفيدُه : أن النبي ﷺ أراد التمثيل لنوع التغيرات والاختلاف الواقع بين هذه الأحرف السبعة المنزلة، وأنه ليس هناك تضاد ولا تناقض في المعنى بين حرف وآخر حتى يلزم منه ما توهمه بعضهم من وقوع الاضطراب في القرآن، فالاختلاف بين هذه الأحرف اختلافٌ تنوع، فهو يشبه الاختلاف

(١) انظر ما سبق في حديث أبي، وحديث أبي هريرة، وحديث أبي بكره

(ص ٣٨، ٤٧، ٥٣) .

(٢) انظر ما سبق في حديث ابن مسعود (ص ٤٦) .

بين : عليهما حكيماً و غفوراً رحيماً ، فإنها كلها صفات لله عز وجل ،
فإن وُصِفَ مرةً بأنه غفور رحيم ومرةً بأنه عليم حكيم لم يلزم من
ذلك تناقض في المعنى ، فكذلك الشأن في الاختلاف الموجود بين
الأحرف المنزلة .

والذى سوغ لنا هذا التأويل قولُ على رضي الله عنه بأمر
النبي ﷺ : (إن رسول الله يأمركم أن تقرأوا كما علمتم) (١) وقد
سبق ذكره ، فهذا صريح في أن القراءة لا تجوز إلا بما ثبت نقله
وسُمِعَ من النبي ﷺ ، وعلى هذا التأويل أيضاً نحمل قولَ ابن
مسعود المذكور ، بدليل قوله هو أيضاً رضى الله عنه (فاقروا كما
علمتم) .

وقد أخبر رسولُ الله ﷺ بأن جبريل عليه السلام قال له :
(إن الله يأمرك أن تُقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف) ،
وهذا صريح أيضاً في أن ما لم يُقرىء به النبي ﷺ فليس من
الأحرف السبعة المرخص بها .

ثم إن الصحابة الذين نُقل إلينا أنهم اختلفوا في القراءة
وأنكر بعضهم على بعض في بادىء الأمر ، لم يُنقل إلينا أن أحداً
منهم قرأ بشيءٍ من عند نفسه وباجتهاده ، بل كان كل واحد منهم
يقول : أقرأني النبي ﷺ .

وبهذا يتبين أن الرخصة كانت مقيدة بما أنزل على رسول الله
ﷺ وما أقرأ به ، وأنه لم يكن مباحاً لأحدٍ من الصحابة ولا لأحدٍ من
الأمّة أن يُقرأ إلا بما تلقى عن رسول الله ﷺ ، فإذا ثبت هذا بطل

(١) سبق : (ص ٣٣) .

قولهم إن حقيقة العدد ليس مراداً، وأنه من قبيل ما استعملته العرب وأرادت به الكثرة، فيقال: ليس هذا من ذلك، لأن النصوص الواضحة دلت على تحديد العدد... كما قدمنا، وسوف يأتي مزيد بيان لهذه المسألة .

٣ - القول بأن الأحرف السبعة: أصنافٌ من المعانى والأحكام :

سبب الشبهة لدى صاحب هذا القول، ما فهمه من ظاهر حديث ابن مسعود الذى رواه الحاكم وغيره أن النبي ﷺ قال: (نزل الكتاب الأول من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجراً وأمراً وحلالاً وحراماً ومحكماً ومتشابهاً وأمثالاً...) (١) فظن أن هذه الأنواع المذكورة تفسير للأحرف، وليس كذلك، فإن النبي ﷺ بعد أن أخبر بخبر الأبواب والأحرف استطرد زيادة في الفائدة فذكر أمراً ثالثاً لا علاقة له بهما، وهو ما تدور حوله معانى القرآن من مقاضد، ولذلك نُصبت على الحالية، والتقدير: نزل القرآن حال كونه زاجراً... الخ .

وما ثبت في الروايات يبين بشكل قاطع أن الأحرف وجوه يُقرأ بها، كقول النبي ﷺ: (أقرأني جبريل...)، وقول عمر: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها رسول الله ﷺ .

ثم كيف يكون معنى قوله ﷺ: (أقرأني جبريل على حرف...) عند صاحب هذا القول؟

(١) انظر ما سبق في حديث ابن مسعود: (ص ٤٤) .

أيكون معناه: أقرأه الحلال فقط، أو الأمر، أو الزاجر فحسب، أو الأمثال ولا شيء غيرها. .؟ ويكفيينا في الرد على هذا القول ما ثبت عن روى حديث الأحرف عن عمرو ابن عباس، وهو إمام الحفاظ من التابعين: ابن شهاب الزهري فقد قال: بلغني أن تلك الأحرف السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام .

ومعنى قوله - بلغني - أي عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وروى ابن جرير عن محمد بن سيرين أنه قال: لا تختلف في حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى هو كقولك: تعال وهلم وأقبل . قال: وفي قراءتنا « **إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيْحَةً وَاحِدَةً** » وفي قراءة ابن مسعود « **إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً** » (١) .

٤ - القول بأن الأحرف سبع لغات من لغات العرب الفصحى، وأنها متناثرة في القرآن وبعضها أسعد حظاً فيه من بعض :

هذا القول وإن كان أقوى من الأقوال السابقة، إلا أنه تضعفه أمور منها: اختلاف أصحابه في تعيين تلك اللغات وحصرتها، إذ يلزمهم ذلك تبعاً لكون الأحرف السبعة في الحديث محصورةً ومعينة العدد، فلو كان المراد بها ما قالوه، لما خفى على الصحابة تعيينه، وهم كما سبق قد أقرئوا تلك الأحرف، وقرأوها، ولما خفى علينا وقد بلغنا معظم تلك الأحرف، وهو بين أيدينا اليوم .

(١) تفسير ابن جرير : (٥٣/١) .

أما الأثران المرويان عن ابن عباس رضى الله عنهما فلا تقوم
بهما حجة، لضعف إسناد كل منهما، فأولهما رواه قتادة عن مجهول لم
يعينه فهو منقطع، والآخر من رواية الكلبي وهو كذاب (١).
ومنها أن المتأمل في القراءات القرآنية يجدها مشتملة على
لغات كثيرة لا تنحصر فيها ذكروا، بل إننا نجد نفس أصحاب هذا
القول من اللغويين يذكرون من لغات العرب في القرآن الشيء
الكثير، الذي يجعلنا أحياناً نشك في دقة معلوماتهم فيها، بل إن أبا
عبيد نفسه ألف كتاباً جمع فيه عدداً كبيراً من مفردات القرآن نسبها
إلى مختلف لغات العرب، ولا نجد لها منحصرة فيما ذكروا.
كما أنه يرد عليهم ما روى عن عمر بن الخطاب وهو قوله
لابن مسعود:

إن القرآن أنزل بلغة قريش فأقرىء الناس بلغة قريش ولا
تقرئهم بلغة هذيل (٢).

وما ثبت في صحيح البخارى عن عثمان وهو قوله لكتاب
المصحف: إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شىء من القرآن
فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم (٣).

فهذان الأثران صحيحان في أن القرآن: ليست فيه إلا لغة
واحدة ولسان واحد: لغة قريش ولسانهم.
وفي قول عمر نهى لابن مسعود عن أن يُقرىء، أحداً، بلغة
هذيل، وهى واحدة من القبائل الرئيسية التى ذكر أبو عبيد وغيره
أن القرآن أنزل بها.

(١) راجع ما سبق: (ص ٥٩).

(٢) إيضاح الوقف والابتداء للأبىبارى: (١٣/١).

(٣) فى التفسير من صحيحه، باب جمع القرآن: (٢٢٦/١).

وإلى أن نجيب نحن على الإشكال الذى يحمله هذان الأثران لا نملك إلا أن نتساءل، كيف يجب أصحاب هذا القول عليه ؟ .

وما هو التأويل الذى يجدون فيه مخرجاً لهم ؟ .
٥ - قول ابن جرير الطبرى : وهو ذوشقين : أولهما :
أن المراد بالأحرف السبعة استعمال المفردات المختلفة الألفاظ
للمعنى الواحد، أخذاً من المثال الذى ضربه ابن مسعود وهو
قوله : (إنما هو كقول أحدكم هلم وتعال وأقبل) .
وقد ذكرنا أنه لم يكن مراده رضى الله عنه الحصر، وإنما مراده
تقريب الأمر إلى الأذهان بذكر نوع واحد من أنواع الاختلاف
الموجودة فى الأحرف السبعة .

واستقراء القراءات القرآنية الثابتة يردُّ قول ابن جرير رحمه
الله ، فإنها مشتملة على أنواع متعددة من أنواع التغاير
والاختلاف : والترادف واحد منها .

ثم إن العرب : إنما يقع أكثر اختلافهم فى اللهجات ، من
إدغام وفك ، وفتح وإمالة ، وهمز وتخفيف ، ومد وقصر ، ونحو ذلك
فالمشقة عليها فى هذا الباب أعظم من المشقة فى استعمال هلم
مكان أقبل أو تعال . .

فتفسير الأحرف بهذا النوع يحصرها فيه ، ومقتضاه : أن بقية
الأنواع هى على حرف واحد : ومنها اللهجات . .

وهذا يتنافى مع الحكمة التى من أجلها أنزلت الأحرف ،
وهى التيسير على الأمة التى تختلف ألسنتها ، وأكثر اختلاف

الألسن عندها هوفى اللهجات، كما أنه يتنافى مع القراءات الثابتة المتواترة .

ثانيهما: أن عثمان رضي الله عنه أثبت في مصحفه الذى أجمع عليه المسلمون حرفاً واحداً، وأطرح الأحرف الستة الباقية . وهذا قول عجيب - فى غاية الضعف - ، فإنه دعوى بنسخ بعض القرآن بإجماع الصحابة، إذ أن كل حرف من الأحرف المنزلة هو قرآن، فكيف يحق لعثمان أو لأى أحد من الصحابة، بل للصحابة مجتمعين، إلغاء شىء من القرآن بغير نص صريح من الشارع عز وجل ؟ .

فإن قلنا تنزلاً مع ابن جرير - رحمه الله - : إن الأمة كانت مخيرة فى الأخذ بهذه الأحرف أو تركها، وإنها لم تكن ملزمة بالقراءة بها جميعها، لأنها كانت رخصة رخص الله بها . . فإننا نقول: إن التخيير كان فى القراءة بواحد من تلك الأحرف حسبما يتيسر للقارىء ويسهل عليه، ولم يكن التخيير فى نقل الأحرف، بل كانت الأمة ملزمة بنقلها جميعاً، لأن كل حرف منها بمنزلة الآية، ولم يكن عثمان أو الصحابة جميعاً مفوضين فى إلغاء شىء منها . وهناك فرق واضح بين أن يكون المكلف مخيراً بين الأخذ برخصة الفطر فى السفر والعزيمة على الصيام، وبين أن يلغى هذه الرخصة فيحرم على نفسه وعلى الأمة الفطر ويحمل الناس على الصيام .

ثم كيف يسوغ للصحابة إلغاء هذه الرخصة - رخصة الأحرف السبعة - والحكمة منها لا تزال قائمة، بل هى أشد وضوحاً بعد دخول الناس من مختلف الألسنة والأجناس فى الاسلام، أفيشق الأمر على القرشى والهدلى وهما أبناء لغة

واحدة، ولا يشق على الأعاجم ؟ .
أوليس في الأمة إلى يوم القيامة: العجوز، والصبي،
والجارية، والشيخ الفاني أو العاسى، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً
قط، والذى يعصيه لسانه ولا يسلس في النطق .
لاشك أن المشقة قائمة على الأعاجم المتباينة ألسنتها
ولغاتها، فهي أشد حاجة إلى التيسير، وأكثر مساساً بالرخصة .
ثم لا ندرى كيف يتخرج على رأى ابن جرير هذا: وجود
الأوجه المتعددة من القراءات في مصاحف عثمان، وكلها مثبتة
فيها، سواء برسم واحد أو برسمين مختلفين ؟ .
أهى خارجة عن الأحرف السبعة، أم هى أحرف أخرى
داخلة ضمن حرف واحد ؟ .

إن الحق في هذه المسألة الذى عليه المحققون: أن شيئاً من
الأحرف المنزلة الثابتة في العرضة الأخيرة لم يهمله عثمان ولم
يطرحه، ولا فعل ذلك سلفه أبوبكر الصديق رضى الله عنهم
أجمعين، وأن الأحرف الثابتة في العرضة الأخيرة باقية ضمن
مصاحف عثمان، وأن الرخصة بها قائمة لكل الأمة إلى يوم
القيامة .

٦ - قول ابن قتيبة، والرازى، والجزرى: إن المراد
بالأحرف أنواع التغيرات والاختلاف وأن هذه الأنواع سبعة .
نردُّ على هذا القول بأمور :
منها: أنه يلزمهم حصر هذه الأنواع وتعيينها، وقد اختلفوا
في ذلك .

ومنها: أن الحكمة من تعدد الأحرف كما سبق الرخصة
لطوائف من الأمة يشق عليها التعلم، ويعسر عليها التحول عما

ألفته ألسنها، والعرب على وجه الخصوص لم يكونوا يُحسنون الكتابة ولا القراءة، وهذه الأنواع التي ذكروها معظمها متعلق بطريقة الخط، واختلاف صورة الكلمة في الكتابة، كما أنها جميعها لا يتسنى إدراكها أو استنباطها إلا بعد بحث وتعمق واستقراء، مع خبرة بأوجه الخط والكتابة، وهذا شأن خاص بخواص العلماء المحققين، فما بال من نزلت الرخصة من أجلهم وتعددت الأوجه للتيسير عليهم ما شأنهم بهذه الأمور العلمية المتعمقة، وهذه المسائل المعقدة، التي لن يدركوا حقيقتها، ولن يتوصلوا إلى استخراجها، لو كان هذا هو المراد بالأحرف إذن لا زادت عليهم المشقة، وتحيروا في أمرهم، وصعب عليهم الاختيار .
ولكن أى اختيار هذا ؟ .

لقد أخبر رسول الله ﷺ عن هذه الأحرف أنها كلها كافٍ شافٍ فبأيها قرأوا فقد أصابوا . .

وأخبر أيضاً أن طلبه من ربه هذه الرخصة كانت لأجل طوائف من الأمة هي أكثر من غيرها احتياجا إليها:
العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، وفي رواية: والخادم .

فهل للجزرى، والرازى، وابن قتيبة: أن يخبرونا كيف يختار هؤلاء نوعاً من أنواعهم التي استنبطوها، وكيف يقرأون به القرآن، وما هو وجه الرخصة لهم فيها، وكيف يكون التيسير عليهم بها ؟؟ .

ومنها: أن ابن قتيبة والجزرى لم يذكروا اختلاف اللهجات ضمن تلك الأنواع السبعة، مع أن معظم أوجه الاختلاف في أحرف القرآن هو من هذا النوع كما سبق .

ونحن لا ننكر بهذه المناقشة، الأنواع التي ذكروها، بل نقول: إن التغيرات والاختلاف بين أى عبارتين متغيرتين مختلفتين يكون بما ذكروه، وقد بذلوا جهداً كبيراً فى الاستقراء والبحث فتوصلوا إلى استنباط تلك الأنواع، وقد اختلفت مذاهب الثلاثة فى النظر للمسألة، فكان كل واحد منهم ينظر إليها من جهة، وكان أكثرهم دقةً فى العبارة: الرازى .

لكننا ننكر عليهم أمرين: أولهما: محاولتهم حصر أنواع التغيرات فى سبعة ليوافقوا العدد المذكور فى الأحرف .

وثانيهما: تفسيرهم الأحرف بهذه الأنواع، وتعسفهم فى جعلها المراد من الحديث . فنقول: إننا بعد التأمل فى الأنواع التى ذكروها وجدنا الثلاثة اتفقوا على ذكر نوعين تطابقت فى وصفها عبارتهم :

١ - التقديم والتأخير .

٢ - الزيادة والنقصان .

ثم وجدنا ابن قتيبة، والجزرى، اتفقا على ذكر خمسة أنواع لم تختلف عبارتهما حولها كثيراً، بل أكاد أجزم أن الجزرى - عفا الله عنه - نقل عن ابن قتيبة ولم يزد .

لكننا وجدنا الرازى ذكر أنواعاً تختلف إلى قدر ما عن الأنواع التى ذكرها ابن قتيبة والجزرى، وإن كانت تتضمنها، فمثلاً :

ذكر (الاختلاف فى وجوه الإعراب، والاختلاف بالقلب والإبدال لحروف بأخرى أو لكلمات بأخرى) هكذا على وجه العموم، وهذان النوعان تدخل فيهما الأنواع الخمسة الأولى التى

ذكراها، وإن كانا قد وجها عنايتهما الى اختلاف صورة الخط
والكتابة واختلاف المعنى، أو عدم اختلافهما .

وذكر (اختلاف أوزان الأسماء، ثم اختلاف تصريف
الأفعال)، وهذان نوعان فيهما تفصيل دقيق، لكن عند التأمل نجد
ما ذكره من الأنواع الخمسة الأولى يشملهما، إلا أن نظرة الرازي
هنا موجهة إلى الموضوع من زاويتين مختلفتان عن الزوايا التي
توجهت منها نظرنا ابن قتيبة والجزري .

لكننا وجدنا الرازي انفرد بذكر نوع لم يتعرضوا لذكره، وهو:
(اختلاف اللهجات)، وهو أهم هذه الأنواع كما أثبتنا سابقاً .

ويمكننا أن نخرج من مجموع أقوال الثلاثة بعشرة أنواع يقع
بها التغير والاختلاف بين كل كلمتين متغيرتين مختلفتين، وهذا ما
توصل إليه هؤلاء، فهل باستطاعتنا أن نجزم بأن أحداً غيرهم لن
يخرج بعد البحث والاستقراء بأنواع أخرى تزيد العدة؟؟ .
من هذا نتبين أن محاولة ابن قتيبة والجزري والرازي حصر
أنواع التغير والاختلاف في سبعة فيها كثير من التكلف
والتعسف .

حتى إذا وصلنا بعد ذلك إلى محاولتهم جعل هذه الأنواع
المراد من الحديث قلنا: إن الأحرف نفسها شيء، وأنواع
الاختلاف بينها شيء آخر مغاير لها .

فما توصلوا إليه إذن هو: ما يقع بين الأحرف من أنواع
التغير وصور الاختلاف، لا نفس الأحرف . ويمكننا عند
الاختصار أن نرجع كل ما ذكره من أنواع إلى ثلاثة :

١ - ما اختلف لفظه واتفق معناه، وهو ما يُطلق عليه في اللغة الترادف، مثل: هلم، وأقبل، وتعال .

٢ - ما اختلف لفظه ومعناه، لكنه اختلاف تنوع لا تضاد مثل: «قَالَ» و«قُلْ» و«بَاعَدُ» و«بَاعِدُ» و«مَالِكُ» و«مَلِكُ» و«أَوْصَى» و«وَصَّى» .

٣ - الاختلاف في اللهجات - أى في كيفية النطق باللفظ - مع اتفائه، واتفاق المعنى، كإمالة الألف أو فتحها، وكالمد والقصر، والإدغام والفك، والتحقيق والتسهيل .

وهناك نوع رابع قد يقع به الاختلاف في الكلام، وهو ما اختلف لفظه ومعناه وكان الاختلاف مقتضياً التناقض والتضاد، وهذا لم يقع منه شىء في أحرف القرآن، وإلا لزم منه وقوع الخلل والاضطراب في كتاب الله وهو منزه عن ذلك :

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٢) .
أى خلافاً وتناقضاً (٣) .

المراد من الأحرف السبعة :

لعلك بعد هذه المناقشات، تتساءل عن القول المختار، وتقول في قرارة نفسك: إذا لم يكن هذا ولا ذاك هو المراد بالأحرف السبعة فما هو المراد إذن ؟ .

(١) ٤٢ / فصلت .

(٢) ٨٢ / النساء .

(٣) انظر النشر (١/٤٩) .

قبل أن نبين لك هذا الأمر دعنا نخبرك بشيء ملحناه عند استعراض الأخبار الواردة في الأحرف السبعة، وهي كثيرة كما رأيت، لقد جمعنا طرقها، وتفحصنا ألفاظها، فلم نجد في شيء منها عبارة صريحة تُفصل لنا المراد بالأحرف السبعة .

ونقول: إن لهذا سراً مكنوناً يحتاج إلى كشف وإعلان، فإن الشارع لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة، والأمة محتاجة لمعرفة كنه هذه الأحرف لتقرأ بها، وتأتى رخصة ربها عز وجل .

فكيف خلت جميع ألفاظ الحديث من عبارة صريحة تفسر الأحرف وتبينها، ولماذا أضرب رواية الخبر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن ذلك ؟ .

نقول: لعل السبب هو واحد من أمرين: إما وضوح المراد من الأحرف بشكل جعلها غير محتاجة إلى تفسير، فتفسيرها حينئذ كتفسير الشمس في رابعة النهار، ولذلك لم يرد أبداً في الروايات أن أحداً سأل النبي ﷺ عن معنى الأحرف، فقال: معناها كذا . .

ولا ورد أن الصحابة سألوا أو سُئلوا عن ذلك، وقد أطلعوا عليها وعلموها .

وإما عدم وضوح معناها، وصعوبة تفسيرها، وتعسر شرح المراد منها، لانغلاق حقيقته على المدارك في ذلك الوقت، ولكثرة فروعها وتشعبها، ففهمه يحتاج إلى استقراء وتأمل، وبحث ودراسة .

لكن هذا مردود بما بيناه سابقاً حيث أثبتنا أن معنى الأحرف والمراد منها كان معلوماً لدى الصحابة، ومن الضروري أن يكون معلوماً لدى الأمة، حتى تتحقق الحكمة من الرخصة . ومن

السخف بمكان : أن ندعى أن المراد لم يكن معلوماً لدى الصدر الأول من الأمة، وهم أعمق فهماً، وأكثر علماً بما أنزل، ثم يأتي أناسٌ بعد ذلك بمئات السنين فيكشفون عن المراد. لذلك ترجح لدى - والله أعلم - أنهم سكتوا عن تفسير معنى الأحرف لوضوحه لديهم وكونه لا يحتاج إلى تفسير .

والحاجة إنما وقعت في بداية الأمر إلى إزالة ما وقع في نفوسهم من شبهة وقوع التناقض والاضطراب في كتاب الله عز وجل، إذ كانوا قد ألفوا وضعاً سابقاً - هو كون القرآن منزلاً على وجه واحد - فلما فجئوا برسول الله ﷺ يقرأ أوجهاً متعددة متغايرة، توهموا أن هذا التغاير والاختلاف يتنافى مع بلاغة القرآن، وتماسك أسلوبه، ويشكل خللاً وتناقضاً فيه، وربما وسوس لبعضهم الشيطان بالشك في أمر رسول الله ﷺ، فتوهم اختلاط الأمر عليه، أو كذبه، فأزال النبي ﷺ هذه الخواطر والشبهات العارضة بأمرين :

الأول : إخبارهم بالوضع الجديد، والرخصة الجديدة، وأن هذه الأوجه كلها قرآن منزل، وأن أى وجه منها كافٍ شافٍ .
الثانى : بيان نوع الاختلاف الموجود بين هذه الأوجه، وتقريبه إلى أذهانهم، وأنه ليس من باب التناقض والتضاد، بل من باب التنوع وزيادة المعانى .

ولعلك حتى الآن قد تلمست معالم ما نريد أن نقوله في معنى الأحرف، لكننا نحب أن نبين لك ذلك بعبارات صريحة محددة دقيقة، فنقول :

الأحرف السبعة : هى وجوهٌ متعددةٌ متغايرةٌ مُنزلةٌ من وجوه القراءة، يمكنك أن تقرأ بأى منها فتكون قد قرأت قرآناً منزلاً،

والعدد هنا مراد، بمعنى أن أقصى حد يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه، وذلك في الكلمة القرآنية الواحدة، ضمن نوع واحد من أنواع الاختلاف والتغاير، ولا يلزم أن تبلغ الأوجه هذا الحد في كل موضع من القرآن .

ولك أن تبادر بالسؤال عن معنى هذا الكلام، ومن قال به من السابقين، وما برهانه ؟ .

فنجيبك بما يأتي :

أما من قال به، فلا نعلم أحداً ممن تعرض لتأويل هذا الحديث جمع في تأويله هذا التفسير بكل أطرافه، وفصله هذا التفصيل الذي سقناه لك، إلا أننا وجدنا في كلام العلماء شذرات مبعثرة، وملحات منتشرة، جمعناها وعرضناها على البراهين من النصوص بالطريقة التي شرحناها في أول هذا البحث، فالسيوطي مثلاً وهو أوسع من تعرض لهذا الحديث كلاماً، أشار إلى طرفين مما رجحناه إشارة عابرة غير عابىءٍ بهما، وذلك في القول الثالث والقول الرابع في إتيقانه (١) ، فقال :

« الثالث » : إن المراد بها سبع قراءات، وتُعقب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تُقرأ على سبعة أوجه إلا القليل، مثل (عبد الطاغوت) و (فلا تقل لهما أف) .

« الرابع » : واجيب بأن المراد أن كل كلمة تُقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة، ويُشكل على هذا أن في الكلمات ما قرئ على أكثر، وهذا يصلح أن يكون قولاً رابعاً .

(١) الإتيقان : (١/١٣٥) .

أما الحافظ ابن حجر العسقلاني فإن كلامه يُعد من أمثل ما ذكر في بيان معنى الأحرف السبعة، فقد صدرَ كلامه عليه بقوله: «باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: أي على سبعة أوجه يجوز أن يُقرأ بكل وجهٍ منها، وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تُقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة» (١).

والقول بأنه لا يلزم أن تنزل كل كلمة في القرآن أو آية على سبعة أحرف، ذكره أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام في (فضائل القرآن)، وابن قتيبة، وأبو الفضل الرازي، والجزري في النشر، والبيهقي، وأبوحاتم السجستاني: ولا أظن أن لهذا القول مخالفاً من المحققين، إلا أن يفهم من كلام ابن جرير رحمه الله: أن كل كلمة في القرآن كانت تُقرأ بسبعة أوجه من الألفاظ المترادفة، المختلفة في الألسن المتفقة في المعنى، وهو حينئذ قول شاذ لا دليل عليه.

أما القول بحقيقة العدد، وبتحديده بسبعة أوجه، فلم يخالف فيه من المحققين إلا القاضي عياض، حيث ينسب إليه أنه قال في شرحه على مسلم: إنه رُخص للصحابة أن يقرأوا القرآن بالمعنى، دون تحديد للأوجه التي يقرأون بها.

وهذا قول باطل مردود بشقيه: الزعم بجواز القراءة بالمعنى، وأنهم لم يكونوا مقيدين بعدد في الأوجه المقروءة، وقد سبق تنفيذ ذلك.

(١) الفتح: (٢٣/٩).

وبهذا يتبين أننا لم نأت بكلامٍ من عند أنفسنا، أو فهمٍ ابتكرناه وابتدعناه لم يسبقنا إليه سلف، بل سبقنا إليه المحققون منهم رحمهم الله وجزاهم عن القرآن وأهله خيراً، إلا أنه قول متفرق في كلامهم لم يجمع في موضع واحد، ولم يرتبه مُصنّف واحد، بل وجدنا عند كل منهم جزءاً، وعثرنا على طرف، لكن أحداً منهم لم يستوعب المسألة أو يشف الغليل، بل يتناولها من بعض الجوانب التي تجلت له بعد إعمال فكره فيه .

وأما حشد القرطبي للآراء (١) أو جمع السيوطي للأقوال (٢) فلم يقدم ذلك في المسألة شيئاً، ولا كشف فيها عن مخبوء .
أما البرهان على القول المختار فنسوقه لك من كلام رسول الله ﷺ ، ومن قراءات القرآن الثابتة المتواترة، وذلك على كل جزء من أجزائه :

فقولنا : (هي وجوهٌ متعددةٌ متغايرةٌ مُنزلةٌ من وجوه القراءة) :

هذا ترجيح لأحد المعاني التي تحتملها لفظة (الحرف)، فنكون بذلك قد حددنا معناه : بالوجه، إذ أننا لما استقرنا ألفاظ الخبر وجدنا أنه لا يستقيم إلا هذا التأويل، ثم وصّفنا هذه (الوجوه) بأربع صفات : فهي (متعددة)، تذكيراً بانتفاء الوضع السابق الذي هو توحيد أوجه القرآن على وجه واحد، وهي (متغايرة)، إشارة إلى وجود الاختلاف بين هذه الوجوه سواء في اللفظ فقط مع اتفاق المعنى، أو في اللفظ والمعنى، وفي هذا

(١) تفسير القرطبي : (٤٢/١) .

(٢) الإتيقان : (١٣١/١ - ١٤٢) .

على ابن جرير رحمه الله الذى قصر الاختلاف بين الوجوه على نوع واحد هو: الترادف، ذلك أننا لما رجعنا إلى الخبر وجدناه يقول: إن كبار الصحابة وسادتهم فى العلم والفقہ والقرآن، كعمر بن الخطاب وأبى بن كعب، قد اعتراهم الذهول لما سمعوا الأوجه المنزلة، وسمعوا الرسول ﷺ يُقرؤها كلها، فلم يتحملوا هذا الأمر فى البداية، فوقعوا فريسة للشك والإنكار، وهذا يدل على أن الفرق بين تلك الأوجه المتغايرة كان مهماً وواضحاً بحيث أمكن أن يُحدث صدمة علمية لتلك الأذهان العظيمة المحمية بنور الإيمان ..

وما أظن الأمر يبلغ هذا الحد لو كان مقتصرًا على استبدال بعض الألفاظ المترادفة ببعضها، كهلم مكان تعال، أو إيلنا مكان أقبل .

وهى (مُنزلة) : وفى ذلك رد على من زعم أن الرخصة كانت تتضمن إباحة التصرف فى ألفاظ القرآن دون تقيد بها انزل، بل الأوجه كلها كانت مُنزلة، يُعلّمها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ ويلقنه إياها، حتى يحفظها ﷺ، ثم يبلغها الرسول إلى أصحابه ويقرئهم إياها، ويتخير لكل منهم ما يشاء حسبما يرى ﷺ من أحوالهم، واستعداد كل منهم وطاقته، ولغته ولهجته .

ثم وَصَفْنَا هذه الأوجه، بأنها (وجه قراءه)، لأننا وجدنا فى الخبر قوله ﷺ (أقرأنى جبريل على حرف . .) وقوله حكاية عن جبريل عليه السلام (إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف . .) وفى لفظ (أن تُقرأ أمتك . .) ، وقوله ﷺ بعد أن ذكر الأحرف (فاقرأوا منها ما تيسر . .) وقوله (فبأى حرف قرأوا فقد أصابوا . .) .

ووجدنا في الخبر أيضا عمر بن الخطاب يقول : سمعتُ
هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها رسول
الله ﷺ .

ووجدنا أبي بن كعب يقول : كنت في المسجد فدخل رجل
يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة
صاحبه .

فكل هذه الألفاظ صريحة في أن هذه الأحرف شىء متعلق
بالقراءة ، بل هي (قراءات) كما عبر أبو رضى الله عنه .

ثم إننا لم نجد في أى رواية ما يدل على أن الأحرف شىء
غير أوجه القراءة ، أو يصفها بأكثر من هذه الصفة ، ووجدنا الحكمة
التي نص عليها الرسول ﷺ متعلقة بأوجه القراءة قبل كل شىء ،
فاعتبرنا محاولة صرف المعنى إلى وصف آخر تحكماً بغير دليل .

والرخصة متحققة في الأحرف بهذا التأويل ، إذ أصل المشقة
إنما هو في القراءة ، فتعدد أوجهها ، ثم تخيير المكلف بينها ، يختار
منها ما يسهل على لسانه ، ويطابق لغته ولهجته أو يقاربها ، هو عين
التيسير الذى أراده الشارع الحكيم .

أما ما يترتب على تعدد هذه الأوجه من إختلاف في المعانى
أو زيادة ، وما تدور حوله من مقاصد الكلام وأغراضه ، وما يكون
بينها من أنواع التغاير والاختلاف ، ثم ما يتجلى في ذلك كله من
أضرب الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، وكذلك ما اشتملت عليه من
لغات العرب الفصحى وأساليب كلامهم وتعبيراتهم . .

كل ذلك نعهده بحوثاً متفرعة من الأحرف السبعة ، خارجةً
عن حقيقة كنهها ، منفصلةً عن بحث تأويلها وتفسيرها وبيان المراد
منها .

وقولنا (يمكنك أن تقرأ بأى منها فتكون قد قرأت قرآناً
مُنزلاً . . .) :

أخذناه من قوله ﷺ : (. : فأبما حرف قرأوا فقد
أصابوا) (١) ، أى أصابوا القرآن ، بدليل قوله فى الرواية الأخرى
(. . من قرأ حرفاً منها فهو كما قرأ . .) (٢) أى فالقرآن كما قرأ ،
ولذلك روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : فمن قرأه على
حرف فلا يدعه رغبةً عنه ومن قرأه على شىء من تلك الحروف
التي علّم رسولُ الله ﷺ فلا يدعه رغبةً عنه فإنه من جحدَ بآيةٍ منه
يجحد به كله . . . (٣) .

فكل وجه من الأوجه المنزلة قرآن ، وكلها كافٍ شافٍ ، ولا
ترجيح بين شىء منها إذ هى أبعاض القرآن ، فهو متكون من
مجموعها ، ولذلك حرص عثمان رضى الله عنه عند كتابتها فى
المصاحف أن يثبتها جميعها برسمٍ واحدٍ حتى لا يتوهم أحد أن
هناك ترجيحاً لبعضها على بعض .

- وقولنا (والعدد هنا المراد . .) : أخذناه من لفظ
الحديث ، فإنه قد صرح فيه بالعدد فى جميع رواياته ، بل لقد أطبق
الرواة على الجزء الخاص بالعدد من عبارة الحديث وهو قوله (. .
على سبعة أحرف) وهذا من المتواتر اللفظى .

ومما يدل أيضاً على أن تحديد العدد مراد :

- التدرج فى إنزال الأحرف المشار إليه إجمالاً فى حديث ابن
عباس (أقرأنى جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيدنى

(١) سبق فى الحديث الثانى عن أبى بن كعب (ص ٣٨) .

(٢) فى رواية ابن جرير لحديث أبى (ص ٣٩) .

(٣) من حديث ابن مسعود فى مسند أحمد وعند ابن جرير كما سبق (ص ٤٦) .

حتى انتهى إلى سبعة أحرف) ، والمُبَيَّن تفصيلاً في حديث أبي بن كعب (إن الله يأمرك أن تُقرىء أمتك القرآن على حرف ، فقال ﷺ : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تُقرىء أمتك القرآن على حرفين ، فقال ﷺ : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تُقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال ﷺ : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تُقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف) . .

فهذا التدرج لا يكون له أى معنى لو لم يكن تحديد العدد مراداً ، ومراجعة الرسول ﷺ في المرة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة كذلك تدل على أنه ﷺ فهم من الأمر في كل مرة التحديد . وقد فهم بعض الحذاق من المحققين من العبارة الخاصة بالعدد وهى قوله : (على سبعة أحرف) التحديد والتقييد بالسبعة ، إذ وجد أن الرسول ﷺ استخدم حرف (على) دون غيره ، فكأن فيه إشعاراً بالشرطية ، وتقدير الكلام على هذا : أن تُقرأ أمتك القرآن بأحرف متعددة على ألا تتجاوز سبعة أحرف . . وهذا فهم دقيق لطيف فتأمله ، مع ما قدمنا لك من القرائن الصريحة الواضحة (١) .

أما قولنا : (. .) بمعنى أن أقصى حد يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أحرف) :

(١) انظر فتح الباري : (٢٨/٩) .

هذا قول أبي عبيد، وأبي الفضل الرازي، وابن قتيبة،
وأبي حاتم السجستاني، والبيهقي، والجزري، وغيرهم من
المحدثين والقراء والأصوليين . .

ولم يخالف فيه أحد، إلا ما يفهم من قول ابن جرير الذي
سبق ذكره وإبطاله، وما يحكى عن القاضي عياض، وسبق
تفنيده .

ومن تلقى القراءات القرآنية وتتبعها يجد أن سائر القرآن
على نوعين من حيث القراءة والرواية :

مواضع الاتفاق : لم ترد إلا على وجه واحد، ولم يُرو فيها
أى وجه مغاير، وهذا هو معظم القرآن .

ومواضع الاختلاف : حيث ورد فيها وجهان فأكثر، إلى
سبعة، وعند إحصاء الأوجه المقروءة ينبغي أن نتنبه إلى أمور :

أولها : ليس كل ما حُكي وأُثبت في الكتب، أوروى ولو
بسند صحيح يُعد قراءة قرآنية، فقد أجمع علماء الإسلام قاطبة
على اشتراط حد التواتر لإثبات قرآنية أى نصٍّ مروى، وبدون
هذا الحد لا تثبت قرآنيته، ثم أضاف جماهيرهم شرطاً آخر هو
موافقة مرسوم المصاحف العثمانية احترازاً مما نسخ في العرصة
الأخيرة واطرحت القراءة به .

فانظر كم يبقى من القراءات بعد أن تجرى عليها هذين
الضابطين، بل يكفي أن تعرضها على شرط التواتر لتجد أنها
تتهاوى فلا يثبت منها إلا أقل من عُشرها، وكم في بطون الكتب
من مرويات .

فمثلا : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ : ذكر فيها أبو حيان خمس عشرة قراءة (١) .

(وَعَبْدًا الظُّغُوتَ) ذكر أبو حيان في (عبد) اثنين وعشرين قراءة (٢) ، وذكر ابن خالويه تسع عشرة قراءة (٣) ، وابن جنى ذكر عشر قراءات (٤) .

﴿ فَلَا نُقَلِّدُ لَهُمَا فُفِّ ﴾ ساق أبو حيان في لفظة (أف) أربعين لغة (٥) ، وذكر ابن خالوية فيها أحد عشر وجهاً (٦) ، وابن جنى ذكر ثمانية أوجه (٧) .

بينما تجد الأوجه المقروءة عند تمحيص الأسانيد كما يأتي :
(ملك) : فيها قراءتان متواترتان ، إحداهما (مَلِكِ) بالألف بعد الميم ، وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ، والأخرى (مَلِكِ) بغير ألف ، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر وحمزة وأبي جعفر .

(عبد الطغوت) : فيها وجهان متواتران ، أحدهما : (عَبْدَ الطَّغُوتِ) بفتح العين والبدال مع ضم الباء من عبد ، وخفض الطاغوت ، وهي قراءة حمزة ، والأخرى : (عَبْدًا الظُّغُوتَ) بفتح العين والباء والبدال من عبد ، ونصب الطاغوت على المفعولية ، وهي قراءة باقي العشرة .

(١) البحر المحيط : (٢٠/١) .

(٢) نفس المصدر : (٥١٩/٣) .

(٣) مختصر في شواذ القرآن : (ص ٣٣) .

(٤) المحتسب : (٢١٤/١) .

(٥) البحر المحيط : (٢٣/٦) .

(٦) شواذ القرآن : (ص ٧٦) .

(٧) المحتسب : (١٨/٢) .

(أف) : في ثلاثة مواضع بالقرآن، بالإسراء والأنبياء والأحقاف: فيها ثلاثة أوجه مقروءة، الأول: بتشديد الفاء مع كسرهما منونة، وهي رواية نافع وحفص عن عاصم، وأبي جعفر، والثاني: بفتح الفاء من غير تنوين تخفيفاً، وهي قراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب، والثالث: بكسر الفاء من غير تنوين، وهي قراءة باقي العشرة (١).

وعلى هذا المنوال ستجد الأوجه المقروءة المتواترة في مواضع الخلاف لا تتجاوز سبعة أوجه أبداً .

وبهذا يتبين لك أن قول السيوطي : «ويشكل على هذا أن في الكلمات ما قرئ على أكثر» أي من سبعة أوجه، هو قول فارقه التحقيق .

ومما يثير العجب أنه قبل كلامه هذا بسطرين قال مستشكلاً على القول الثالث: «... وتُعقب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تُقرأ على سبعة أوجه إلا القليل، مثل (عبد الطغوت) و(فلا تقل لهما أف)...» .

وهذا التعقب عكس التعقب الأول .

وقد يورده معترض على قولنا، فنقول في جوابه :

أولاً : لا يلزمنا أن توجد كلمة في القرآن مقروءة على سبعة أوجه، لأننا نقول إن الأوجه السبعة المنزلة نُسخ من أفرادها الكثير في العرصة الأخيرة، وفيها عَرَضَ النبي ﷺ القرآن على جبريل مرتين حيث استقرَّ على صيغته الأخيرة بنصه، وَعَدَّ آيه، وترتيبه، وأوجهه المنزلة .

(١) راجع في ذلك تحاف فضلاء البشر: للدمايطي البناء .

فلعل ما بقى من أفراد تلك الأحرف المنزلة يبلغ ستة كحدٍ أقصى لمواضع الخلاف، لأنه لم يثبت أكثر من ستة أوجه متواترة في موضع في القرآن .

إلا اذا ضمنا للروايات المتواترة، روايات القراءة الأربعة الذين زادهم البناء في إتخاف فضلاء البشر، فإن أسانيدهم وإن لم تبلغ حد التواتر، وإن اتفق العلماء على الحكم عليها بالشذوذ، لكنها صحيحة الاسناد، مروية من طرق معلومة عند أهل الفن . عندئذ سنجد الأوجه المروية تبلغ حد السبعة إلا أنها لا تزيد عليها حتى في هذه الحالة . فمثلا (جبريل وميكل) في سورة البقرة (١) :

في (جبريل) خمسة أوجه متواترة : (جبريل) بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة وإثبات الياء :

وهي قراءة نافع وأبى عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم، (جبريل) بفتح الجيم وكسر الراء وإثبات الياء من غير همز: وهي قراءة ابن كثير المكي، (جبرئيل) بفتح الجيم والراء وإثبات الهمزة مكسورة والياء ساكنة: وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف في اختياره، (جبرئيل) السابق مع حذف الياء بعد الهمزة: وهي رواية يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عياش عن عاصم، والوجه الخامس لحمزة وهو الوقف بتسهيل الهمزة بين بين .

وهناك وجهان غير مقررؤ بهما: (جبرائيل) بألف قبل الهمزة وحذف الياء: رواه الحسن البصرى، وعن ابن محيصن من (المبهج) (جبرئيل) بفتح الجيم والراء وهمزه مكسورة ولا م مشدده .

(١) الآية : رقم (٩٨) .

فهذه سبعة أوجه مروية، تواتر منها خمسة .
وفي (مِيكَل) أربعة أوجه متواترة هي : (مِيكَيْل) بهمزة
بعد الألف من غير ياء بعد الهمزة، و (مِيكَل) كمثل بحذف
الهمزة والياء، و (مِيكَيْل) بإثبات الهمزة والياء، والوجه الرابع
لحمزة عند الوقف بتسهيل الهمزة .

وهناك وجه خامس غير مقروء به، لابن محيصر، بالهمز من
غير ياء مع تشديد اللام، وهي رواية عنه من طريق المبهج .

ثانياً : أننا قيدنا (السبعة كحد أقصى) بالكلمة القرآنية
الواحدة ضمن النوع الواحد من أنواع التغير، وذلك احترازاً من
التفريعات التي يفرعها القراء خشية التركيب في الطرق، إذ قد
يكون في الكلمة الواحدة موضعان أو أكثر من مواضع الخلاف،
كل موضع منها يندرج ضمن نوع من أنواع التغير، فإذا أردت أن
تجمع ما في ذلك كله من أوجه دون اعتبار للأنواع، يتولد لديك
حشد كبير من الأوجه، فاذا تماديت في هذا الحساب فضربت
الأوجه في بعضها في الآية كلها، ضعت في خضم من الأوجه قد
يبلغ المئات . .

وبطريقة الجدول الحسابي هذا يذكر القراء في وصلك لآخر
الفاحة مع أول البقرة مائة وسبعة عشر وجهاً^(١) ، وذلك ينشأ عادة
من جمعهم للروايات والطرق في ختمة واحدة، وهذا خلاف ما
جرى عليه السلف، بل هو أمر مُحْدَثٌ، لم يُعرف إلا بعد القرن
الخامس، ولم يرض به المحققون إلا عند التعليم فإنه ضرورة، لأن

(١) قارن بما في غيث النفع : (ص ٢٨) .

المتقن قد لا يحتاج إلى أفراد كل رواية بختمة، بل يمكنه التلقّي
جمعاً ليختصر الوقت .

وتحاشياً لشرح المثال السابق لصعوبته نضرب مثلاً بما هو
أقرب منه للأذهان :

﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ : في ياء (الرحيم)
عند الوقف ثلاثة أوجه مقروءة من المد: القصر والتوسط
والاشباع .

ثم في ميم (الرحيم) مع ميم (ملك) وجهان من حيث
الادغام والفك، مع الوجهين المذكورين سابقاً في (ملك) بالألف
وبدونها .

إذا جمعت كل هذه الأوجه معتبراً إياها متعلقة بموضع
واحد تولدت لديك سبعة أوجه، لكن اعتبارك لكل هذه المواضع
موضعاً واحداً خطأ، فياء (الرحيم) مد عارض وهذا موضع بنفسه
فيه ثلاثة أوجه، والميمان المتماثلان بين لفظتي (الرحيم) و(ملك)
موضع بنفسه فيه وجهان، فلا تجمع أوجه هذا مع أوجه ذلك،
وإلا وقعت في جداول القراء الحسابية، التي تحوّل القراءة إلى
طلاسم كطلاسم الفلكيين .

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ : من فرش هذا
الموضع (١) : نصب لفظة (آدم) مع رفع (كلمت) وهذه قراءة ابن
كثير المكي، وقرأ الباكون بالعكس، فهذان وجهان مقروءان في
هذا الموضع، والألف في (فتلقى) فيها ثلاثة أوجه مقروءة: الفتح،

(١) الفرش اصطلاح عند القراء يعنون به ما ورد من قراءات لا تندرج ضمن الأصول التي
هي عبارة عن مرويات منضبطة مطردة، بحيث أمكن أن تُجمع تحت ضابط واحد، كالمد والقصر،
والتحقيق والتسهيل والإبدال، والفتح والإمالة، ونحو ذلك .

والتقليل ، والامالة ، وفي ألف البدل في (آدم) ثلاثة أوجه مقروءة :
المد مُشَبَّعاً والتوسط والقصر ، فإذا خلطت كل ذلك ببعضه تولدت
لديك عشرة أوجه ، وهذا الخلط لا يستقيم ، ولا ترضى عنه
القراء ، بل ربما لو وضعت الطرق في حسابك وضربت كل وجه في
الأوجه التي تتفرع عنه ، فإنك واجد أمامك عدداً كبيراً من الأوجه
تنسى معه قوله ﷺ (هُوَ عَلَى أُمَّتِي) (١) .

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الواو في (وسارعوا) فيها
وجهان مقروءان متواتران ، الإثبات والحذف ، فقرأ نافع وابن عامر
وأبو جعفر (سارعوا) بغير واو ، وقرأ باقي العشرة بالواو .
والألف من (سارعوا) فيها وجهان مقروءان : الإمالة رواية
عن الكسائي ، وقرأها الباقون بالفتح .

والواو في (سارعوا) عند وصلها بما بعدها تُمد ، ويسمى هذا
النوع (مداً منفصلاً) لانفصال سبب المد الذي هو الهمزة ، عن
حرفه الذي هو الواو هنا ، وفيه وجهان مقروءان متواتران هما :
القصر ، والمد ، فالقصر بمقدار ألف ، وتُقاس بحركتين عاديتين من
حركات الإصبع ، وهما ما يقارب الثانيةين بالوحدة الزمنية
المعروفة ، والمد اختلف القراء في مراتبه بين التوسط والاشباع ،
وهذه المراتب لا تدخل ضمن الأوجه ، لأنها تقريبية تقديرية حسب
أداء كل قارئ ، فالمد بكل مراتبه يُعدّ وجهاً واحداً مقروءاً ،
ويقابله القصر .

(١) انظر غيث النفع : (ص ٤٧) .

فهذه أوجه ستة في لفظة (سارعوا) ، لكن كل وجهين منها مندرجان ضمن نوع يختلف عن الأنواع التي اندرجت فيها بقية الأوجه .

ولأجل ذلك لا تُحسب جميعاً، فيُقال ستة أوجه .
(ءَأَكَنَّ) في الموضوعين بيونس ، في الهمزة الثانية ثلاثة أوجه مقروعة، هي التسهيل بين بين ، وإبدالها ألفاً مع مداها أو قصرها ومع نقل حركة الهمزة إلى اللام ومع السكت أو بدونه .
هي ثلاثة أوجه في الهمزة الثانية التي هي همزة الوصل ، لكن القراء يضربون كل وجه منها في أوجه المد ، سواء مد العارض الذى يتولد عند الوقف ، أو مد البدل ، فينتج من ذلك عشرات الأوجه المركبة (١) .

الحكمة من الأحرف السبعة وفوائدها :

١ - أما الحكمة فنص عليها رسول الله ﷺ بعبارة واضحة جلية ، ذلك أنه أشفق على أمته ، وأدركته رأفته ورحمته اللتان جُبلت عليهما نفسه الكريمة ، فاشتكى إلى ربه مما تلاقيه أمته من صعوبة في تعلم القرآن إذ كان على حرف واحد ، ذلك لأن ألسنتها تختلف ولهجاتها تتباين فحملهم على لسان واحد ، وإخضاعهم للهجة واحدة ، وحضرهم في وجه واحد ، يشق عليهم ، خاصة أنهم أمة أميون بيانهم ولسانهم بالفطرة والجملة والاعتیاد ، وليس بالقراءة ولا الكتابة ، فهم لا يعرفونها ، لأنهم أمة صحراوية فطرية بعيدة عن وسائل الحضارة وأدوات المدنية ، ومن كانت لغته بالفطرة

(١) قارن بالبدور الزاهرة : (ص ١٤٤) .

والاعتیاد یكون نقل الجبال أهون علیه من نقله عن لغته وزحزحته عن لهجته، وذلك أشد مشقة، وأكثر عناءاً علی طوائف مخصوصة من الأمة: العجوز، والشیخ الفانی، والصغار (الغلام، والجارية)، والرجل الأمی (الذی لم یقرأ کتاباً قط)، فهؤلاء لا یتیم تعلیمهم بیسر وسهولة، ولا تتسنى لهم قراءة القرآن ولا یتمکنون من إتقانها فی فترة وجيزة، بل یحتاجون إلى مکابدة ومعاناة، وهم خلال القراءة تزل ألسنتهم كثيراً عن النطق الصحیح، وتنحرف إلى ما اعتادوه من لهجاتهم .

قال ﷺ : (یاجبریل إنی بُعثت إلى أمة أمیین، منهم العجوز، والشیخ الکبیر، والجارية، والرجل الذی لم یقرأ کتاباً قط .

قال جبریل علیه السلام : (یا محمد إن القرآن أنزل علی سبعة أحرف - وفی رواية - فمرهم فلیقرأوا القرآن علی سبعة أحرف) .

إذن فالأحرف السبعة رخصة أنزلت بعد العزيمة، أی بعد أن حُمِلوا فی بادئ الأمر علی وجه واحد، والمقصود من هذه الرخصة: تیسیر أمر القراءة وتعلُّم القرآن علی الأمة، وخاصة تلك الطوائف المذكورة فی الحدیث .

ووجه الرخصة فی هذه الأحرف، هو أن الكلمة، عندما تكون مُنزلةً علی عدة أوجه یكون القاریء مخيراً فی قراءة ما سهل منها علی لسانه وتیسر علی فهمه وذهنه، كما أنه عندما یغلبه لسانه فیخطيء فی النطق بكلمة علی خلاف لهجة قریش فإنه قد یجد فیها أنزل فیها من لهجات أخرى ما یلجأ إليه ویلوذ به، فیرتفع عنه

الخرج وتطمئن نفسه ، خاصة عندما يعجز عن تقويم لسانه على اللهجة القرشية .

وكذلك عندما يعجز عن فهم المراد من كلمة ، ولا يدرك معناها ، لكونه لا يعهدها في لغته ، ولا تستعملها قبيلته ، فإنه قد يجد في الأوجه الأخرى المنزلة في تلك الكلمة ما يعينه على فهم المراد ، ويوضح له المعنى فوجه الرخصة إذن مشتمل على التيسير في هذه الشعب الثلاث : القراءة ، اللهجة ، فهم المعنى .

ومما يدل على ما ذكرنا : أن إنزال هذه الأحرف جاء متأخراً ، بعد هجرته ﷺ إلى المدينة ، فقد ظل المسلمون في مكة ثلاث عشرة سنة يقرأون القرآن على وجه واحد ، وينطقون به بلهجة قريش ولم يلاقوا في ذلك أى عناء أو مشقة لأن معظمهم كان ينتمى إلى قبيلة قريش ، ومن جاورها بمكة ، فهم أبناء لغة واحدة ، ولهجة واحدة ، لكن الأمر اختلف بعد الهجرة النبوية إلى المدينة ، فقد دخل في الاسلام أبناء القبائل الأخرى ، وفي مقدمتهم قبائل الأنصار ، فبدأت بوادر المشقة تظهر على الألسنة التى اختلفت لهجاتها ، وتغايرت لغاتها مع لغة القرآن ولهجته الموحدة ، وزادت الصورة وضوحاً بعد إقبال الوفود من مختلف قبائل العرب من سائر أنحاء الجزيرة العربية ، خاصة من أهل نجد ، وهجر ، والبحرين ، واليمن ، وحضرموت ، والقبائل الشمالية المتاخمة للشام والعراق ، فإنها أبعد الديار عن قريش وأبعد اللهجات عن لهجتها .

فعندئذ التقى النبي ﷺ بجبريل : عند أضواء بنى غفار ، أو عند أحجار المرء ، ليتلقى البشرى بإنزال الأحرف السبعة .

وهذا الذى ذكرناه، يُعد أول فائدة من تعدد الأحرف القرآنية، بل هو المقصود الأول والحكمة الرئيسية، التى من أجلها شرعت الرخصة .

٢ - وتعتبر هذه الأحرف من خصائص هذه الأمة، ومن المناقب التى تفضل البارى عزوجل بها عليها، إذ كانت الكتب السماوية السابقة تنزل على وجه واحد، فتلتزم الأمم التى أنزلت عليهم بقراءتها وتعلمها على ذلك الوجه، كما أن من أعظم الخصائص وأجل النعم أن يتكفل الله عزوجل بحفظ القرآن، وقد كان هذا الأمر متروكاً بالنسبة للكتب السابقة للأمم أنفسها، فضيَّعت كتبها وحرفت شرائعها .

ويلزم من هذا أن الله عزوجل تكفل بحفظ سائر الأحرف القرآنية التى أنزلها لأن كل حرف منها بمنزلة الآية، فضياع شىء منها واندثاره يعنى أن أبعاضاً من القرآن ضاعت واندثرت، وهذا يتنافى مع مقتضى الحفظ الالهى الموعود به .

أما كون كل حرف من الأحرف المنزلة بمنزلة الآية فمأخوذ من قوله ﷺ : (فأيا حرف قرأوا عليه فقد أصابوا) ومن قوله (القرآن كله صواب) وقوله (كلها كاف شاف) وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : من قرأ على شىء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبةً عنه فإنه من جحد بأية جحد به كله .

أما كون الأحرف من خصائص القرآن، فمأخوذ من حديث ابن مسعود الذى سبق ذكره ولفظه : (نزل الكتاب الأول من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف ..) .

٣ - وهذه الأحرف فائدة عظيمة في تنوع المعاني وزيادتها، إذ أنها تشتمل على أضرب منها متغايرة متنوعة، فكلمها أجريت الآية على وجه تبين لك ضربٌ من المعنى مغايراً لما يحتويه الوجه الآخر منها، وفي ذلك جانب عجيب مدهش من جوانب إعجاز هذا القرآن، ولذلك فإننا سنتوسع في أمثلته، حتى تتجلى لك أسرار هذا الجانب فتكون منها على بصيرة، مع أن استيعابه يدخل بك في علم عظيم لا ساحل لبحره يُسمى : علم توجيه القراءات وتعليلها وبيان وجوهها ومعانيها، لكننا سنقتبس من كلام ذكره أبو الفضل الرازي (في كتاب الأحرف السبعة) ، ومن بعض ما ذكره أبو علي الفارسي في كتابه العظيم (الحجة) :

أ - الأحرف المتغايرة ألفاظها والمتفقة معانيها : هكذا زعم ابن جرير وغيره، مع أنه عند التأمل نجد أنه لا يوجد حرف قرآني يطابق الآخر من جميع الوجوه، وذلك فيما اختلفت ألفاظه سواء منها المترادف أو غيره، إذ لا بد أن يكون هناك فرق في المعنى، وإلا كان تكراراً مخلاً بالإعجاز . .
فمثلاً : هلم، تعال، أقبل .

وهي الألفاظ التي مثلوا بها، إن كانت مشتركة ومتفقة في جهة من المعنى وهو طلب الحضور لدى المتكلم، فإن لكل كلمة منها معنىً زائداً خاصاً بها :

فإذا قلتَ هلم : فكأنك أمرته بالقصد إلى شيء على طريق الاستفهام عن رغبته، وفي هذا تल्प بالمأمور وترفق به .
وإذا قلتَ تعال : فقد أمرته بالارتفاع إليك عن جلوسٍ أو قيامٍ كأنك في مكان مرتفع وهو بخلافك .

وأما إذا قلتَ أقبلَ : فقد دعوته إليك بعد اعراض منه عنك ، فأنت بذلك تحضه على التنبيه والعناية بما يؤمر به .
ولذا نرى ابن مسعود رضى الله عنه وهو الذى مثلَ بهذه الألفاظ على بعض ما يوجد من اختلاف بين الأحرف ، نراه يقول :

إنى قد سمعتُ القرأة فوجدتهم متقاربين .

يعنى رضى الله عنه : وجدت الأوجه التى يقرأون بها متقاربة فى المعنى ، فأثبت بذلك التقارب دون التوافق والتطابق .
ب - الأحرف المتغايرة ألفاظها ومعانيها : وأمثلتها كما يأتى :

قرىء فى المتواتر : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ

كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ (١)

وقرىء ﴿ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ بالبناء للمجهول .

فمعنى الحرف الأول : قاتل النبىُّ ومعه ربيون كثير قاتلوا كذلك دون وهن ولا ضعف ولا استكانة .

ومعنى الحرف الثانى : إما أن يكون : قُتِلَ النبىُّ فما وهن أتباعه - الذين هم الربيون - وما ضعفوا وما استكانوا بل واصلوا القتال من بعده

أو قُتِلَ أتباع النبى (الربيون) - فما وهن النبى لما وقع من القتل فى أتباعه وما وهن الباقون من أتباعه .

والذى يظهر لى أن الحرف الثانى يشمل كلا المعنيين فيكون المراد والله أعلم : إن القتل الذى وقع فى الأنبياء لم يكن ليضعف

(١) آل عمران : (١٤٦) .

من عزائم أتباعهم الرئيين كما أن القتل الواقع في أتباع الأنبياء لم يكن ليضعف من عزائم الأنبياء ولا عزائم الباقيين من الأتباع .

وقرىء في المتواتر: ﴿ رَبُّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ﴾ (١) .

وقرىء ﴿ رَبُّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ﴾ بالمبالغة في فعل الأمر .

وقرىء ﴿ رَبُّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ﴾ فعلاً ماضياً .

فالحرف الأول يشير إلى أنهم من عتوهم وطغيانهم طلبوا

من ربهم عز وجل أن يباعد بين أسفارهم .

والحرف الثاني: يشير إلى إلحاحهم وإصرارهم على هذا

المطلب . .

والحرف الثالث: يخبر بما وقع منهم من الشكاية والتحسر،

لما تحقق ذلك ورأوا ما ترتب عليه من الشدة والمشقة . .

وقرىء في المتواتر: ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا

يَجْمَعُونَ ﴾ (٢) .

وقرىء ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وقرىء ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

ففي هذه الأحرف الثلاثة من ضروب التغاير في الخطاب ما

هو عجيب، فالحرف الأول معناه: فبالقرآن فليفرح المؤمنون هو

خير مما يجمع الكفار، والحرف الثاني معناه: فبالقرآن فليفرح

المؤمنون هو خير مما تجمعون أيها الكفار، والحرف الثالث معناه:

فبالقرآن فلتفرحوا يامعشر المؤمنين هو خير لكم مما تجمعونه من

أموال .

(١) سبأ: (١٩)

(٢) يونس: (٥٨)

وقرىء في المتواتر: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (١) .

وقرىء ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ .

ففى الحرف الأول عتاب لنوح عليه السلام على إلحاحه فى المسألة ، فكأن البارى عزوجل قال له : إن إلحاحك يانوح من أجل ابنك وزعمك أنه من أهلك عمل لا يلىق ، إذ لا ينبغى لك أن تستغفر لكافر وترجوله الرحمة ، وتظن أنه من أهلك ، لأن الكفر يقطع العلائق .

وفى الحرف الثانى إخبار لنوح بشأن ابنه وحاله ، وأنه عمى عملاً غير صالح فلا يستحق الرحمة ولا الغفران .

وقرىء فى المتواتر: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ (٢) .

وروى فى الشاذ «الذكر والأنثى» أخرجه البخارى ومسلم والترمذى عن ابن مسعود وأبى الدرداء أنهما كانا يقرآن به ، وقال أبو الدرداء :

أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا .

ففى الحرف الأول إقسام من الله عزوجل بخلقه الذكر والأنثى ، على أن ما مصدرية ، وفى الحرف الثانى : إقسام منه بنفس المخلوقين الذكر والأنثى والمعنى متقارب فى كل منهما .

ج - وربما كان الاختلاف بين الحرفين مؤدياً إلى

اختلاف الحكم الفقهى المستنبط منهما ، ومثاله :

قرىء فى المتواتر: ﴿ أَوَلَمْ تَسْمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

فَنِيَمَمُوا ﴾ (٣) بالألف .

(١) هود : (٤٦)

(٢) الليل : (٣)

(٣) النساء : (٤٣)

وقرىء ﴿ أَوْلَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ بغير ألف .
 فالحرف الأول يحتمل أنه يُراد به لمس المرأة باليد، أو
 تقبيلها، أو مباشرتها بالجسد دون جماع .
 أما الحرف الثاني فالأغلب أن المراد به الجماع، كقوله تعالى
 ﴿ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ أى ما لم تجامعوهن، فاستدل جماعة من العلماء
 بالحرف الأول على وجوب الوضوء أو التيمم عند عدم الماء من
 ملامسة المرأة سواء كان بالتقبيل أو بالجسد أو باليد . .
 وقال آخرون: إن الملامسة يحتمل أن يراد بها ما ذكرتم
 ويحتمل أن يراد بها الجماع فجاء الحرف الثانى مفسراً لذلك، فلا
 يرون وجوب الوضوء من اللمس باليد ولا من التقبيل ولا من
 المباشرة دون جماع أو إنزال .

وقرىء فى المتواتر: ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ (١) .
 بتخفيف الطاء وإسكانها، وقرىء ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ بتشديد
 الطاء وفتحها .

فالحرف الأول يفيد منع الزوج من مجامعة امرأته الحائض
 حتى تنقضى حيضتها، ويحصل أصل الطهر بانقطاع الدم .
 لكن الحرف الثانى أفاد حكماً زائداً هو: منع الزوج من
 مجامعتها حتى تبالغ فى التطهر فتغتسل بعد انقطاع أثر الدم .
 وقرىء فى المتواتر: ﴿ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ (٢)
 بفتح اللام من قوله (وأرجلكم) . وقرىء « وَأَرْجُلِكُمْ » بكسرها .

(١) البقرة: (٢٢٢) .

(٢) المائدة: (٦) .

فالْحَرْفُ الْأَوَّلُ يَشِيرُ إِلَى فِرْضِ الْغَسْلِ عَلَى الرَّجْلَيْنِ عَطْفًا عَلَى غَسْلِ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ ، وَالْحَرْفُ الثَّانِي يَشِيرُ إِلَى رِخْصَةِ الْمَسْحِ عَلَيْهِمَا ، وَقَدْ بَيَّنَّتِ السَّنَةُ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ لِلْأَبْسِ الْخَفِيِّنَ وَإِلَّا ففِرْضُهُمَا الْغَسْلُ .

وهكذا تجد بمطالعة هذه الأمثلة وتأملها، أن كل حرف من الأحرف القرآنية يعطيك معنى زائداً، يُفصّل لك المعنى الذى دل عليه الحرف الآخر، أو يفسره، أو يتممه، مع تقارب المعانى وتناسبها وتناسقها، وهذا من أعظم نواحي الإعجاز فى أحرف القرآن، ومن أعجب أسرار بلاغته وروعة أسلوبه .

٤ - ومن أعظم فوائد هذه الأحرف : أنها حفظت لغة العرب من الضياع والاندثار، إذ أنها اشتملت على خلاصة ما فى لغات القبائل العربية من فصيح الألفاظ والتراكيب والأساليب واللهجات، فكانت بذلك مرجعاً قطعياً لا يتطرق إليه شك لهذه اللغة المباركة

وسبق أن أشرنا إلى أن الأحرف القرآنية السبعة احتوت على لغات العرب الفصحى دون حصرها فى سبع لغات أو ثمان أو عشر، بل أنت واجدٌ معظم لغات العرب الفصحى فى أحرف القرآن، وواجدٌ أيضاً خلاصة ما فى هذه اللغات من أضرب الكلام والمنطق والأسلوب والتركيب واللهجات .

إلا أن معظم القرآن أنزل بلغة قريش ولهجتها :

فلها النصيب الأوفر من أحرف القرآن السبعة، ذلك لأن لغات القبائل العربية الكثيرة المتعددة لم تكن كلها بمستوى واحد فى الفصاحة وقوة البيان، وحسن اللسان .

بل كانت هناك لغات رئيسية يرجع إليها الفصحاء والبلغاء والشعراء وأرباب البيان، لما لها من منزلة أدبية في قلوبهم، ولما يرون لها من مستوى بلاغى رفيع، فكانت هناك لغة أدبية مقتبسة من هذه اللغات الرئيسية .

بينما كانت هناك لغات أخرى لبعض القبائل، مهجورة ومغمورة لدى أرباب البيان، وذلك لقلة فصاحتها وضعف مستواها الأدبي، وكثرة العيوب اللغوية فيها، مع كون هذه اللغات لا تخلو من نماذج قليلة ونادرة تعد من فصيح الكلام . فاللغة التي نزلت بها أحرف القرآن، كانت لغة مجموعة من معظم تلك اللغات العربية، إلا أنها منتقاة من فصيحها وجيدها دون سقيمها وردئتها، ولذلك كان للقبائل الرئيسية الفصحى النصيب الأوفر من أحرف القرآن .

ومن هذه القبائل ما ذكره أبو عبيد في قوله الذى سبق ذكره ومن أشهرها العجز من هوازن وهم : سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر ابن معاوية، وثقيف .

ومن أشهرها كذلك بنو دارم، وهم الذين يقال لهم : سفلى تميم، قال أبو عمرو بن العلاء المازنى : أفصح العرب علياء هوازن وسفلى تميم .

وكانت قريش بجميع بطونها وقبائلها أشهر هذه القبائل فى الفصاحة والبلاغة .

وذلك لأسباب عديدة، من أهمها : أنها كانت متوسطة الدار، بعيدة عن مجاورة الأمم الأعجمية، مع بعدها عن الصحراء : فسلمت لغتها بذلك من التأثير بالعجمة، ومن غلظة أهل الصحراء وجفائهم، فقد كانت مكة حاضرة عربية أصيلة،

متوسطة في مركزها، ولعل ذلك لحكمة إلهية، حيث اصطفاه الله عز وجل داراً لنبيه ومنشأ له، واصطفى لغة أهلها لغة لقرآنه .
ومنها كذلك : أن قريشاً كانت مهوى أفئدة العرب، فتد مختلف القبائل إليها في كل عام في موسم الحج، معها زعمائها، وفصحاؤها وشعراؤها، فتختلط بهم قريش، وتسمع منهم، وتقتبس من كلامهم ماتستحسنه وتستعذ به، وتتجنب ردىء كلامهم وسقيمه .

فاتاحت لها بذلك فرصة ثمينة من أهم الفرص التي تساعد على نمو اللغات وإزدهارها .

وعلى وجه الإجمال كانت لغات بقية القبائل دون اللغة القرشية في المستوى الأدبي، مع أن الفصحاء وأرباب البيان كانوا يعرفون بدقة العيوب اللغوية في لغات القبائل .

أخرج الرازي بسنده عن قتادة : أن معاوية رضى الله عنه قال يوماً : أى الناس أفصح؟ فقام رجل فقال :

قوم ارتفعوا عن قرآئية العراق، وتياسروا عن كسكسة بكر، وتيامنوا عن كسكسة تميم، ليس فيهم غمغمة قضاة، ولا طمطائية حمير .

قال : من هم؟ قال : قومك قريش، قال : صدقت، ممن أنت؟ قال : من جرم (١) .

(١) قال أبو الفضل الرازي : وقد سمعت هذه الحكاية من وجه آخر وفيها : ارتفعوا عن قرآئية العراق، ولعلها الإمالات الكثيرة المشبعة التي توجد في لسان أهل الحيرة، وأما في هذه الرواية فالقراتية على قاف وتخفيف الياء، وهي الانعقاد الذى يوجد في كلام المستعربين الذين ليسوا من صميم العرب، يُقال منه قَرَّتْ الدَّمُ إذا انعقد واشتد، وقد سمعت فيها كثكثة بكر، وهي لثغة لهم غير أن روايتنا بالسين، وهو إبدال السين من الكاف، وكذلك سمعت لخلخانية العراق، وهي العجمة، كما أن الطمطائية كذلك : (شرح حديث الأحرف السبعة / مخطوط ق ٤٤) .

القراءات المتواترة :

أجمع المسلمون منذ الصدر الأول على أنه لا يُقرأ بحرف ولا يُحكم بقرآنيته ولا يُكتب في المصحف حتى يتحقق في نقله التواتر، بمعنى أن يرويه عدد كبير يحصل بروايتهم اليقين، ولذلك لم يثبت الصحابة في المصاحف العثمانية إلا ما كان كذلك، وأطرحوا ما انفرد بروايته الأحاد، ولو كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فإنه لما جاءهم بآية الرجم واختلفوا فيها لم يثبتوها في المصحف (١).

إنما أثبتوا فيه ما أجمع جمهورهم على أنه من القراءة الثابتة في العرضة الأخيرة التي قرأ بها رسول الله ﷺ على جبريل وأقرأ بها أصحابه بعدها .

ولكن تفرق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في الأمصار وانتشارهم في الديار بسبب الجهاد زمن أبى بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما وأوائل عهد عثمان رضى الله عنه كان سبباً لانتشار كثير من الأحرف القرآنية المنزلة قبل العرضة الأخيرة مما كان النبي ﷺ أقرأ به ثم تركه بعد أن أُخلى منه القرآن بأمر من الله عز وجل .

وقد كان قراء الأمة من الصدر الأول يعتمدون على قوة حفظهم واتقانهم فكانت القراءة تنتقل عبر الصدور، فما احتاجوا للتدوين إلا عندما تفاقم الأمر على العامة، فكتبت المصاحف العثمانية ليضبط بواسطتها الحفاظ ما حفظوه وبلغهم من أحرف القرآن ويجعلوها نبراساً ومرجعاً يميزون بواسطته الثابت من

(١) انظر فتح البارى : (١٢/١٤٣) .

المنسوخ، ولكن الناس مع ذلك احتاجوا في الصدر الأول إلى من يتلقون عنه هذه المصاحف ويقرءون عليه ما تضمنته من أحرف قرآنية، فأرسل عثمان رضى الله عنه أئمة القراءة من الصحابة إلى كل مصر وناحية، فأرسل عبد الله بن السائب المخزومي إلى مكة فلبث يُقرىء بها حتى سنة (٧٠) من الهجرة، وأرسل المغيرة بن شهاب إلى الشام فأقرأ بها حتى سنة (٩١)، وأقرأ بها أبو الدرداء حتى سنة (٣٢)، وكان قد أقرأ بها أيضا عبادة بن الصامت، ومعاذ بن جبل رضى الله عنهم وكان قد بعث الثلاثة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأقرأ عبادة بحمص وأبو الدرداء بدمشق ومعاذ بفلسطين^(١) وأرسل عثمان أيضاً أحد تلاميذه الذين تلقوا القرآن عنه وعن غيره من الصحابة، وكان متقناً، وهو أبو عبد الرحمن السلمى، أرسله إلى الكوفة فأقرأ بها حتى سنة (٧٤)، ومن قبله أقرأ بها عبد الله بن مسعود حتى أوائل سنة ثلاثين، وأقرأ أبو موسى الأشعري بالبصرة حتى سنة (٤٤).

وقد كان غير هؤلاء يُقرئون القرآن من الصحابة رضى الله عنهم ومن التابعين، لكن هؤلاء فرغوا لهذا الشأن وعينوا له، وكثر تلاميذهم.

هكذا كان حال الناس في النصف الأول من القرن الأول، فما بالك بهم بعد ذلك وقد ازدحمت الأمم في كنف الاسلام، وأضحت الأمصار الخمسة تعج بالمسلمين من كل جنس ولسان، وتوافدت الوفود على القرآن تطلبه وتتلقاه وتقرؤه، وتكاثر القراء من التابعين الذين تلقوا عن الصحابة ومن بعدهم من تابعيهم

(١) طبقات ابن سعد : «طليدن» : (ج ٢ : القسم : ٢ : ص ١٠٤).

الذين تلقوا عنهم ، وقد كان يفتد على المقرئ منهم ويجلس في حلقة أمم ، وقد بلغ من كان يجلس في حلقة أبي الدرداء بدمشق ألفاً وستمائة (١) ، وكان معظم هؤلاء لا يصدر عن تلك الحلقات ولا ينتهون من التلقى إلا وقد أتقنوا القرآن ، ولكن اطراد الكثرة أدى إلى أن يختلط بالحفاظ المتقنين من هم أقل منهم إتقاناً وضبطاً للحروف ، وتمييزاً بين الثابت منها وغير الثابت والمشهور المستفيض والأحاد الشاذ ، مع كون الخلل قد بدأ يتسلل إلى قوة الحفظ عامة ، وإلى فصاحة الألسنة ، فاحتاج أهل القراءة حينئذ إلى وضع الضوابط التي يميزون بها الأحرف القرآنية الثابتة المتواترة من غيرها ، فوضعوا ثلاثة ضوابط هي .

اتصال السند إلى النبي ﷺ وتواتره ، وموافقة المروى من خط المصاحف العثمانية ، وموافقة اللغة العربية ولو بوجه ولكن قد تقول : ألم تكف المصاحف العثمانية ضابطاً للأحرف ، وقد كتبت لذلك ؟ .

فنقول : قد كانت كافيةً في أول الأمر ، والعهد قريب من عصر النبي ﷺ ، والصدور واعية حافظة متقنة ، فكان اعتمادهم على حفظهم في الرواية والقراءة .

وخط المصاحف العثمانية يعلم الخبير به أنه في كثير من الأحيان وكثير من المواضع يحتمل أوجهاً كثيرة لا تضبطها وتحدها إلا الرواية ، ولا يمسك بزمامها إلا الحفظ ، ولو ترك الناس يقرءون كلمة «ملك يوم الدين» بما يحتمله الخط من أوجه لوجدوا أنها

(١) معرفة القراء للذهبي : (ص ٣٨) .

تحتمل عشرات الأوجه ، وقد دخل أهل البدع والأهواء من هذه الثغرة وحاولوا أن يدسوا في القرآن أحرفاً مكذوبة توافق أهواءهم (١) لولا أن الله عز وجل حفظ كتابه بأن هيأ له من الحفاظ النقاد الجهابذة من يذبون عن حماه .

ولذلك كان خط المصاحف العثمانية وحده ليس كافياً لضبط القراءة ، فوضع القراء شرطاً آخر هو تواتر السند إلى النبي ﷺ ، حتى تتميز الأوجه الصحيحة القرآنية عن غيرها من تلك الأوجه التي احتملها الخط ، إذ كان قصد كتّاب المصاحف العثمانية من كتابة بعض المواضع بشكل محتمل ، ترك المجال مفتوحاً للأوجه الثابتة المنزلة لا للأوجه غير المنزلة ، وهذا إنما يُعرف ويتم ضبطه بالرواية وحدها .

مع أن الأمر لو ترك بغير ضبط بالرواية لحصل خلط واضطراب كبير حاشا كتاب الله أن يقع فيه ، تعلم ذلك عندما يبلغك أن بعض الأئمة من القراء توهم أنه يجوز أن يقرأ بكل ما يحتمله خط المصاحف العثمانية من أوجه ما دام سائغاً في اللغة العربية وإن لم يثبت بالرواية (٢) ، لولا أن القراء في عصره وقد كانت كلمتهم اجتمعت واثلت على وجوب تقييد القراءة والإقراء بما روى متواتراً ، فأنكروا على صاحبنا هذا وأقاموا عليه

(١) ومما دسه منكروا الصفات قراءة قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بنصب اسم الجلالة ، وحاول الرافضة أن يدسوا قراءة ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضًا﴾ بفتح اللام المشددة على أن يكون المقصود - في زعمهم لعنهم الله - صاحبي رسول الله ﷺ .

(٢) وهو الحافظ محمد بن الحسن المشهور بابن مقسم البغدادي من أهل القرن الرابع الهجري قال عنه الذهبي : كان من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات مشهورها وغريبها وشاذها ، ولما انفرد بهذه الشبهة وجهر بهذا الرأي أحضره السلطان واستنابه بحضرة القراء والفقهاء فأذعن بالتوبة وكتب محضر بتوبته (غاية النهاية للجزري ج ٢ : ص ١٢٣) .

الحجة وقسروه على الانقياد للإجماع ، هذا واحد من الأئمة وقع في هذه الشبهة فليت شعري كيف كان يصبح حال العوام لو لم يجمع القراء على هذه الضوابط الثلاث .

نظمها الجزري في طيبته فقال :

فكلُّ ما وافقَ وَجْهَ نَحْوِ وكانَ للرَّسْمِ احتمالاً يَحْوِي
وصحَّ إسناداً هُوَ القرآنُ فهذهِ الثَّلاثَةُ الأركانُ
وحيثما يَحْتَلُّ رُكنٌ أثبت شدُّودُه ، لوَّانُه في السَّبْعَةِ
وسوف نشرح كل شرط منها بالترتيب حسب أولويتها ،

وهي حينئذ تترتب بعكس ما هي عليه في البيتين :

فالأول : هو (تواتر الاسناد) : أجمع على ذلك المسلمون كما قدمنا وهم في ذلك ممثلون أمر نبيهم ﷺ ، حيث أمر الأمة أن يقرأوا كما علموا ، فلا يتجاوزوا ما تلقوه عنه ﷺ (١) ، وتأكيداً لذلك نص الصحابة على هذه القاعدة فقال عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت : القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول (٢) وقال عبد الله بن مسعود : اقرأوا كما علمتم وإياكم والتنطع .

ولذلك لم يستبح أحد من السلف لنفسه أن يقرأ إلا بحرف بلغه بإسناده عن النبي ﷺ ، وكل من قرأ منهم أو أقرأ بشيء من الأحرف فإنه ينص على إسناده به (٣) ولم يقرأ أحد باستحسان أو

(١) في حديث علي بن أبي طالب وابن مسعود وقد سبق .

(٢) رواه بأسانيده عنها أبو بكر بن مجاهد في كتاب السبعة (ص ٥٠) .

(٣) ولذلك تجدد الكتب المعتمدة في فن القراءات مصدرة بذكر الأسانيد والطرق التي بواسطتها تلقى مصنف الكتاب ما ضمنه من أحرف قرآنية ، وقد ينصون في بعض المواضع بخصوصها على أسانيد الخاصة إذا كان فيها خلاف يقتضى ذلك ، أما الأحرف المشهورة فلا يلزمهم فيها ذكر الإسناد عند كل موضع ، لأنه يتلقى أحرف القرآن جملة واحدة بعرض القرآن بها على الشيخ أو سماعه إياه منه ، ويأتي مزيد بيان لذلك .

قياس، إلا ما روى عن ابن مقسم وكان حدثاً أحدثه عفا الله عنه، ثم رجع عنه وأعلن توبته كما سبق بيانه، فلا يُعد رأيه هذا خرقاً للإجماع.

ثم إن الأحرف القرآنية تنحصر روايتها ويقتصر تلقيها على نوع واحد من أنواع التلقى والرواية وهو: المشافهة، فلا بد أن يسمع الراوي من شيخه الأحرف، وقال بعضهم: لا بد أن يعرضها عليه، أي يقرأ بها القرآن والشيخ يسمع منه، إذ ليس كل سامع بالضرورة قادراً على القراءة بما يسمع، والذي أوجب هذه الطريقة من طرق التلقى والرواية دون غيرها أن القراءة أمر يتعلق بكيفيات النطق، وهذه لا تعلم إلا بالتطبيق العملي والسماع، فلا يمكن تلقيها من الكتب (١).

ثم إن نقل الأحرف القرآنية لا يكفي فيه رواية الواحد ولا الاثنين، بل لا بد أن ينقلها جمهور القراء في كل جيل حتى يحصل اليقين بنقلهم، وهذا لا يتحقق إلا بنقل عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وهذا هو معنى التواتر المعروف لدى علماء الرواية، فلو انفرد آحاد بنقل قراءة لم يُعتدَّ بنقله وإن كان لا يكذب، وإن كان ثقةً عدلاً إماماً حجة، لكن انفراده وشدوذه يمنع من قبول نقله حتى ولو كانت قراءته موافقة للغة العرب

(١) وقد حرص علماء الإسلام، وأهل القراءة منهم خاصة على العناية بشرط الإسناد، والتثبت منه عند الإقراء فلم يكن أحد يستطيع التصدر للإقراء ما لم يكن مجازاً من لدن مقرئ متصل السند معروف بالإنقان والعلم، وقد كان نظام الإجازة في علم القراءة علماً وشعاراً للإسناد، وصلة تربط أهل القرآن بمعلمهم الأول رسول الله ﷺ وضابطاً دقيقاً يميز بين المتقنين الحافظين وبين غيرهم من أدعياء الفن والغرباء عليه، وإن إهمال هذا النظام بين أهل القراءة في زماننا هذا - إلا القليل النادر - هو دليل على ضياع العلماء.

ولرسم المصحف، وهذا اصطلاح ليس محدثاً، بل اتفق عليه علماء الأمة ابتداءً من الصدر الأول من أصحاب رسول الله ﷺ، وانتهاءً بالمحققين المتقنين في يومنا هذا، وسوف نحقق معنى التواتر وحقيقته عند الكلام على تواتر القراءات العشر إن شاء الله تعالى .

الثاني : (موافقة رسم المصاحف العثمانية ولو احتمالاً) : وهذا شرط آخر أجمع عليه الصدر الأول بعد كتابة مصاحف عثمان، فاطرح كل واحد من الصحابة ما كان قد كتبه من صحف القرآن وسلمها للخليفة الراشد عثمان، فحرقها وشققها وغسلها بالماء، وائتلفت الأمة على القراءة والإقراء بما دُونَ وكتب في تلك المصاحف العثمانية دون غيرها، وهذا الإجماع مبني على إجماعهم على أن ما فيها هو القرآن كاملاً غير منقوص، وأن ما لم يكتب فيها إما منسوخ أمر رسول الله ﷺ بتركه في العرصة الأخيرة، أو لم ينزل أصلاً بل كتب تفسيراً وشرحاً .

ولما كانت الأحرف القرآنية قد تعددت في الموضع الواحد من القرآن وكلها مُنزلٌ ثابتٌ متساوٍ في قرآنيته وثبوته، عزم عثمان رضي الله عنه على أن يدونها كلها في المصاحف، ولا يدع منها شيئاً، ولكن بدلاً من أن يكتبوا الوجوه المتعددة مكررةً فيتوهم الناس ما يتوهمون من جراء ذلك، اصطلحوا على طريقة في الكتابة خاصة بهذه المصاحف تُجعل فيه الكلمة التي ثبتت فيها عدة أوجه منزلة مرسومةً بطريقة يجعلها محتملةً لأن تُقرأ بكل تلك الأوجه، وذلك بأن جردوا الحروف من النقط والشكل، وغير وا في إملاء الخط بما يجعل طريقة الخط فيها سعة واحتمال كلما أمكن ذلك، إذ أن ذلك لم يمكن لهم في جميع المواضع :

فمثلاً كتبوا «ملك» بدون ألف بعد الميم، ومجرداً من الشكل، ومثله «غيبت» و«رسالت» و«جملت» كل ذلك بغير ألف لتحتمل الكلمة بصورة خطها قراءتها بالألف، لأن الألف تقدرها العرب في النطق وإن لم تكتب في الخط، فأمكن بذلك أن تُقرأ هذه الكلمات بأوجهها المنزلة، فملك تُقرأ بوجهيها المنزليين «مَلِكٍ» و«مَالِكٍ» و«غَيَابَتٍ» و«غَيَابَاتٍ» و«رِسَالَتٍ» و«رِسَالَاتٍ» و«جَمَلَتٍ» و«جَمَالَاتٍ» تُقرأ بالإنفراد والجمع، وكل ذلك منزل .

ومثله أيضاً «الصراط» و«صراط» و«بمصيطر»، كل ذلك كتبوه بالصاد مع أنه فيه الوجهان: القراءة بالصاد والقراءة بالسين، ولكن الصاد تحتمل أن تُنطق سينا إذ من لغة العرب قلب السين صاداً، ولو كُتبت بالسين امتنع حينئذ قراءتها بالصاد لأن العكس غير معروف عند العرب .

كما أنهم كتبوا الألفات التي ثبت فيها الوجهان الإمالة والفتح: بالياء لأن الألف يمكن أن تكتب ياءً وتُنطق ألفاً، كالألف المنقوصة، فتستطيع أن تُقرأ مثلاً قوله «بسيمهم» بالفتح والإمالة، وربما كتبوا الكلمة بغير ألف ولا ياء أصلاً فيمكنك حينئذ أن تنطق بالألف وإن لم تكن مكتوبة وأن تنطق بها مماله أو مفتوحة، لما سبق أن أشرنا إليه وهو أن الألف تُقدَّر فيُنطق بها وإن لم تكتب، وقد اتفق أهل الخط على كتابة: هذا، وهذان، وهؤلاء، وأولئك، بغير ألف بعد الهاء أو بعد اللام مع وجوب النطق بها في الجميع .
ومثال كتابتهم للكلمة بغير ألف ولا ياء: «الكافرين» «طه»، فإن الألف في الكافرين، والألفين في طه تنطق بالفتح والإمالة، وجهان منزلان .

ثم إن تجريد الخط من النقط والشكل جعل كثيراً من الكلمات محتملاً للأوجه المنزلة فيها مثل كلمة: «يرجعون» في عدة مواضع، يمكن أن تقرأها بالتاء أو بالياء، وبالبناء للمعلوم أو للمجهول، مثل: «فيقتلون ويقتلون» يمكن أن تقرأ الفعلين بالوجهين المنزليين، إما ببناء الأول منها للمجهول والثاني للمعلوم، أو بالعكس.

هذه هي كيفية احتمال الرسم ولو تقديراً للأوجه المقروءة. وقد اتفق العلماء من بعد الصحابة اقتداءً بهم: على أن القراءة مقصورة على ما في مصاحف عثمان، فما لم تتضمنه أو يحتمله رسمها لا يُقرأ به، ولذا صارت موافقة ما يُروى ويُنقل بالأسانيد لخط هذه المصاحف شرطاً بالإجماع، فلو صح الإسناد واتصل إلى النبي ﷺ بحرف يخالف ما في مصاحف عثمان فإنه لا يُقرأ به، ويُعد من الأحرف المنسوخة التي أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أنها مما تُترك في العرضة الأخيرة^(١).

ولم يخالف في هذا أحد، إلا ما روى عن الإمام محمد بن شنبوذ وهو من أهل القرن الرابع الهجري، وقد كان إماماً واسع الحفظ كثير العلم طوف بالآفاق، وأخذ عن شيوخ كثيرين، فشذ عن هذا الإجماع وأخذ يُقرئ بكل ما صح لديه سنده وإن خالف رسم المصاحف العثمانية، ولكن علماء بغداد وفقهاءها وقراءها برئاسة أبي بكر بن مجاهد اجتمعوا وقرروا استنابته في محاكمة علمية فريدة من نوعها في التاريخ، وناظرهم عفا الله عنه وأصر على

(١) ومثاله ما ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء وابن مسعود أنها كانا يقرآن «والذكر والأثنى» وقال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا.

رأيه، لكنهم قسروه على الانصياع لما أجمعت عليه الأمة وكتب عليه محضر بذلك (١).

الثالث: (موافقة العربية ولو بوجه) : مقصودهم بهذا الشرط أن القراءة التي تواتر سندها، ووافقت خط المصاحف العثمانية، يلزم أن يكون لها وجه في اللغة العربية، وإن لم يكن مشهوراً لدى علماء اللغة بل ربما كانوا يضعفون مثله أو يمتنعونه قياساً، ولكن لا عبرة بذلك ولا تُردُّ قراءة ثابتة لرأى الناس، وإن كانوا أئمة اللغة، إذ أن علماء اللغة وأئمة النحو إنما يتبعون ما يصل إليهم وما يبلغهم من كلام العرب شعراً ونثراً، فيبنون قواعدهم ومصطلحاتهم على ذلك، ولم يحط إنسان مهما علا كعبه وعظم اطلاعه باللغة العربية، لذلك لا نستغرب أن يغيب عن علمهم شيء من وجوه العربية ثم نعثر عليه في أعظم مصدر لها وهو القرآن.

وقد اشتط الفهم ببعض أئمة اللغة الذين قعدوا القواعد، ووضعوا الضوابط اللغوية، ثم وجدوا أحرفاً قرآنية تخالف ما قعدوه، فعظم عليهم التنازل عما وضعوه باجتهادهم وحسب علمهم واجتروا على تفنيد تلك الأحرف المروية الثابتة، واتهام رواة من جماهير القراء بقلة الضبط، وعجباً لهم كيف يتهمون جماهير القراء الذين يتحقق بروايتهم شرط التواتر ويحصل بهم القطع واليقين يتهمونهم بالخطأ، ولا يتهمون علمهم واجتهادهم وما بلغهم بطرق ظنية أحادية مجهولة، أو بطرق صحيحة لكنها لا ترقى إلى مستوى التواتر الذي لا تعدوه رواية القرآن.

(١) غاية النهاية للجزري : (٥٢/٢).

أنكروا قراءة حمزة ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ ﴾ بالخفض عطفًا للاسم الظاهر على المضمر، وهم لا
يُجَوِّزُونَ مثل ذلك .

وأنكروا قراءة أبي جعفر ﴿ لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴾ ببناء (ليجزى) على المجهول ونصب (قوما)، ومثل
هذا لا يصح عندهم .

وأنكروا قراءة ابن عامر ﴿ زُبَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ
أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ بالفصل بين المضاف والمضاف إليه
بالمفعول، وهذا شيء لا يستبيحه النحاة .

وأنكر بعضهم قراءة ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ بتشديد (إن)
وبناء (هذان) على الألف، ونسبوا هذا إلى خطأ الكتاب

فهذه القراءات كلها متواترة لاشك في صحتها وضبط
رواتها، إلا أنها تكلف النحاة وأهل اللغة مراجعة حساباتهم،
وإتهام قواعدهم التي أصلوها في هذه الأبواب، وذلك محتم عليهم
إذ لم يجعلوا القرآن أصلهم الأول ومرجعهم المفضل، ولم يتنبهوا إلى
أنه ليس لديهم من منابع اللغة التي تستقى منها منبع ومرجع يرقى
في درجة ثبوته إلى القرآن .

ولو رجعت إلى وجوه هذه القراءات التي أنكروها لوجدت
لها وجوهاً قوية وشواهد من كلام العرب (١) .

(١) إذا أردت التوسع في ذلك فارجع إلى مواضع هذه الآيات من النشر للجزري، والبحر
المحيط لأبي حيان .

تنبيه :

عند التأمل والتحقيق نجد أن هذا الشرط الثالث هو في الحقيقة ليس شرطاً بالمعنى المفهوم للشرطية، بمعنى أنه إذا انتفى ينتفى المشروط لسببين :

الأول : أن ذلك لم يقع، بمعنى أنه لم تُوجد قراءة ثابتة متواترة موافقة لخط المصاحف العثمانية، ولا وجه لها في اللغة العربية .

الثاني : حتى لو فرضنا ورود قراءة ثابتة متواترة موافقة للرسم، ولم نعثر لها على وجه فيما علمناه من اللغة، فإن ذلك ليس دليلاً على عدم وجود وجه لها فيها، لأن علمنا مهما اتسع فهو متهم بالقصور والنقص، ولأن القراءة إذا تواتر سندها ووافقت خط المصاحف العثمانية قطعنا بأنها قرآن منزل، فهي حينئذ دليل قطعي لا مناقشة في ثبوته .

فإذن نستطيع أن نقول : ان هذا الشرط الثالث هو في الحقيقة نتيجة لازمة لتوفر الشرطين السابقين وليس شرطاً .

القراءات العشر المتواترة :

ظل العلماء من أهل القراءة ملتزمين بالأركان الثلاثة التي ذكرت سابقاً فيما يقرءون به ويُقرءون، مجتمعين على وجوب مراعاتها في تلقي أحرف القرآن فكل رواية توفرت فيها فهي قرآن ثابت يُقرأ به في الصلاة وخارجها . .

وكل رواية اختلفت فيها هذه الأركان أو بعضها لم يقبلوها، ولم يقرءوا بها، ولم يحكموا بقرآنتها. وهكذا كان الشأن في كل الأمصار، وعند كافة علماء القراءة، دون أن يفرقوا في ذلك بين

رواية ورواية ولا بين راو وآخر، ودون أن يحددوا عدداً أو يخصصوا
أحداً بالذكر . .

بل لم يكن من اصطلاحهم نسبة القراءة إلى واحد من
نقلتها ورواتها، وكانوا يكرهون ذلك : أن يُقال قراءة الأعمش، أو
قراءة أبي عبد الرحمن السلمى . .

حتى لا يتوهم أحد أنها خاصة به، لم يروها غيره، أو يظن
أن لاجتهاده ورأيه دخلاً فيها . . ولم يحتاج الناس إلى تحديد عدد
الرواة وتخصيص بعضهم لسبيين :
هما : علو الهمم، وقرب العهد بالتنزيل .

فلما ضعفت الهمم وبعُد العهد، اتسعت دائرة الرواية،
وتشعبت الأسانيد وكثر الرواة، فاحتاج الناس إلى ضبط هذا
الشأن حتى لا يختلط على الناس، فتفرغ عدد من المحققين
الأعلام، لتتبع الروايات والطرق والأسانيد، والحروف المروية،
والتحقق من توفر الأركان فيها . . فأدى بهم هذا التتبع والاستقراء
إلى اختيار عدد من الأئمة، رأوا أنهم تميزوا عن بقية رواة القراءة :
بأنهم أكثر ضبطاً واتقاناً ودقّةً، وحفظاً للشيوخ والأسانيد، مع كون
الناس في الأمصار الكبرى قد تلقوا رواياتهم بالقبول والرضا،
وكون أهل مصر كل واحدٍ منهم أجمعوا على ضبطه وإمامته .

وقد اختلف هؤلاء المحققون في اختيار هؤلاء الأئمة، إلا
أن الجميع اتفقوا على إمامة عدد من القراء في كل مصر من
الأمصار الخمسة التي أرسلت إليها المصاحف العثمانية : وهي :
الحرمان، والكوفة، والبصرة، والشام .

ففى مكة: عبد الله بن كثير^(١)، ومحمد بن عبد الرحمن بن
 حُيَِّصْن^(٢)، وحُمَيْد بن قيس الأعرج^(٣)
 وفى المدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع^(٤)، وشيبة بن
 نَصَّاح^(٥)، ونافع بن أبى نَعِيم^(٦)
 وفى الكوفة: يحيى بن وثاب^(٧)، وعاصم بن أبى
 النَّجُود^(٨)، والأعمش^(٩)، وحمزة بن حبيب الزيات^(١٠)، وعلى بن
 حمزة الكسائى^(١١).

- (١) عبد الله بن كثير بن المطلب أبو معبد المكى الدارى، من التابعين، إمام أهل مكة فى
 القراءة فى زمنه وهو أحد القراء السبعة، ت سنة ١٢٠ (غاية ٤٤٣/١)
- (٢) محمد بن عبد الرحمن بن حيصن السهمى مولا هم المكى، ت سنة ١٢٣ .
- (٣) حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان المكى، أخذ القراءة عن مجاهد بن جبر، ت سنة ١٣٠
 (غاية ٢٦٥/١) .
- (٤) يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومى المدنى، تابعى مشهور وأحد القراء العشرة، ت
 سنة ١٣٠ بالمدينة (غاية ٣٨٢/٢) .
- (٥) شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب، مقرئ المدينة مع أبى جعفر قاضيها ومولى أم
 سلمة رضى الله عنها، ت سنة ١٣٠ (٣٢٩/١) .
- (٦) نافع بن أبى نعيم أبورويم الليثى مولا هم المدنى، إمام القراءة بالمدينة زمن مالك بن
 أنس، أخذ عن سبعين من التابعين، ت سنة ١٦٩ بالمدينة (غاية ٣٣٠/٢) .
- (٧) يحيى بن وثاب الأسدى مولا هم الكوفى، تابعى ثقة، تعلم القراءة من عبيد بن نضلة آية
 آية، ت سنة ١٠٣ (غاية ٣٨٠/٢) .
- (٨) عاصم بن هُدَلة أبى النجود أبو بكر الأسدى مولا هم الكوفى الحنَّاط، من تابعى التابعين
 وكان شيخ الإقراء بالكوفة، ت سنة ١٢٧ (غاية ٣٤٦/١) .
- (٩) سليمان بن يهْران الأعمش أبو محمد الأسدى الكاهلى مولا هم الكوفى، من التابعين ت
 سنة ١٤٨ (علماء الأمصار ص ١١١) (غاية النهاية ٣١٥/١) .
- (١٠) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إساعيل أبو عمارة الكوفى التيمى مولا هم الزيات، من
 تابعى التابعين، ت سنة ١٥٦ (غاية ٢٦١/١) .
- (١١) على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدى مولا هم وهو من أولاد الفرس،
 أبو الحسن الكسائى الإمام فى القراءة واللغة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات،
 ت سنة ١٨٩ (غاية ٥٣٥/١)

وفي البصرة: عبد الله بن أبي اسحاق^(١)، وأبو عمرو بن العلاء^(٢)، وعاصم الجحدري^(٣)، ويعقوب الحضرمي^(٤).
 وفي الشام: عبد الله بن عامر اليحصبي^(٥)، وعطية بن قيس الكلابي^(٦)، ويحيى بن الحارث الذمّاري^(٧).
 فكان الناس يقرءون بقراءة هؤلاء، ويتلقون ما يروونه بالقبول، إذ ثبت لديهم إتقانهم وحفظهم وضبطهم للأحرف، ولأسماء شيوخهم، وثبت لديهم تواتر مروياتهم، واستفاضة قراءاتهم. . حتى جاء أبو بكر بن مجاهد التميمي البغدادي شيخ القراءة ببغداد في عصره^(٨) فصنف كتاب - السبعة - واقتصر فيه على:

-
- (١) عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي البصري جد يعقوب الحضرمي، ت سنة ١٢٩ (غاية ٤١٠/١)
- (٢) اسمه زبّان بن العلاء أبو عمرو التميمي المازني البصري، من أعلم الناس باللغة والقراءة، ت سنة ١٤٠ بالبصرة (علماء الأمصار ص ١٥٣) (غاية ٢٨٨/١).
- (٣) عاصم بن أبي الصباح العجاج أبو المحشر الجحدري البصري، ت قبل الثلاثين ومائة (غاية ٣٤٩/١).
- (٤) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مولا هم أبو محمد البصري، أحد القراء العشرة، ت سنة ٢٠٥ (غاية ٣٨٦/٢).
- (٥) عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي أبو عمران الشامي، من التابعين، أخذ القراءة عرضاً على أبي الدرداء وعلى المغيرة بن أبي شهاب، ت سنة ١١٨ بدمشق (غاية ٤٢٣/١).
- (٦) عطية بن قيس أبو يحيى الكلابي الحمصي الدمشقي، تابعي ثقة، ومقرئ دمشق بعد ابن عامر، ت سنة ١٢١ (غاية ٥١٣/١).
- (٧) يحيى بن الحارث بن عمر أبو عمرو الغساني الذمّاري ثم الدمشقي، تابعي ثقة، ت سنة ١٤٥ (علماء الأمصار ص ١١٩) (غاية ٣٦٧/٢).
- (٨) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي أبو بكر الحافظ البغدادي، ت سنة ٣٢٤ هـ (غاية ١٣٩/١).

نافع، وعبد الله بن كثير، وعبد الله بن عامر، وعاصم بن
أبي النُّجود، وأبي عمرو بن العلاء. هؤلاء من الأمصار الخمسة،
ثم زاد عليهم: حمزة بن حبيب الزيات، وعلياً الكسائي من أهل
الكوفة. . . فكان أول مصنف في القراءات يقتصر على سبعة من
القراء وإنما أراد بالاختصار على هذا العدد دون غيره أن يوافق عدة
المصاحف العثمانية المرسلة إلى الأمصار وهي سبعة^(١)، وما أراد
أبداً أن يفسر الأحرف السبعة بقراءة هؤلاء كما توهم فئة من الناس
بعده لما رأوا عدة هؤلاء موافقةً لعدد الأحرف السبعة، وقد سبق أن
قلنا إن هؤلاء أو غيرهم إنما يُحصون بالذكر من بين جماهير النقلة
والرواة الذين ينقلون القراءات لكونهم حازوا الشهرة والقبول
والإجماع، فنقل القراءات ليس مقتصراً على سبعة ولا عشرة ولا
سبعين ولا مائة، ولو اريد حصر نقلتها وروايتها لبلغوا آفاقاً مؤلفة في
كل جيل .

مع أن ابن مجاهد قد بقي مدة من الدهر يتأرجح بين علي
الكسائي ويعقوب أيهما يقدم في كتابه ثم قدم الكسائي ليس لأنه
أضبط من يعقوب ولكن لأن قراءته وقعت له بعلو إسناد^(٢)،

(١) المختار أنها سبعة فقد أرسل عثمان أولاً خمس مصاحف إلى الكوفة والبصرة والشام ومكة
وأبقى مصحفاً في المدينة، ثم أتبعها بمصحفين إلى اليمن والبحرين، وقيل إن ابن مجاهد أراد
موافقة عدة الأحرف السبعة، وقيل إنه لم يبين مراده من ذلك، وهذا الذي نظمه الجعبري في قوله:

وَأَعْفَلَ دُوَّ التَّسْبِيعِ مَبْهَمَ قَصْدِهِ
فَزَلَّ بِهِ الْجَمْعُ الْغَفِيرُ فَجَهَّلَا
وَنَاقَضَهُ فِيهِ وَلَوْ صَحَّ لَأَقْتَدَى
وَكَمْ حَاذِقٍ قَالَ الْمُسَبِّعِ أَخْطَلَا

راجع الإبانة لمكي ص ٦٣-٦٧، والمرشد الوجيز ص ١٥٠، ١٦٠، ١٦١، والنشر (١/٣٣-٤٧).

(٢) المرشد الوجيز ص ١٦١، والمنجد ص ٧٢.

وكذلك القول في اختياره حمزة دون شيخه الأعمش مثلاً، وإلا فإن الناس في زمنه كانوا يقدمون أبا جعفر، وشيبة، وابن محيصن، والأعرج، والأعمش، والحسن البصرى (١) وأبا الرجاء (٢) وعطاء (٣)، ومسلم بن جندب (٤)، ويعقوب الحضرمي وعاصماً الجحدري، ويقرءون بقراءتهم .

ولم يكن العلماء يتقيدون باصطلاح السبعة، فقد ألف ابن جرير الطبري كتاباً سماه (الجامع) ضمنه قراءة عشرين إماماً ممن وقعت له أسانيدهم منهم هؤلاء الذين ذكرهم ابن مجاهد، وكذلك فعل أبو عبيد القاسم بن سلام وإسماعيل بن إسحاق القاضي صاحب قالون (٥)، وقبل ابن مجاهد ألف ابن جبير (٦) المقرئ كتاباً ضمنه قراءة ثمانية من القراء: وهم سبعة ابن مجاهد وزاد عليهم يعقوب الحضرمي، وألف أبو بكر الداجوني (٧) كتاباً ضمنه قراءة

(١) الحسن بن أبي الحسن البصرى، الإمام المشهور، ت سنة ١١٠ (علماء الأمصار ص ٨٨) (غاية ١/٢٣٥) .

(٢) عمران بن تيم ويقال ابن ملحان أبو رجاء العطاردي البصرى، تابعي كبير، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، عرض القرآن على ابن عباس وتلقنه من أبي موسى، ت سنة ١٠٥ وله مائة وسبع وعشرون سنة (غاية ١/٦٠٤) .

(٣) عطاء بن أبي رباح بن أسلم أبو محمد القرشي مولاهم المكي، تابعي كبير، أخذ القراءة عن أبي هريرة، سنة ١١٥ (غاية ١/٥١٣) .

(٤) مسلم ابن جندب أبو عبد الله الهذلي مولاهم المدني القاص، تابعي مشهور، عرض القرآن على عبد الله بن عياش، ت بعد سنة ١١٠ (غاية ٢/٢٩٧) .

(٥) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد القاضي أبو إسحاق الأزدي البغدادي روى عن قالون وغيره، ت سنة ٢٨٢ (غاية ١/١٦٢) .

(٦) لم أعثر له على ترجمة .

(٧) وهو الداجوني الكبير محمد بن أحمد بن عمر أبو بكر الضرير الرملي، ت سنة ٣٢٤ (غاية

أحد عشر إماماً منهم أبو جعفر، وألف أبو القاسم الهذلي (١) كتابه (الكامل) فضمنه قراءة الأئمة العشرة وزاد عليهم أربعين شيخاً رَوَى عنهم القراءة .

وهكذا نجد أن علماء القراءة لم يعرفوا اصطلاح التسبيع بل يروون كل قراءة ثبتت فيها الأركان الثلاثة، رويت عن سبعة أو سبعة آلاف .

لكن مضى كثير من أئمة القراءة بعد ابن مجاهد على تسبيعه بسبب ما رأوا من تلقى الناس لقراءة السبعة بالقبول، وإجماعهم على وصفهم بالإتقان والإمامة في القراءة، وزاد كثير منهم على السبعة قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، ولم يُذكر خلف في كثير من المصنفات لأن قراءته لا تخرج عن قراءة الكوفيين .

فألف أبو عمرو الداني كتاب (اليسير)، وكتاب (جامع البيان) في قراءات السبعة ونظمه أبو القاسم الشاطبي في (حرز الأمانى)، وألف آخرون في قراءة الأئمة العشرة بزيادة: أبي جعفر، ويعقوب، وخلف (٢) .

(١) يوسف بن علي بن جبارة بن محمد أبو القاسم الهذلي اليشكري، ت سنة ٤٦٥ (غاية

٣٩٧/٢) .

(٢) كأبي الفضل الخزاعي في كتابه (المنتهى)، وأبي الحسين نصر بن عبد العزيز الفارسي في كتابه (الجامع)، وأبي الطاهر بن سوار في كتابه (المستنير)، وأبي منصور الخياط البغدادي في كتابه (المهذب)، وأبي الكرم المبارك بن الحسين الشهرزوري في كتابه (المصباح)، وأبي العز القلانسي في كتابه (الإرشاد) و(الكفاية)، وأبي محمد عبد الله بن علي سبط الخياط في كتابه (الإيجاز) و(إرادة الطالب) (من لطائف الإشارات للقسطلاني ج ١: ص ٨٨) .

قلت : وأعظم من ألف في قراءة العشرة الحافظ المحقق محمد بن الجزري حيث ألف (النشر) ثم (طبية النشر) .

وألف غيرهم فضمنوا كتبهم قراءة أئمة آخرين غير هؤلاء
مثل سبط الخياط ألف كتاب (المبهج) في قراءة السبعة وزاد عليها
قراءة يعقوب وابن محيصن والأعمش وخلف .
صلة هذه القراءات العشرة بالأحرف السبعة :

قال الجزرى رحمه الله (١) : إن المصاحف العثمانية لم تكن
محتوية على جميع الأحرف السبعة التى أبيحت بها قراءة القرآن كما
قال جماعة من أهل الكلام وغيرهم بناء منهم على أنه لا يجوز على
الأمة أن تهمل نقل شىء من الأحرف السبعة .

وقال : لأننا إذا قلنا إن المصاحف العثمانية محتوية على جميع
الأحرف السبعة التى أنزلها الله تعالى كان ما خالف الرسم يقطع
بأنه ليس من الأحرف السبعة، وهذا قول محذور، لأن كثيراً مما
خالف الرسم قد صح عن الصحابة رضى الله عنهم وعن النبى
ﷺ .

قال أبو مجاهد : هذا هو مقتضى التحقيق ، لأن بعض أفراد
الأحرف السبعة نسخت تلاوته فى العرضة الأخيرة ، فلم يُقرء به
رسول الله ﷺ بعدها ، فلا يُعتبر بعد ذلك قرآناً ، ولذا لم يُكتب فى
المصاحف العثمانية ، لأن عثمان ورهطه رضوان الله عليهم كانوا
يتحرون كتابة ما ثبت فى العرضة الأخيرة .

ومثال ذلك : ما ثبت فى الصحيحين عن أبى الدرداء وابن
مسعود رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ : ﴿ وَأَنْبِئْهُمْ إِذَا بَعَثْتَنِي ﴾
وَأَنْبِئْهُمْ إِذَا بَعَثْتَنِي وَالدُّكْرُ وَالْأُنثَى ﴿ (٢) . ومثله : ما ثبت فى

(١) المنجد : (ص ٢١) .

(٢) أخرجه البخارى فى التفسير : (٦/٢١٠) ، ومسلم فى : صلاة المسافرين : (الحديث

رقم ٢٨٢ و ٢٨٤) .

الصحيحين وغيرهما عن عمر رضى الله عنه أنه قال : كان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها . هذا لفظ البخارى (١) .

وعند مالك في الموطأ : والذي نفسى بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبها (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) فإننا قد قرأناها (٢) فمثل هذه الأحرف : يغلب على الظن أنها مما أنزل من القرآن قبل العرضة الأخيرة ، ثم نسخ وتُرك بعدها .

والحق الذى يعرفه كل محقق ، أن ما أثبت في هذه العرضة من أحرف القرآن والذي يمثل الصيغة الكاملة الأخيرة للقرآن قد كُتب كله في المصاحف العثمانية ولم يُترك منه شىء ، وقد اتفق المحققون على أن ما رواه الأئمة العشرة قد استوعب كل هذه الأحرف ، واتفقوا على أن ما رواه غيرهم زائداً على ما رووه بجملتهم إما شاذ أو منكر أو ضعيف أو موضوع .

قال الجزرى : وقول من قال إن القراءات المتواترة لا حد لها ، إن أراد في زماننا فغير صحيح ، لأنه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر ، وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله (٣) .

تواتر إسناد القراءات العشر :

القاعدة في نقل القراءات القرآنية : أنها تروىها أمة عن أمة في كل مصر وفي كل عصر . أى أنه لا يكفى فيها نقل الواحد ، ولا

(١) البخارى في الحدود : باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، ومسلم في الحدود أيضا :

(الحديث رقم ١٦٩١) .

(٢) الموطأ : (٨٢٤/٢) .

(٣) المنجد : (ص ١٦) .

نقل الاثنين، ولا العشرة، حتى تكون الأحرف المنقولة معلومة مشهورة لدى عامة القراء .

هذا اصطلاح مجمع عليه، أجمع عليه الصدر الأول من أصحاب رسول الله ﷺ، وأجمع عليه من بعدهم .

والمقصود بعامة القراء: في المصر الذي سُمع فيه ذلك الحرف، فلوروى واحداً حرفاً وأنكره قراء بلده، وقرروا أنهم لا يعرفون ذلك الحرف، لم يُقرأ به واعتبر آحاداً وشاذاً .

والأمصار التي يُعتد بها في هذا المجال: هي الأمصار الخمسة التي أرسل إلى كل منها مصحف من المصاحف العثمانية: الحرمان، والكوفة، والبصرة، والشام .

وقال مكى بن أبى طالب: العامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة فذلك عندهم حجة قوية .

وقال: وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين (١) .

فإذن لا يكفي في القراءة أن يذكر الراوى إسناده، وكلهم لا يروى شيئاً حتى يذكر أسانيده، بل يجب أولاً أن يوافقه العامة على ما رواه ويتلقوه بالقبول، فحينئذ يُقرأ به ويُحكم بقرآنيته .

والمقصود بموافقة العامة: أنه معلوم عندهم، قد بلغهم بأسانيدهم عن النبي ﷺ، وذلك سواء أقرأوا به أم لم يُقرئوا، لأن الرواى قد لا يُقرىء بكل ما بلغه لأسباب يأتى إيضاحها عند الكلام على الاختيارات .

أما نسبة القراءات المروية إلى أحد الأئمة: كقولهم قراءة نافع، وقراءة عاصم وقراءة ابن كثير، فهي نسبة اختيار لا نسبة

(١) الإبانة عن معاني القراءات بتحقيق عبد الفتاح شلبي: (ص ٤٩، ٥٠) .

اقتصار، بمعنى أن تلك الحروف التي رواها نافع لم ينفرد بروايتها والإقراء بها دون غيره من القراء، وخاصة من أهل بلده - المدينة النبوية - ولو كان قد فعل فأتى بشيء غير معروف عندهم لأنكروا عليه، فإذا شاركه غيره من القراء في روايتها والإقراء بها واشتهرت عندهم، وربما تكون قد بلغت بعضهم وتلقوها عن شيوخهم ولم يُقروا بها لكنها معلومة لديهم، فنسبتها إلى نافع دون غيره إنما لكونه اشتهر بها وبضبطها، وملازمة القراءة والإقراء بها أكثر من غيره، وكذلك القول في بقية القراء .

والأمة كانت تتطلب تعيين عدد من الأئمة الضابطين المشهورين لتأخذ عنهم وتتلقى القرآن من طريقهم، لأن استيعاب الرواة كلهم أو معظمهم شيء فوق طاقتها لكثرتهم وكثرة طرقهم، ويكفي أن نعلم أن كل واحد من أولئك الأعلام العشرة، كان قد تلقى عنه رواياته مئات الرواة، فكلهم يروى أحرفه كلها أو بعضها، لكن الأمة لما رأت أنه لا قبل لها بتقصي طرق أولئك جميعاً اختارت من تلاميذ كل إمام اثنين من أعدلهم وأكثرهم ضبطاً وإتقاناً وهما إنما يرويان ما يرويه غيرهما من تلاميذ الامام، ولو انفرد أحدهما بشيء غير معروف لديهم لأنكروا عليه ومنعوه من الإقراء به .

قال الجزري^(١) : قال ابن مجاهد: قال لى قنبل: قال لى القواس^(٢) في سنة سبع وثلاثين ومائتين: ألق هذا الرجل - يعنى

(١) المنجد : (ص ٦٧) .

(٢) هو أحمد بن محمد، بن علقمة أبو الحسن النبالي المكي المعروف بالقواس إمام مكة في القراءة قرأ على وهب بن واضح وقرأ عليه قنبل وعبد الله بن جبير الهاشمي وأحمد بن يزيد الحلواني والبيزى ومحمد بن شريح وغيرهم، توفي سنة ٢٤٠هـ .

البنزى^(١) - فقل له : هذا الحرف ليس من قراءتنا - يعني قوله «وما هو بميمٍ» مخففا - وإنما يُخفف من الميت من قد مات ومن لم يمّت فهو مشدد . فلقيت البنزى فأخبرته فقال لى : قد رجعت عنه .

وقال : عن محمد بن صالح : سمعت رجلاً يقول لأبى عمرو : كيف تقرأ ﴿ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وثاقَهُ أَحَدًا ﴾ ؟ فقال : «لا يعذب» بالكسر . فقال له الرجل : كيف وقد جاء عن النبى ﷺ «لا يعذب» بالفتح ؟ فقال له أبو عمرو : لو سمعتُ الرجل الذى قال سمعتُ النبى ﷺ ما أخذته عنه ، وتدرى ما ذاك ؟ لأنى أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة^(٢) .

ومعنى قولنا : تواترت قراءة الأئمة العشرة ، أن هؤلاء الأئمة التزموا فيما يقرءون به ويروونه ركن التواتر ، وحققوا هذا الركن ، وشهد لهم عامة أهل مصرهم بذلك ، وأجمعوا على إمامتهم وقبول روايتهم ، وتلقى قراءتهم بالرضا .

ففى المدينة النبوية فى عهد نافع بن أبى نعيم كان هناك أئمة كثيرون رووا أحرف القرآن وأقرءوا بها غير نافع وأبى جعفر ، لكن العامة أجمعوا على قبول ما قرأ به هذان الإمامان لكونهما اشتهدا أكثر من غيرهما بضبط ما يرويان من الحروف وقد تلقى نافع عن أبى جعفر وصار بعد أكثر منه شهرة ورواية لأنه أخذ عنه وعن غيره ، وكذلك مكة كان فيها غير عبد الله بن كثير من الأئمة ، فقد

(١) هو أحمد بن محمد بن أبى بزة مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام قرأ على أبىه وعلى وهب ابن واضح وعبد الله بن زياد وعكرمة بن سليمان والقواس فى قول الدانى وقرأ عليه إسحاق ابن محمد الخزاعى ومحمد بن هارون وموسى بن هارون ومضر بن محمد الضبى وروى عنه قبل وغيرهم توفى سنة ٢٥٠هـ .

(٢) المنجد : (ص ٦٧)

كان يُقْرَأ بها في عصره محمد بن عبد الرحمن بن محيىصن، وحميد بن قيس الأعرج، ولكن لم تلق قراءتهما ما لقيت قراءة ابن كثير من القبول والإجماع .

وهكذا القول في سائر الأئمة العشرة، إلا أننا ننبه هنا إلى أن الإجماع قائم على القول بتواتر قراءة العشرة كلهم (سبعة ابن مجاهد: وهم نافع وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة، والكسائي والثلاثة المكملون للعشرة وهم: أبو جعفر يزيد ابن القعقاع، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، وخلف بن هشام) (١) .

وقد اشكلت هذه المسألة وهي تواتر قراءة هؤلاء الأئمة على بعض المحققين الأعلام واعتراضوا على دعوى التواتر محتجين بأن الناظر في أسانيد كل واحد من هؤلاء الأئمة إلى النبي ﷺ يجد أنها لم تبلغ حد التواتر إن لم تكن آحاداً (٢) .

وهذا الإشكال سببه عدم فهم المقصود من نسبة القراءة إلى الإمام وقد سبق شرحه والجواب عليه (٣) .

أما الإجماع على أن قراءة الأئمة السبعة متواترة فواضح، إذ تلقى الأئمة والعلماء في كل طبقة وفي كل جيل ما قرءوا به بالقبول، ووصفوه بالضبط والإتقان فيما يروونه من الحروف .

(١) خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدي أبو محمد البزار البغدادي، يروي عن سليم عن حمزة، ت سنة ٢٢٩ (غاية ١/٢٧٣) .

(٢) راجع المرشد الوجيز : (ص ١٧٦ - ١٧٩) .

(٣) انظر المنجد : (ص ٧٠) .

وأما الإجماع على أن قراءة الثلاثة متواترة فقد يُشكل ، لأن الخلاف في ذلك محكى وواقع : لكن هذا الخلاف في رأينا لا قيمة له لسببين :

أولهما : أنه قد أجمعت أمم من القراء في كل جيل على تلقي قراءة الأئمة الثلاثة بالقبول ، وعلى الإقراء بها ، وقد ذكر الجزري أسماء بعضهم في ست عشرة طبقة فذكر في كل طبقة أعداداً كثيرة من الأئمة الأعلام ، وكل ذلك فيما وصل إلى علمه وتيقن منه ، ولا شك أنه قد وصلت طرق أخرى إلى علم غيره .

ويكفى : أن ابن عمر رضى الله عنه صاحب رسول الله ﷺ قدم أبا جعفر المدني إماماً وصلى خلفه مؤتماً بصلاته ، راضياً بقراءته^(١) ، وأما يعقوب فقد بقى ابن مجاهد زمناً يتردد بينه وبين الكسائي أيهما يجعله السابع^(٢) وحكى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله أن بعض القراء قال : لو لم يسبقني ابن مجاهد إلى الكسائي لجعلت يعقوب مكانه^(٣) .

ثانيهما : أن قراءة هؤلاء الثلاثة لا تخرج عن قراءة السبعة غالباً ، فأما أبو جعفر فهو من شيوخ نافع وقد روى نافع معظم حروفه ، وبقيتها توافق ما رواه غيره من بقية السبعة ، ويعقوب قرأ على سلام الطويل ، وسلام قرأ على أبي عمرو وعلى عاصم بن أبي النجود ، فأبو جعفر ويعقوب لا يخرجان فيما قرأ به عن قراءة

(١) معرفة القراء : (٥٩/١) .

(٢) المنجد : (ص ٧٢) .

(٣) الفتاوى : (٣٩٠/١٣) .

السبعة غالباً^(١)، وأما خلف فلا تخرج قراءته عن قراءة الكوفيين من السبعة غالباً، وهو قد أخذ عن حمزة وإن كان خالفه في بعض الحروف اختياراً منه .

ثم ان نسبة القراءة إلى واحد من هؤلاء الثلاثة أو غيرهم اصطلاح، ولا تعنى اختصاصهم بما يروون، وإنما تعنى اشتهارهم بذلك أكثر من غيرهم، وإلا فالاعتماد في القراءة على نقل العامة، وتلقيهم لها بالقبول كما سبق بيانه لا فرق في ذلك حينئذ بين أن تتلقى عن أبي جعفر أو نافع، أو عن حمزة أو الأعمش وبين أن تتلقى عن غيرهم، إذ كان كل هؤلاء قد رووها. ولو كانت الأمور جرت على ما كان اصطلاح عليه الأقدمون، لما نسبت هذه القراءات إلى أحد إذ كانوا يكرهون ذلك، ولكن غاية ما يقال: هذه القراءات المتواترة التي تلقاها عامة القراء بالقبول كان ممن رواها واشتهر بضبطها والإقراء بها أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم والأعمش . . وغيرهم .

فأى راوٍ إنما يؤخذ مما رواه وأقرأ به بما وافقه عليه الأكثرون دون ما انفرد به وشذ، يستوى في هذا الأئمة العشرة مع غيرهم .

(١) وهناك قراءات وردت عن كل منهما ولم توجد في القراءات السبع كقراءة أبي جعفر (ولا يتألولوا الفضل) وكقراءة يعقوب: «لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» .

ما هو المتواتر من قراءة الأئمة العشرة :

قراءات الأئمة العشرة : متواترة جملةً وتفصيلاً ، سواء في ذلك ما اجتمعوا عليه وما اختلفوا فيه ، وما كان من قبيل الأداء ، وما لم يكن من قبيل الأداء ، إذ ليس لأحد منهم أن يقرأ شيئاً من عند نفسه ، أو يشذ بحرف يخالف به العامة وإنما هم في كل ما يروون ويقرءون ويقرئون : متبعون لا مبتدعون ، وهم في كل ذلك ملتزمون بالركن الذي أجمع عليه القراء وهو التواتر .

وقال بعضهم : المتواتر من قراءاتهم هو ما اجتمعوا عليه دون ما افرقوا فيه وما لم يكن من قبيل الأداء ، أما أوجه الأداء كالمداغ والإدغام والفتح والإمالة فليس من المتواتر (١) .

هذا القول بهذا الإطلاق ليس له نصيب من الصحة ولا البرهان ، وقد تولى الجزري رحمه الله الجواب عليه ، وملخص كلامه : أنه لما مثل صاحب هذا القول لأوجه الأداء بالمد والإدغام والفتح والإمالة ، فإنه تورط فيما ليس له به علم وأتى بما تسكب تحته العبرات ، فالمد قسمان : أصلي وفرعي ، فالأصلي لا تقوم ذات الحرف إلا به فكيف يُقال فيه ليس بمتواتر؟ والفرعي أنواع : فمنه المتصل ومنه المنفصل ومنه اللازم ومنه العارض ، أما المتصل فأجمع القراء على وجوب مده ولم تُنقل قراءة صحيحة ولا شاذة ولا منكراً بقصره ، فهل هناك تواتر بعد هذا الاتفاق وفوق هذا الإجماع ، أما المنفصل فهو وإن كان فيه الوجهان القصير والمد إلا أن

(١) أبو شامة في المرشد الوجيز ونقله عنه الجزري في المنجد ، والفقرة الثانية قائلها ابن الحاجب كما نقله عنه الجزري .

كلاً من الوجهين رواه جمهور كبير من القراء، وأما اللازم فأجمعوا على مده لم يُرو عن أحد فيه القصر، والعارض اتفقوا على أن فيه الأوجه الثلاثة فهل يقول أحد بعد ذلك في المد إنه ليس بمتواتر؟ . وقال في الإدغام مثل قوله هذا وضرب المثال بقوله «لَا تَأْمَنَّا» فقد اتفق سائر القراء على إدغامه، وأما الفتح والإمالة فلا سبيل إلى إنكار تواترهما وهما لغتان مشهورتان في القرآن نقلت كلا منهما أمم من القراء، وأثبتتا في المصاحف العثمانية . . (١) .

وهذا الذي ذكره الجزرى هو الحق، ويعرفه من تتبع القراءات، فإنه لا يجد وجهاً من أوجه الأداء يرويه أحد القراء إلا ورأى في طريقه ورواته ما يبلغ التواتر وأكثر، وهكذا المواضع التي يختلف فيها السبعة فيما بينهم أو العشرة، فإن كل وجه من الأوجه المختلف فيها رواه جمع كبير من القراء في كل طبقة غير العشرة، فوجود الخلاف بين العشرة لا يعنى انحصاره فيهم حتى يتوهم متوهم انفراد بعضهم دون بعض، لو شذت بعض الطرق من العشرة بشيء من الأحرف فإن النقاد يبينونه ولا يغفلون عنه، وهى مواضع نادرة معروفة لدى أهل الفن مع أنه لم يسلم المحققون بشذوذها .

ولكن مع عناية الرواة العظيمة وحرصهم الشديد على الالتزام بما تلقته العامة بالقبول، وألا يُقرئوا إلا بالمعلوم المشهور، فإن هناك موضعين يمكن أن يناقش فيهما ناقدٌ معترض:

أولهما: ما انفرد بذكره واحد من الرواة دون غيره، وذلك مثل: تخفيف النون من قوله ﴿تَتَّبَعَانِ﴾ بيونس، مع تشديد التاء

(١) المنجد: (من ص ٥٤ - ص ٧٠) .

وكسر الباء فقد انفرد به ابن ذكوان عن ابن عامر، بل رُويت رواية أخرى عن ابن ذكوان وهي : تسكين التاء وفتح الباء وتشديد النون، انفرد بذكرها ابن مجاهد وسلامة عن الأخفش وقال الداني : إنها غلط من أصحاب ابن مجاهد ومن سلامة (١) .

ومثل : إسكان الهمزة في ﴿ بَارِئُكُمْ ﴾ بالموضعين ، وإسكان «يَأْمُرُكُمْ وَيَأْمُرُهُمْ ، وَيَنْصُرُهُمْ ، وَيَنْصُرُكُمْ ، وَيَشْعُرُكُمْ» كل ذلك حيث وقع ، فإنها قراءة رُويت عن السوسى عن أبى عمرو ، وقيل إنها لم ترو إلا عن طريق الرقيين ، أما رواية العراقيين عن أبى عمرو فهي الاختلاس ، قال أبو شامة (٢) : وهي الرواية الجيدة المختارة .

فمثل هذه المواضع يختلف فيها المحققون ، وهي مواضع نادرة معروفة عند أهل الفن ، وإن كان الجزرى رحمه الله ، (في النشر) قد نصرها وبين طرقها ونفى أن تكون شاذة ، وبين وجوهها من العربية (٣) لكنه في سياق ذلك أتى بما مضمونه ، أن قراءات العشرة تنقسم إلى نوعين : متواتر الإسناد ، وما انفرد به العدل الضابط وتلقى بالقبول فهو مستفيض مشهور ، وزعم أن العلم القطعى حاصل بالنوعين ، إذ النوع الثانى قد احتف به من القرائن ما يفيد القطع بأنه قرآن (٤) .

(١) النشر : (ج ٢ : ص ٢٨٦) .

(٢) إبراز المعانى : (ص ٢٣١) .

(٣) النشر : (ج ٢ : ص ٢١٢) .

(٤) وعبارة الجزرى كما وردت في (المنجد ص ١٩) : فإن قلت قد وجدنا في الكتب المشهورة المتلقاة بالقبول تبايناً في بعض الأصول والفرش كما في الشاطبية : نحو قراءة «تبعان» بتخفيف النون ، وقراءة هشام «أفئدة» بياء بعد الهمزة وكقراءة قنبل «سؤقه» بواو بعد الهمزة ، وغير ذلك من التسهيلات والإمالات التى لا توجد في غيرها من الكتب إلا في كتاب أو اثنين وهذا لا يثبت به =

قلت : إن كان المراد باستفاضته وتلقى عامة القراء له بالقبول ، أنه قد بلغهم وعلموه وتلقوه عن مشائخهم وإن لم يُقرئوا به ، على عادة كثير منهم في الاختيار عند الإقراء كما سيأتى تفصيله في الكلام على الاختيارات ، فإن هذا في حقيقته يرجع إلى المتواتر عند التأمل ، إذ حقيقة التواتر تعدد الأسانيد والطرق حتى تبلغ الحد الذي يحصل به اليقين ويستحيل فيه التواطؤ على الكذب ، وقد سبقتنا القول بأن القراء ينكرون على من روى شيئاً لم يبلغهم ، ولم يُشتهر عند عامتهم ويمنعونه من الإقراء به ، فإذا أقر القارئ حرفاً وإن كان لم يُقرىء به فمعناه أنه من مروياته التي سمعها ، ويعتبر إقراره كروايته في ذلك وإلا فلا قيمة لإقراره ولا لتلقيه لذلك الحرف بالقبول .

ثانيهما : بعض أوجه الأداء التي يصعب حصول التواتر على نقلها ، ولا يُتصور وقوعه ، كضبط مقادير المدود بالدقة المتناهية المقيسة بالحركات فإن الاتفاق على ضبط ذلك بتلك الدقة المتناهية شيء فوق طاقة البشر ، لذلك تجد الروايات مختلفة اختلافاً كبيراً

=تواتر؟ قلت : هذا وشبهه وإن لم يبلغ مبلغ التواتر صحيح مقطوع به نعتقد أنه من القرآن وأنه من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها ، والعدل الضابط إذا انفرد بشيء تحتمله العربية والرسم واستفاض وتلقى القبول قطع به وحصل به العلم وهذا ما قاله الأئمة في الحديث المتلقى بالقبول أنه يفيد القطع وبحثه الإمام أبو عمرو بن الصلاح في كتابه علوم الحديث وظن أن أحداً لم يسبقه إليه وقد قاله قبله الإمام أبو إسحاق الشيرازي في كتابه اللمع في أصول الفقه ونقله مجتهد عصره أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية عن جماعة من الأئمة .

ثم قال : فثبت من ذلك أن خبر الواحد العدل الضابط إذا حفته قرائن يفيد العلم ، ونحن ما ندعى التواتر في كل فرد مما انفرد به بعض الرواة أو اختص ببعض الطرق ، لا يدعى ذلك إلا جاهل لا يعرف ما التواتر ، وإنما المقروء به عن القراء العشرة على قسمين متواتر ، وصحيح مستفاض متلقى بالقبول ، والقطع حاصل بهما .

في مقدار مد المتصل مع أن جميعهم مجمعون على وجوب مده،
ومثل : الأوجه المروية في تقسيم وقف حمزة وهشام وأنواع التسهيل
فيه، قال الجزرى :

إنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن رسول الله ﷺ فلم
يتواتر أنه وقف على موضع بخمسين وجهاً ولا بعشرين ولا بنحو
ذلك وإنما إن صح شيء منها فوجهه والباقي لا شك أنه من قبيل
الأداء (١) .

قلت : هذا هو ما يسمونه بالتحريرات، وقد توسعوا فيه
بعد ذلك وجاءوا فيه بالعجائب مما لا قبل للأمة به، ولا دل نقل
على مشروعيته .

فهذه بعض مواضع من أوجه الأداء لا يزعم أحد وقوع
التواتر فيها، فمد المتصل وجه أداء وهو متواتر، لكن تحديد مقدار
مده وضبط هذا المقدار بالحركات خارج عن حد المتواتر، وتسهيل
الهمزة وجه أداء وهو متواتر، لكن الأوجه الخمسين أو العشرين
وكذا سائر التحريرات وما فيها وما ينتج من الضرب فيها من أوجه
إنما هي اصطلاح مُحدث ولا يدخل في حد التواتر، بل لم يكن
معروفاً لدى الأقدمين .

الاختيار :

القاعدة التي لا محيد عنها أن القراءة سنة متبعة يأخذها
الأخر عن الأول بالرواية والإسناد، ولا مجال فيها للرأى ولا
للقياس، قال الشاطبي رحمه الله :

(١) المنجد : (ص ٦٢) .

وَمَا لِقِيَاسٍ فِي الْقِرَاءَةِ مَدْخُلٌ فَدُونَكَ مَا فِيهِ الرِّضَا مُتَكَفِّلاً
وقد بينا هذا الأمر بوضوح في الأبواب السابقة، وعند
الكلام على إسناد القراءات العشر، لكن يُشكل هنا أمر
الاختيار :

فقد قرر المحققون أن لكل إمام من الأئمة العشرة وغيرهم
اختيارات، فما هو المقصود بالاختيار، وأى شيء يتناول، وهل
يناقض ما قرره من الالتزام بالرواية وعدم التدخل بالرأى
والقياس في القراءة؟ .

(الاختيار) وحقيقته :

إن كل قارئ من الأئمة العشرة وغيرهم، يأخذ الأحرف
القرآنية من عدد من الشيوخ، ويحاول قدر جهده التلقى من أكبر
عدد منهم، حتى إنه ليرحل في الأقطار ويجوب الآفاق من أجل
ذلك، لكنه عندما يبدأ الإقراء لا يُقرئ بكل ما سمع، بل هو
يختار بعض مسموعاته فيُقرئ به، ويترك بعضاً آخر فلا يُقرئ
به، ومعنى هذا أن المقصود اختيار بعض المروى دون بعض عند
الإقراء، فيتبين من هذا أنه لا دخل للرأى أو القياس فيه، فإذا
وجدت أهل القراءة يقولون: هذا اختيار فلان، أو يوجهون بعض
الأحرف المروية بأسلوب ظاهره إجراؤها على القياس، فلا يذهب
ذهنك إلى أنهم يتدخلون في القراءة بقياس العربية أو استحسان
الرأى، حاشاهم من ذلك وقد أجمعوا على منعه وحرمته .

فهذا أبو عمرو بن العلاء المازنى البصرى، أحد أعلام
القراءة، وأئمة اللغة الذين يُحتج فيها برأيهم واجتهادهم، يقول

الأصمعي راويا عنه : سمعتُ أبا عمرو يقول : لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأتُ حَرْفَ كذا وحَرْفَ كذا كذا (١) .

وأنت عند تحقيق الأمر والنظر في مرويات هؤلاء الأئمة من القراءة تجد مصداق ذلك في قراءاتهم : فكثيراً ما تطرد الرواية عن الإمام في بعض حروف القرآن على وجه واحد حتى يصير أصلاً من أصوله ثم تجده يخالف أصله هذا في موضع واحد أو مواضع معدودة قليلة ، فلا تجد مسوغاً لذلك إلا اتباع الرواية ، فمثلاً :

تجد أبا جعفر يقرأ «يُحْزَنُ» بفتح الياء وضم الزاي في سائر القرآن ، ثم تجده يقرأ «يُحْزِنُ» بالأنبياء ، بضم الياء وكسر الزاي موضعاً واحداً فقط .

وتجد نافع بن أبي نعيم يعكس فيقرأها في سائر القرآن بضم الياء وكسر الزاي ثم يأتي على موضع الأنبياء فيقرأه بفتح الياء وضم الزاي .

وتجد حفص بن سليمان يقرأ سائر الألفات في القرآن بالفتح ولا يميل منها شيئاً حتى إذا أتى على قوله «مجريها» بهود أمال الألف موضعاً واحداً فقط .

وتجد ابن عامر يقرأ «ابراهيم» بالياء في سائر القرآن ، ثم يأتي على مواضع معدودة محصورة فيقرأها «ابراهيم» .

وهكذا لا تكاد تجد أصلاً من أصول القراءة يطرد في سائر المواضع ، إلا وتجد مواضع مستثناة تخالفها ، وهذا يدل بوضوح على أن الشأن للرواية ، وليس للقياس اعتبار .

(١) ذكره ابن مجاهد بإسناده في كتاب السبعة : (ص ٨٣) .

ولو كان القياس اللغوي له دور وتأثير في القراءة ما قرأ أبو عمرو وهو أحد أعلام اللغة «بَارِئِكُمْ» بإسكان الهمزة، ولا قرأ مثلها «يَأْمُرُكُمْ ، يَأْمُرُهُمْ ، تَأْمُرُهُمْ ، يَنْصُرُكُمْ ، يُشْعِرُكُمْ» كل ذلك بإسكان الراء المرفوعة إذ لا وجه لذلك عند أهل اللغة، ولذلك ردّ هذه الرواية سيبويه والمبرد وغيرهما، وكذلك ما كان لابن عامر أن يقرأ «زَيْنَ لِكْثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءِهِمْ» وأهل اللغة يقومون ولا يقعدون قبل أن يجدوا لهذا وجهها، وما كان لأبي جعفر أن يقرأ «لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» ببناء (يجزى) للمفعول ونصب «قوما»، ولا لحمزة أن يقرأ «الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ» بخفض الأرحام . .

وذلك لأن كل هذه الأوجه يصعب على أهل اللغة أن يجدوا لأنفسهم فيها مخرجاً أو تأويلاً، لكن أهل القراءة وأئمة القراء، لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة أو الأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية، فإذا ثبتت عندهم لم يردّها قياس عربية ولا فشولغة لأن القراءة سنة متبعة فلزم قبولها والمصير إليها كما قال أبو عمرو والداني في كتابه (جامع البيان) .

أما لماذا يختارون ولا يُقرّئون بكل ما بلغهم وتلقوه وسمعوه من شيوخهم؟ .

فلذلك سببان :

أولهما : الترجيح بين الروايات، واختيار أشهرها وأكثرها رواة، إذ أنهم كانوا يتتبعون ما عليه الأكثر، ويتجنبون ما انفرد به بعض الرواة، وما شذبه واحد، كل حسب علمه في ذلك وما بلغه وبلغ أهل مصره .

فهذا نافع مثلاً: طلب السماع والتلقى من أكثر الشيوخ، حتى سمع من سبعين من التابعين: منهم أبو جعفر، وشيبة بن نصاح، وعبد الرحمن بن هرمز، ومسلم بن جندب الهذلي، ويزيد بن رومان، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن شهاب الزهري، والأصبغ بن عبد العزيز النحوي وغيرهم . . .

لكنه لم يُقرء بكل ما سمعه من شيوخه، وقد كان بينه وبين أبي جعفر من الخلاف في الحروف أكثر من خمسمائة موضع، ويقول في تعليل ذلك:

قرأت على سبعين من التابعين، فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته وما شذ فيه واحد تركته حتى ألفت هذه القراءة في هذه الحروف (١).

وهكذا تجد غيره مثله، وقد تلقى بعض الأئمة العشرة عن بعض، ومع ذلك يختلفون عند الإقراء، فقد قرأ الكسائي على حمزة وهو يخالفه في نحو ثلاثمائة موضع لأنه قرأ على غيره واختار (٢)، وكذلك أبو عمرو قرأ على ابن كثير وعلى غيره وبينه وبين ابن كثير خلاف في أكثر من ثلاثة آلاف حرف كما زعم مكى (٣).

وثانيهما: التخفيف على تلاميذهم، واختيار ما يناسب بعضهم دون بعض، حسبما يتفرس الشيخ فيهم، أو حسبما هو المشهور من القراءات في بلد التلميذ ومصره، فيؤثر بعض تلاميذه بحروف ويؤثر الآخر بحروف أخرى، وربما قرأ عليه تلميذه بما هو

(١) السبعة لابن مجاهد: (ص ٦٢)، والإبانة لمكي بن أبي طالب: (ص ١٦).

(٢، ٣) الإبانة: (ص ١٧).

معروف لديه في بلده فيسمعه الشيخ ويقره إذا وافق بعض مروياته .

فهذا عاصم بن أبي النُّجُود يُقرىء أبا بكر بن عياش بغير ما أقرأ به حفص بن سليمان فيكون ما بينهما من الخلف أكثر من خمسمائة موضع (١) .

قال حفص : قلت لعاصم : أبو بكر يخالفني ، فقال : أقرأتُك بما أقرأني أبو عبد الرحمن السلمى عن علي بن أبي طالب ، وأقراته بما أقرأني زرُّ بن حُبَيْش عن عبد الله بن مسعود (٢) .

وهذا نافع بن أبي نعيم : يُقرىء ربيبه قالون ، ويُقرىء ورشا ، ويكون ما بينهما من الخلف أكثر من ثلاثة آلاف حرف ، كذا زعم مكى (٣) .

وقال : . . . ولم يوافق أحد من الرواة عن نافع رواية ورش عنه ولا نقلها أحد عن نافع غير ورش ، وإنما ذلك لأن ورشاً قرأ عليه بما تعلم في بلده فوافق ذلك رواية قرأها نافع عن بعض أئمة فتركه على ذلك .

وقال : وقد روى عن غير نافع أنه كان لا يرد على أحد ممن يقرأ عليه إذا وافق ما قرأ به على بعض أئمة ، فإن قيل له أقرئنا بما اخترته من روايتك اقرأ بذلك ، وكذلك ذكر مثل هذا عن نافع (٤) .

حرره : أبو مجاهد عبد العزيز القارىء

(١) غاية النهاية للجزرى : (ج ١ : ص ٢٥٤) .

(٢) نفس المصدر : (ج ١ : ص ٢٥٤) .

(٣، ٤) الإبانة لمكى بن أبى طالب : (ص ١٦ ، ١٧) .

مصادر البحث (مرتبة ترتيباً تاريخياً حسب وفاة المؤلفين)

- ١ - الإمام مالك بن أنس، ت سنة (١٧٩) هـ .
الموطأ / طبع الحلبي بمصر عام ١٣٧٠ هـ ، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٢ - عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت سنة (٢١١) هـ .
المصنف / طبع المجلس العلمي بجوها نسبرغ عام ١٣٩٠ ، بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .
- ٣ - أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، ت سنة (٢٢٤) هـ .
فضائل القرآن / مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق .
- ٤ - محمد بن سعد الواقدي، ت سنة (٢٣٠) هـ .
الطبقات / طبع ليدن عام ١٣٢٢ هـ .
- ٥ - الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ت سنة (٢٤١) هـ .
المسند / طبع دار صادر بيروت عام ١٣٨٩ هـ .
- ٦ - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت سنة (٢٥٦) هـ .
الجامع الصحيح / طبع الحلبي بمصر عام ١٣٧٨ هـ .
- ٧ - أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت سنة (٢٦١) هـ .
الجامع الصحيح / طبع الحلبي بمصر عام ١٣٧٤ هـ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٨ - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت سنة (٢٧٥) هـ .
السنن / طبع المكتبة التجارية بمصر، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ٩ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت سنة (٢٧٦) هـ .
تأويل مشكل القرآن / طبع الحلبي بمصر، بتحقيق السيد أحمد صقر .
- ١٠ - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت سنة (٢٧٩) هـ .
السنن / طبع الحلبي بمصر عام ١٣٥٦ هـ، بتحقيق أحمد محمد شاكر .
- ١١ - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت سنة (٣٠٣) هـ .
السنن / طبع المطبعة المصرية .
- ١٢ - أبو جعفر محمد جرير الطبري، ت سنة (٣١٠) هـ .
التفسير / طبع دار المعارف بمصر، بتحقيق محمود محمد شاكر .
- ١٣ - أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، ت سنة (٣٢١) هـ .
مشكل الآثار / طبع حيدرآباد بالهند عام ١٣٣٣ هـ .
- ١٤ - أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، ت سنة (٣٢٤) هـ .
كتاب السبعة / طبع دار المعارف بمصر، بتحقيق الدكتور شوقي ضيف .

- ١٥ - أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ت سنة (٣٢٧) هـ .
الجرح والتعديل / طبع حيدر أباد بالهند عام ١٣٧١ هـ .
- ١٦ - أبو بكر بن محمد الأنباري، ت سنة (٣٢٨) هـ .
إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله / طبع مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩١ هـ،
بتحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان .
- ١٧ - محمد بن حبان البستي، ت سنة (٣٥٤) هـ .
مشاهير علماء الأمصار / طبع لجنة التأليف والترجمة بمصر عام ١٣٧٩ هـ .
- ١٨ - أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان المشهور بابن خالويه، ت سنة (٣٧٠) هـ .
مختصر في شواذ القرآن / طبع المطبعة الرحمانية بمصر عام ١٩٣٤ م .
- ١٩ - أبو الفتح عثمان بن جني، ت سنة (٣٩٢) هـ .
المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها / طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بمصر عام ١٣٨٦ هـ .
- ٢٠ - مكى بن أبي طالب القيسي، ت سنة (٤٣٧) هـ .
الإبانة عن معاني القراءات / طبع نهضة مصر، بتحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي .
الإبانة عن معاني القراءات / طبع دار المأمون بدمشق بتحقيق الدكتور محيي الدين
رمضان .
- ٢١ - أبو الفضل الرازي عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، ت سنة (٤٥٤) هـ .
شرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف / مخطوط بالمدرسة الأحمديّة بحلب .
- ٢٢ - أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت سنة (٤٥٨) هـ .
السنن الكبرى / طبع حيدر أباد بالهند عام ١٣٤٤ هـ .
- ٢٣ - أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، ت سنة (٥٠٤) هـ .
المستدرک / طبع أمين دمج بحلب تصويراً .
- ٢٤ - القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت سنة (٥٤٤) هـ .
مشارك الأنوار / طبع مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٣٢ هـ .
- ٢٥ - ابن الأثير الجزري المبارك بن محمد، ت سنة (٦٠٦) هـ .
النهاية في غريب الحديث / طبع الحلبي بمصر عام ١٣٨٣ هـ .
- ٢٦ - أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، ت سنة (٦٦٥) هـ .
إبراز المعاني (شرح الشاطبية) / طبع الحلبي بمصر عام ١٣٤٩ هـ .
المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز / طبع دار صادر بيروت عام ١٣٩٥ هـ .
- ٢٧ - القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت سنة (٦٧١) هـ .
الجامع لأحكام القرآن (التفسير) / طبع دار الكتب المصرية عام ١٣٧٢ - ١٣٨٧ هـ .
- ٢٨ - ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، ت سنة (٧٢٨) هـ .
مجموع الفتاوى (جمع عبد الرحمن بن قاسم) / طبع بالرياض عام ١٣٨١ هـ .

- ٢٩ - علاء الدين على بن بلبان الفارسي ، ت سنة (٧٣٩) هـ .
الإحسان بتقريب صحيح بن حبان (الجزء الأول) / طبع دار المعارف بمصر بتحقيق أحمد محمد شاكر .
- ٣٠ - أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، ت سنة (٧٤٥) هـ .
البحر المحيط / طبع مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٨ هـ .
- ٣١ - الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ت سنة (٧٤٨) هـ .
معرفة القراء الكبار / طبع دار الكتب الحديثة بمصر .
ميزان الاعتدال / طبع الحلبي بمصر عام ١٣٨٢ هـ .
- ٣٢ - ابن كثير أبو الفدا إسماعيل بن كثير ، ت سنة (٧٧٤) هـ .
فضائل القرآن / طبع الحلبي بمصر في آخر التفسير .
- ٣٣ - الهيثمي نور الدين على بن أبي بكر ، ت سنة (٨٠٧) هـ .
موارد الظمان لزوائد ابن حبان / طبع دار الكتب العلمية بيروت تصويراً .
مجمع الزوائد / طبع دار الكتاب اللبناني عام ١٩٦٧ م تصويراً .
- ٣٤ - ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، ت سنة (٨٣٣) هـ .
منجد المقرئين ومرشد الطالبين / طبع حسام الدين القدسي بمصر عام ١٣٥٠ هـ .
النشر في القراءات العشر / طبع المكتبة التجارية بمصر بتصحيح محمد علي الضباع .
غاية النهاية في تراجم القراء / طبع مكتبة الخانجي بمصر عام ١٣٥١ هـ .
- ٣٥ - ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ، ت سنة (٨٥٢) هـ .
فتح الباري شرح صحيح البخاري / طبع المكتبة السلفية بمصر عام ١٣٨٠ هـ .
تهذيب التهذيب / طبع حيدر أباد بالهند عام ١٣٢٥ هـ .
تقريب التهذيب / طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .
المطالب العالية بزوائد المسانيد العالية / طبع وزارة الأوقاف بالكويت بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .
- ٣٦ - السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت سنة (٩١١) هـ .
الإتقان في علوم القرآن / طبع مكتبة المشهد الحسيني بمصر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / طبع الحلبي بمصر عام ١٣٨٤ هـ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
- ٣٧ - السمهودي علي بن عبد الله بن أحمد الحسني ، ت سنة (٩٢٢) هـ .
خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى / طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٢ هـ .
- ٣٨ - شهاب الدين القسطلاني أحمد بن محمد ، ت سنة (٩٢٣) هـ .
لطائف الإشارات في فنون القراءات / طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر عام ١٣٩٢ هـ (الجزء الأول) .

- ٣٩ - البناء أحمد بن محمد الدمياطى ، ت سنة (١١١٧) هـ .
إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر / طبع عبد الحميد أحمد حنفى بمصر .
- ٤٠ - الصفاقسى على النورى ، ت سنة (١١١٧) هـ .
غيث النفع فى القراءات السبع / طبع المكتبة التجارية بمصر عام ١٣٥٢ هـ على هامش
سراج القارى .
- ٤١ - البناء أحمد بن عبد الرحمن الساعاتى ، من أهل القرن الرابع عشر .
منحة المعبود فى ترتيب مسند الطيالسى / طبع المنيرية بمصر عام ١٣٧٢ هـ .
- ٤٢ - عبد الفتاح عبد الغنى القاضى ، ت سنة (١٣٠٣) هـ .
البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة / طبع الحلبي بمصر عام ١٣٧٥ هـ .
-

مُنْطَلَقُ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

للشيخ أبي بكر الجزائري
أستاذ مشارك ورئيس قسم التفسير بالكلية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
وبعد :

إن الفكر الاسلامي يمتاز على غيره بخصائص لم تكن
لسواه، وهي : أصالته، وسموه، وشموله، وصحة منطلقه،
وسلامته .

وها نحن في هذا البحث القصير نشرح تلك الخصائص
للفكر الاسلامي، ونجلى حقائقها فنقول :
الفكر بكسر الفاء وقد تفتح وهو أجود : مصدر فكري فكري
فكرا وفكرا من باب ضرب، فلذا كان الفتح فيه أجود، لأن
القياس أن مصدر ضرب الضرب بالفتح .
ومثل الفكر التفكر وهو إعمال الخاطر في الشيء والتأمل فيه
للوصول إلى معرفة حقيقته .

والاسلامي : المنسوب إلى الإسلام الذي هو دين الله الحق
الذي جاء به الرسول محمد ﷺ .

وبناء على هذا فالفكر الاسلامي هو إعمال المرء المسلم
خاطره في تقويم الأشياء، وإدراك معانيها، والحكم عليها بالصحة
أو الفساد .

وبعبارة أوضح ، أو أوسع وأشمل : الفكر الاسلامى هو تفكير الانسان المسلم فى الكون والحياة ، وما وراءهما من عالم الغيب مما يُعرِّفه غير المسلمين بما وراء الطبيعة ، أو بما هو ليس ببادئة .

أصالته :

ذاك هو تعريف الفكر الاسلامى ، أما أصالته فإن الأصالة مصدر أصل الشئء يأصل أصلاً وأصالَةً كان له أصل ، أو رسخ فهو ذو أصالة ، أى ذو أصل وشرف فهو أصيل .

وأصالة الرأى جودته وإصابته ، ومن هنا كان الفكر الاسلامى ذا أصالة كاملة ، لأنه من حيث الجودة أصيل ، لكونه تفكيراً لا يخرج عن دائرة الحق والعدل ، والخير والمعروف بحال من الأحوال ، إن المسلم لا يُعمل خاطره فيما هو شر ، وفيما يؤذى ويضر . ومن حيث القدم والرسوخ فإنه تفكير عاصر الحياة البشرية منذ أن كان الانسان الأول آدم أبو البشر عليه السلام ، إذ التفكير فيما ينفع لإحضاره والانتفاع به ، وفيما يضر لإبعاده وتجنبه تفكير وجد مع وجود الإنسان على هذه الأرض ، فلهذا كان الفكر الاسلامى أصيلاً فى شرفه وجودته ورسوخه وثباته .

سموه :

وأما سموه فإن الفكر الإسلامى سام لا يهبط ولا يسف وذلك لسمو مقاصد المسلم ، وارتفاع حاجاته النفسية فوق المستويات المادية الهابطة التى يقتصر عليها الفكر المادى عادة فى هذه الحياة الدنيا .

فسمو الفكر الاسلامى يظهر بوضوح فى متطلبات المسلم وتطلعاته وهى كلها سامية شريفة ، إذ متطلبات الانسان المسلم تدور على صفاء روحه أو كمال خلقه ، وحسن أدبه ، وما يهيبه ذلك له ويوفره عليه ، ومتطلعاته تتجه دوماً وأبداً نحو سعادة الحياتين وكرامتهما .

ومن هنا كان الفكر الاسلامى سامياً سمواً يتميز به بين سائر الأفكار المادية الهابطة التى لا يتجاوزها أصحابها منطقة المادة بحثاً عن الأكل والشرب ، والتمتع الجنىسى ، وما يوفر ذلك ويهيئه من أسباب ووسائل .

شموله :

وأما شمول الفكر الاسلامى ، فإن المسلم الحق ، يفكر مثل كل إنسان ، ولكن تفكيره شامل للحياة كلها والكون أجمع ، ولما وراء المادة ، من عالم الغيب ، وغيره يفكر ولكن فى حدود المادة غالباً ، فلا يتعداها إلى غيرها من عالم الروح إلا نادراً ؛ فلهذا كان الفكر الاسلامى عاماً شاملاً ، وكان الفكر المادى قاصراً محدوداً . إن المسلم لما يفكر لا يفكر فى إسعاد نفسه فقط بل يفكر فى إسعاد البشرية جمعاء ، ولا فى نجاته نفسه دون غيره بل فى نجات جميع الناس ، أما غير المسلم فإنه إن فكر فى سعادة أو نجاته من شقاء يقصّر تفكيره على نفسه وقلما يفكر فى غيره من سائر الناس ، ولهذا كان الفكر الاسلامى زيادةً على أصالته وسموه شاملاً عاماً يعم الحياة ويشمل الكون كله .

وعليه فمميزات الفكر الاسلامى هى الجودة والرسوخ والأصالة والسمو والشمول ، وهى مميزات لا توجد فى فكر الانسان

غير المسلم بحال ؛ لأن منطلقات تفكير المسلم غير منطلقات تفكير غيره من سائر الناس .

منطلقات الفكر الاسلامى :

إن الفكر الاسلامى لينطلق من مبادئ ثلاثة أثبتتها القرآن الكريم بالبرهان العقلى ، وقررها بالاسلوب العلمى ، فأمن بها المسلم فكانت منطلق تفكيره فى الكون والحياة . وتلك المبادئ هى :

مبدأ التوحيد، حتمية المعاد، ضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب فى النفس .

وإلى شرح هذه المبادئ الثلاثة التى هى منطلق الفكر الاسلامى قديماً وحديثاً :

١ - مبدأ التوحيد :

إن مبدأ التوحيد وتمثله كلمة الاخلاص (لا إله إلا الله) قائم على أساس أن الإله الحق الذى يجب أن تؤلِّه القلوب ذُلَّالُهُ، ومحبةً وتعظيمًا، والجوارح طاعةً واستكانةً وضراعةً هو من كان قبل تأليهه رباً أى كان رباً قبل أن يكون إلهاً بمعنى معبود، وأعنى بكلمة الربّ: خالق الهَيُولَى والطينة الأولى، موجد الحياة وواهبها موات الأشياء فكانت بها أحياء، خالق الأرزاق وأسبابها، وهادى الأحياء إلى تطلابها، كي يحفظ لها حياتها إلى آجالها التى قدرها لها، مدبر أمر الأحياء المُسْتَكِنِ منها فى الأحشاء كالسباح فى الماء، والساكن الغبراء الكل على حدّ سواء .

ذاك الذى أمات وأحيا، ومنع وأعطى. وأضحك وأبكى
وأضل وهدى وأسعد وأشقى، علمه أحاط بكل شىء، وقدرته
كانت وما زالت على كل شىء .

فالإله الحق إذا هو من استجمع هذه الصفات : صفات
الربوبية الحقة التى هى الخلق والرزق والتدبير، وهى صفات
عالية لم تتوفر بعد لأى إله فى الأرض ولن تتوفر أبداً، إذ هى صفات
الربوبية التى اختص بها الله جل جلاله وعظم سلطانه فكان الإله
الحق الذى لا إله غيره ولا رب سواه .

ومن هنا كان الفكر الإسلامى أسلم الأفكار الإنسانية
وأسيها إذ المسلم يفكر من منطلق مبدأ التوحيد الذى جماعه :
إثبات وجوب وجود الله تعالى لاستحالة وجود الأكوان بنفسها مع
ظهور عجزها وافتقارها إلى ذى ربوبية مطلقة يمدّها بوجودها
ويدبر أمرها، لينتظم ذلك الوجود لها ويستمر إلى نهاية الأجل
المعدود له .

وإثبات ألوهية الله تعالى على العالمين، تلك الألوهية التى
اقتضتها ربوبيته لكل شىء، إذ ما دام الله تعالى خالق كل شىء
فهو رب كل شىء ومليكه، وتحتم أن يكون إله كل شىء
ومعبوده .

وتحقيق ذلك بعبادة الله تعالى عبادة قائمة على أساس
إخلاصها له تعالى بدءاً وانتهاءً، وبما أحب أن يُعبد به من أعمال
القلوب والجوارح وعلى الكيفية التى أمر أن يُعبد بها بلا زيادة ولا
نقص، ولا تقديم فيها ولا تأخير .

وانطلاقاً من هذا المبدأ مبدأ التوحيد كان المسلم يرفض
الإلحاد ويلعن أهله ولا يقره ولا يُقر عليه، وذلك لفساده وبطلانه

عقلاً وواقعاً، إذ لا إله إلا الله ذو الربوبية المطلقة لكل شيء ،
فأنى يكون معه آلهة أخرى، والكل مفتقر إليه في وجوده وحفظ
ذلك الوجود له إلى نهاية أجله المقرر له، وينفى الشرك بجميع
صوره وأشكاله وسائر ضروره وأنواعه؛ لأنه ظلم، ويمقت أهله
لأنهم ظالمون .

ولهذا كان المسلم ذا قناعة تامة في أنه لا يستطيع أى عاقل
تحت الشمس أن يبطل قضية التوحيد أعنى ما تضمنته كلمة
الاخلاص (لا إله إلا الله) من حكم صحيح وهو إثبات وجود الله
تعالى ونفى الألوهية الحققة عن كل ما سواه، وإثباتها له تعالى دون
غيره من سائر الكائنات وذلك لأن نفي وجود الله تعالى كما هو
مذهب الملاحدة الشيوعيين باطل مردود بوجود مخلوقات لا عد لها
ولا حد، وكلها مفتقرة إلى موجد لها، ومخصص ولما لم يكن هناك
من ادعى خلق هذه الكائنات وتخصيصها بما تميز به عن بعضها في
الوجود الذاتى، والصفات والأفعال، ونوع الحياة وكيفياتها، وهى
حتماً مفتقرة إلى ذلك كان الله تبارك وتعالى هو الخالق لها؛ وبه
أصبح وجود الله تعالى واجباً ضرورياً، فكيف يصح إذاً فى العقول
نفيه؟ .

كما أن إثبات تعدد الآلهة كما هو معتقد المشركين والنصارى
باطل مردود أيضاً، لانعدام صفات الربوبية عند غير الله تعالى،
والتي هى الخلق والرزق والتدبير، وما لم يكن رباً أى خالقاً رازقاً
مدبراً لا يكون إلهاً معبوداً عقلاً ولا شرعاً .

إن قناعة المسلم هذه فى أنه لا يستطيع أى عاقل أن يبطل
حكم (لا إله إلا الله) جعلته يعتزبمعتقده، هذا ويجاهر به لأنه

معتقد الحق الذى لا يبطل ، ولأنه مصدر الكمال الذى لا يعتره نقصان وكنتيجة طبيعية لمبدأ التوحيد هذا فإن المسلم يسمو بتفكيره فوق المستويات الهابطة كلها، إذ مبدأ التوحيد (لا إله إلا الله) لا يبقى لمعتقده من الناس تفكيراً فى أن من الخلق من ينفع أو يضر بدون إذن الله تعالى فيتوجه إليه بقلبه أو علمه راجياً منه حصول نفع ، أو دفع ضرر .

ومن هنا كان المسلم يرتفع بتفكيره كله نحو محابِّ الله تعالى ، ومكارهه يتعرف إليها قَصْدَ أن يتجنب تلك المكاره ، ليحتفظ بطهارة روحه وزكائها وأن يصل إلى مستوى من الكمال والمعرفة يصبح معه لا يتحرك إلا فى دائرة تلك المحاب يقدمها عملاً صالحاً يرجوه المغفرة والرحمة فى الدنيا والآخرة .

٢ - مبدأ حتمية المعاد :-

إن المعاد الأخرى ، أو البعث الآخر كما جاء فى الحديث لا يتخلف أبداً ، لأنه العلة لهذا الكون ، وهذه الحياة ، والعلة لا تتخلف - عقلاً - عن المعلول بحال ، ولذا فهو كائن لا محالة ، وأجله مسمى عند الله تعالى ، وساعته محدودة لا تتخطاه بحال من الأحوال ، وهو معتقد أطبقت عليه جميع الأديان الإلهية ، فلم يكن دين سواى صحيح يخلو فى أصوله من هذا المعتقد الهام العظيم . وذلك لا لتوقُّف إصلاح الفرد والمجتمع البشرى عليه فحسب بل لأنه أيضاً الحق الثابت الذى لا يمكن أن يكون غيره ، إذ لولاه لكانت الحياة عبثاً لا معنى لها ، قال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾

إن مبدأ حتمية المعاد وهو أحد منطلقات الفكر الاسلامى الثلاثة الثابتة فى القرآن، يعتبر المكيف لحياة الفرد المسلم، والموجه له، إن جميع تصرفاته نابعة منه، متكيفة به، لأن اعتقاد المرء الجازم بأنه مسئول عن كل تصرفاته، محاسب على كل أعماله مجزى بها خيرها وشرها وقليلها وكثيرها سواء، من شأنه أن يجعله يفكر قبل أن يقول أو يفعل، فيتحرى فى كل قوله وعمله مالا إثم فيه، ولا تبعة يتحملها من أجله، وهذه أقل أحواله، وإلا فسوف لا يطلب من الأقوال والأعمال إلا ما يعلم أنه سينتاب عليه الحسنى ويجزى به الغرفة .

إنه لأجل هذا كان مبدأ المعاد يمد الفكر الاسلامى بطاقات جديدة تدفعه إلى السمو والكمال كلما فتر بملاسة المادة له وهو يعمل فيها كضرورة من ضرورات هذه الحياة المادية، يمدّه بالصفاء والإشراق، ويمدّه بالقوة والأمل، وهذه أى الصفاء والإشراق والقوة والأمل هى موجبات سموه وكماله التى يتفوق بها على كل الأفكار المادية فى هذه الحياة .

إن للفكر الاسلامى وهو ينطلق من مبدأ البعث والجزاء يسمو بصاحبه أن يظلم أو يعتدى، أو يكذب أو يفترى، أو يفسد أو يجرم، لإيمان صاحبه الراسخ بأنه إذا مات لا يترك أبداً ولا يهمل، وإنما يُبعث ليُحاسب ويُعاقب حكمُ الله الذى لا يتخلف، وقضاؤه الذى لا يُرد، كما يرتفع به عن الدنيا والخبائث، ليقينه الكامل أنها تلوث نفسه وتحجبها عن معانى الكمال والخير فى الدنيا، وتحرمها السعادة فى الدار الأخرى وبالجملة فإن المفكر الإسلامى يسمو بتفكيره إلى مستويات من الخير والجمال والسمو

والكمال لم يكن لغيره أن يصل إليها بحال من الأحوال وذلك لانطلاق فكره من مبادئ الحق والخير وانطلاق فكر غيره من مبادئ الباطل والشر .

٣ - مبدأ ضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب في النفس :

إن هذا المبدأ مأخوذ من القرآن الكريم كتاب الله الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ وهو جواب أكبر قسم لله تعالى فى كتابه العزيز وهو قوله تعالى :

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا وَالنَّهَارُ إِذَا جَدَّهَا
وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَدَهَا وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ .

ولشرح هذا المبدأ يقتضى تحليله إلى عناصره الأولى وهى النفس البشرية ، ومدى قبولها لتأثير الكسب فيها ، ومظاهر ذلك التأثير ونتائجه فى الحال والمآل .

أما النفس البشرية فهى ذلك الجوهر النورانى العلوى الخفيف المتحرك النافذ فى جوهر الأعضاء والسارى فيها سريان الماء فى الورود والنار فى الفحم ، والكهرباء فى أسلاكها .

وأما مدى قبولها لتأثير الكسب فيها فإن النفس البشرية بما أنها جوهر وليست بعرض فإنها حسب سنة الله تعالى فى الجواهر أى الأجسام قابلة لتأثير الكسب فيها بنوعيه أى الخير والشر شأنها شأن

سائر الأجسام . فالجسم البشرى تؤثر فيه الأحداث الداخلة فيه ،
والخارجة عنه ، فهو يمرض ويُدأوى فيصح ، وتظهر عليه أعراض
المرض والصحة ، ففي حال مرضه يظهر عليه الشحوب والاصفرار
والهزال ويعجز عن الحركة والقول والعمل كلما اشتد به المرض ،
وفي حال الصحة يظهر عليه الحيوية والنشاط والسمن ، والقدرة
على الحركة والقول والعمل الأمر الذى لا ينكر ولا يجهل بحال .
وإذا كانت الأجسام على هذه السنة فى قبول التأثير فإن
النفس البشرية كذلك فإنها تمرض وتعالج فتبرأ وتصح ، وتظهر
عليها أعراض المرض والصحة ، ففي حال المرض يصبح صاحبها
يكذب ويخون ويغش ويخدع ، ويشح ويبخل ، ويرائى وينافق ،
يتكالب على الدنيا ويصارع على الشهوات ، ويعجز عن فعل
المعروف والخير ، ويكره الطهر والصفاء ، ويحب الخبث والكدر
النفسى ، ويؤثرهما .

وفي حال الصحة يصبح صاحبها صدوقاً أميناً كريماً رحيماً
مخلصاً بعيداً عن النفاق والرياء ، زاهداً فى الدنيا ، راغباً عن
شهواتها ، قادراً على فعل الخير والمعروف يحب الطهر والصفاء
ويكره الخبث والخبثى وكل شر وفساد فى الأرض .

الكسب المؤثر فى النفس وشروط ذلك :

إن المراد من الكسب المؤثر فى النفس البشرية هو ما كان من
جنس الإيمان والعمل الصالح ، وهذا يؤثر فيها بالزكاة والطهر ، وما
كان من جنس الشرك والمعاصى وهذا يؤثر فيها بالخبث
والتدسية .

وشروط الأول هي :

(١) أن يكون مما شرع الله تعالى لعباده أن يعتقدوه أو يقولوا به أو يعملوه .

(٢) أن يقوم به العبد خالصاً لوجه الله تعالى فلا تشوبه شائبة شرك أو رياء .

(٣) أن يؤديه العبد المؤمن أداءً صحيحاً يوافق فيه مراد الله تعالى المبين على لسان رسوله ﷺ فيراعى فيه كميته فلا يزيد فيها ولا ينقص منها، ويراعى فيه كفيته فلا يقدم فيها ولا يؤخر . ويراعى فيه زمانه ومكانه فلا يفعله في غيرهما .

وبذلك يولد هذا العملُ الطاقةَ النورانيةَ المطلوبةَ للنفس البشرية كي تطيب وتطهر .

هذه شروط هذا الكسب الصالح لكي يؤثر في النفس بالزكاة والطهر فإن نقص منها شرط أو أكثر بطل مفعوله ولم يؤثر في النفس التأثير المطلوب لها لتصبح أهلاً لمرضاة الله تعالى ، ومجاورة الصالحين في الملكوت الأعلى ، فلو اختل شرط كون العمل مما شرع الله تعالى لعباده من الطاعات والقربات بأن كان بدعةً محدثةً الصقت بدين الله تعالى فإن العمل لا ينتج الحسنات المطلوبة للنفس - لتحسن بها وتشرق لها ، ولو اختل شرط الإخلاص فيه لله تعالى بأن أشرك فيه العبد غير الله تعالى أو راعى فيه أحداً من الناس بطل مفعول ذلك العمل ولم ينتج الحسنات المطلوبة للنفس لتزكو بها وتطهر .

ولو اختل شرط الأداء الموافق لما شرع الله وبين على لسان رسوله ﷺ بأن لم تراعى فيه الكمية بأن زيد فيها ، أو نقص منها كزيادة ركعة أو سجدة في الصلاة المكتوبة ، أو لم تراعى فيها الكيفية

بأن قدم فيها بعض أجزائها أو أخر أو غيرت بعض صفاتها من سر أو جهر، أو طول أو قصر، كأن يقدم السجود على الركوع في الصلاة، أو غيرت فيها صفة الجهر بالسر أو العكس، أو سارع بها المصلى فلم يطمئن في ركوعها أو سجودها وقيامها، أو أوقعها صاحبها في غير زمانها أو مكانها بأن أدت الصلاة المكتوبة قبل دخول وقتها، أو بعد خروجه أو وقف في الحج في غير تاسع الحجة، أو أدت الصلاة في دار مغصوبة أو في بقعة نجسة، أو في مقبرة أو مجزرة أو معطن (إبل) أو وقف الحاج بمكان غير عرفه بدلا من عرفه، أو طافوا ببيت الله تعالى غير الكعبة بأن طافوا بمسجد من بيوت الله تعالى غير المسجد الحرام بطلت العبادة في كل ذلك وفسدت، ولم تثمر ما كان مرجوًّا منها أن تثمره للنفس من زكاة وظهر .

ومن هنا اشتد نكير العلماء على البدع والمبتدعين لما عرفوا من فساد البدعة وبطلانها، وعدم جدواها، وانعدام النفع منها، لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، لقوله ﷺ : (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) وقوله عليه الصلاة والسلام : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) .
 وما يجب التنبيه عليه، ولفت النظر إليه هو أنه لا فرق بين المبتدع الذي يضع للمؤمنين أنواعاً من الطاعات ويدعوهم إلى العمل بها لتزكو نفوسهم وتطهر فيرضى عنهم ربهم، ويقربهم، وبين المبتدع الذي يُسمى في عرف أهل العصر بالمشرع القانوني الذي يضع للمسلمين قوانين يزعم أنها تحفظ لهم دماءهم وأموالهم، وتصون أعراضهم، وتنشر الرحمة بينهم وتشيع الإخاء والمودة فيهم، فيشرع السجن المؤبد لقاتل العمدة والسجن المؤقت

للزاني المنتهك للحرمت، أو السارق المروع للآمنين والأمنات .
ويشرع الضرائب المالية الفادحة عوضاً عن الزكوات الواجبة، وما
إلى هذا من قوانين العقوبات التي استبدل بها بعض الحكام في
ديار المسلمين أحكام الله تعالى وحدوده .

أقول إنه لا فرق بين المبتدع الذي يشرع للروح ما يزيكها
ويطهرها، وبين من يشرع للجسم ما يحفظه به نامياً صالحاً يؤدى
وظائفه^(١) على الوجه المطلوب له، إذ الكل مبتدع متكلف ما ليس
له بحق، منازعٌ لله تعالى في حق التشريع الذي هو حق الربِّ
وحده دون غيره، لأن الذي لا يخلق لا يُشرع ولا يعرف ما يصلح
المخلوق إلا خالقه، والذي يخلق مخلوقاً عليه أن يُشرع له من
الوظائف التَّعبُديَّة ما يزيكى به روحه ومن القوانين القضائية والجنايئة
ما يربِّي به جسمه ويحفظه له صالحاً نامياً، وما دام الإنسان لم يخلق
الإنسان فإنه لم يكن من حقه، أو ممَّا يصح منه :

أولُهُ أن يضع للإنسان المسلم من البدع والقوانين مما يدعى
أنه يطهر به روحه ويحفظ به جسمه وعرضه وماله، لأنه لا يملك
القدرة الكافية لإيجاد المؤثر الخاص في تلك البدعة الشرعية أو
القانونية، إذ الذي لا يستطيع أن يوجد غذاءً في الخشب أو التراب
للإنسان يتغذى به بعد أن أحلاه الله تعالى منه، لا يستطيع أن
يوجد في البدعة التي ابتدعها القوة المؤثرة في النفس أو الجسم
لإصلاحهما وإسعادهما .

(١) لا يدخل في هذا صانعو الأدوية والأطباء إذ عملهم هو البحث عن الأدوية ومعرفة العلل
الجسائية ومداواة كل علة بالدواء الملائم لها وهو مأذون فيه شرعاً وليس هو من قبيل وضع البدع
الدينية ولا وضع القوانين الشرعية القضائية والجنايئة والاقتصادية والسياسية .

ومن هنا كان المبتدع والمُشرِّع ظالمين ، وكان العمل بالبدعة والقانون المناهض لشرع الله تعالى ظلماً ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

٥ - وشروط الثاني : وأذكر بأنه الكسب المؤثر في النفس مما هو من جنس الشرك والمعاصي ، شروطه هي :

١ - أن يكون مما حرم الله تعالى اعتقاده أو قوله أو عمله كسائر الاعتقادات الباطلة والأقوال السيئة والأعمال الفاسدة مما جاء تحريمه في كتاب الله تعالى أو على لسان رسوله محمد ﷺ .

٢ - أن يصدر هذا الكسب عن مكلفٍ شرعاً وذلك بأن يكون عاقلاً مميزاً يقظان غير نائم فما يصدر من أعمال أو أقوال عن غير المكلفين كالمجانين والأطفال لا تأثير له على النفس البشرية (رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم) .

٣ - أن يكون الكاسب مريداً مختاراً ، وأعني بالمريد : من يصدر عنه الفعل أو القول وهو قاصد فعله أو قوله بحيث لم يقع منه نسياناً أو خطأ ، وأعني بالمختار من لم يقع منه الفعل أو القول مكرهاً عليه مضطراً إليه وإنما وقع منه حال حرите واختياره ، فغير المريد وغير المختار إذا صدر عنهما القول أو الفعل لا يؤثر في نفسها لعله عدم القصد والاكراه وفي هذا يقول الرسول ﷺ (رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) (١) وفي القرآن الكريم معنى ذلك قال تعالى من سورة البقرة :

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما وهو صحيح الإسناد ورواه الطبراني وعلق عليه السيوطي في الجامع بالصحة .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (١) وقال تعالى من
سورة النحل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) .

مظاهر تأثير الكسب في النفس :

إن للكسب تأثيراً على النفس البشرية متى توفرت له
شروطه التي قدمنا بيانها آنفاً والجزاء سواء كان دنيوياً أو آخروياً
مرتبا على تأثير ذلك الكسب في النفس وفي القرآن الكريم

﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٣)

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤)

ومن مظاهر تأثير الكسب في النفس حبُّ الفضائل والرغبة
فيها والعمل على تحصيلها والتحلّي بها، وبذل الجهد والوسع في
ذلك كما هو ظاهر مشاهد في أهل الإيمان والعمل الصالح في
نفوسهم، ظهر وكأنه عرض من أعراض نفوسهم لسلامة تلك
النفوس وطيبها وطهارتها .

كما أن حب الرذائل والرغبة فيها وطلبها والتلوث بها وبذل
الجهد والطاقة في سبيل الوصول إليها كما هو مرئى ومشهد في
أصحاب الشرك والمعاصي والذين يوجدون في كل زمان ومكان ما
هو إلا مظهر من مظاهر تأثير الكسب في النفس فالجرائم التي

(٣) النساء : ١٢٣ .

(٢) النحل : ١٠٦ .

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٤) النحل : ٩٧ .

تُرْتَكَبُ فِي دُنْيَا النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِهَا وَتَنوعِهَا مَا هِيَ إِلَّا أَعْرَاضٌ
تُظْهِرُ فِي سُلُوكِ الْمَرْءِ نَتِيجَةَ تَأْثِيرِ كَسْبِهِ فِي نَفْسِهِ .

هذه نتائج تأثير الكسب في النفس في الحياة الدنيا أما في
الآخرة فقد بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) فقد قضى الله عز وجل بفلاح من
زكى نفسه بالإيمان والعمل الصالح اعتقاداً وعملاً والفلاح
المحكوم به لذوى النفوس الزكية هو ما بينه تعالى في قوله

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ
زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ
الْفُرُورِ ﴾ (٢) والخسران المقضى به لأهل الأرواح الخبيثة ، والنفوس
المدساة الشريرة هو ما ذكره تعالى في قوله ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكُمْ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٣) .

هذا ..

وخلاصة القول في منطلق الفكر الاسلامى أن الفكر
الإسلامى من أسلم الأفكار وأسماها وأنه فكريمتاز بالأصالة
والشمول والسمو فلا يقارن بالأفكار المادية الهابطة بحال من
الأحوال ذلك أن الأفكار المادية منطلقاتها : الأهواء والشهوات
وحبّ التسلط والرغبة في القهر والاستعلاء على الناس أما الفكر
الاسلامى فإن منطلقاته التوحيد الذى يربط البشرية لو آمنت كلها

(١) الشمس : ١٠،٩ .

(٢) آل عمران : ١٨٥ .

(٣) الزمر : ١٥ .

برباط العبودية لله تعالى فيسوى بين قويها وضعيفها وغنيها وفقيرها
وأبيضها وأسودها ويحررها من كل عبودية إلا لله تعالى فتسمو وتبلغ
الكمال المستعدة له لو آمنت واتقت .

وحتمية المعاد الذي يعتق المؤمن من أسر الشهوات ويخلصه
من رق الرغبة في الدنيا والتكالب عليها ويكون منه مثلاً صادقاً
للعدل والاستقامة في الحياة .

وضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب في النفس
وهو أحد منطلقات الفكر الإسلامي الثلاثة وهو منطلق يوجد من
نفس المرء المسلم رقيباً عليه ومهيماً طوال حياته بمنعه من الظلم
ومن كل شر وفساد في الأرض ويحذوه إلى فعل الخيرات والإكثار
من عمل الصالحات كما ينمي فيه خلق العدل والإنصاف من
النفس ويحبب إليه الفضائل ويكره إليه الرذائل ويجعله من أرشد
الناس بين الناس .

تَرْجَمَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

بَيْنَ وَاقِعِنَا الْمُعَاشِ وَمُسْتَقْبَلِنَا الْمُنَشُودِ

د. عبد العزيز محمد عثمان
أستاذ مساعد بقسم التفسير بالكلية

الحمد لله الذى أنزل على رسوله قرآنا عربيا معجزا لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وتكفل سبحانه بحفظه فلم يجعل لمخلوق إليه سبيلا، ونصلى ونسلم على خاتم النبيين وإمام المرسلين الذى جاء بهذا الكتاب بشيرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه الذين كانوا جنود حفظ القرآن ونشره فى أرجاء الكون .

وبعد، فلا تزال قضية ترجمة القرآن إلى لغة أخرى تشغل أذهان المسلمين وبخاصة العلماء والدعاة الذين يعلمون أن واجب أهل الاسلام هو التبليغ وإسراع القرآن لكل البشر على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأماكن وجودهم، غير أن تناول لهذا الموضوع حدث فيه كثير من الخلط، وتباينت فيه الآراء باختلاف النظرة والهدف .

وقبل أن نلقى ضوءاً على ذلك لابد من ذكر مقدمة قصيرة وهى : أن الاسلام انتشر فى أصقاع الأرض انتشارا لا يزال يحير ألباب الناس، وبخاصة الذين يقفون من هذا الدين موقف العداء الصريح كالمستشرقين الذين يروجون حجة داحضة هى أن هذا الانتشار السريع الذى لا يدانيه انتشار دعوة سبقت، إنما قام على

السيف، وهم يعلمون في حنايا نفوسهم أن ايرادهم لهذه القضية ليس هو الحقيقة التي يؤمنون بها وإنما رأوا أن هذا يفت من عضد المجتمع الاسلامى المعاصر، ومما هو معلوم بدهة من التاريخ أن العرب قاطبة فضلا عن المسلمين ما كانوا يملكون من القوى ما يرتفع إلى الوقوف أمام أى شعب من شعوب الدنيا آنذاك كالفرس أو الروم أو القبط، ولكن الذى وقف أمامهم إنما هو هذا الكتاب العزيز الذى دانت له الدنيا عندما سمعته فلامس شغاف قلوبها وهيمن على أرواحها .

فما يكاد القرآن يتلى حتى ترى الخشية والسكينة تنزلان على قلوب المؤمنين الذين يعرفون العربية والذين لا يعرفونها . فآمن به الفرس والبربر والقبط والهنود وكثير من الشعوب التى لا تعرف العربية، فما شغلت قضية ترجمة القرآن أحدا من الناس، بل إن الشعوب التى فتحت صدرها للاسلام فتحت أسماعها وأبصارها على كتاب الله، وعانقته أرواحها بالحب الوامق فعكفوا على تعلم اللغة العربية للاستزادة من تذوق القرآن والتفكر فى العلوم التى بثها العليم الخبير فى ثناياه .

وكان همّ الدعاة هو تعليم الناس أركان الدين وأصوله وإسماعهم القرآن، وما دار بخلدهم ترجمة القرآن لعلمهم :
أولا : أن معرفة معانى القرآن شأولا يدرك ومراد لا يُنال إلا بتعلم اللغة والتفكر فى أسرارها (١) .

(١) انظر ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم .

ثانيا : ان الله جعل أهل الإسلام أمة واحدة ومما يوثق رباط الأمة بعد الايمان إنما هو اللغة التي نزل بها الكتاب العزيز الذي جعله الله آية باقية بقاء الانسان على ظهر المعمورة .

ثالثا : أن توحد الأمة على لغة واحدة يزيد من تآلفها ويرد عنها كيد الذين يدعون إلى العصبية باستخدام اللغات الخاصة كما هو مشاهد الآن في عالمنا المتناحر .

ولو نهجت الأمة الآن نهج أسلافها لعزّت ولكانت مثلاً يحتذى ولما شغلت قضية الترجمة هذا الحيز الكبير ولما عاشت هذه الفترة من الزمان يتقاذفها المؤيدون والممانعون .

قضيتان :

ليس الحديث عن ترجمة القرآن بجديد بل إن القول بذلك يرجع إلى أيام الإمام أبي حنيفة الذي يروى أنه أجاز قراءة الفاتحة بالفارسية^(١) وخالفه الصحابان القاضي أبو يوسف والإمام محمد بن الحسن الشيباني في ذلك حيث قررا أن ذلك يجوز للعاجز عن أدائها بالعربية^(٢) أما غير العاجز فلا يصح له ذلك ويروى أن الإمام أبا حنيفة رجع من قوله إلى قولهما عندما لاح له ضعف دليله وقوة دليلهما^(٣) وقد انتقد قول الصحابين من العلماء (لأن الصلاة عبادة تؤدى كما جاء بها النبي ﷺ ولا دخل للعقل والقياس فيها،

(١) انظر السيوطي الاتقان ج ١ ص ٣٠٧ .

(٢) انظر محمد أبو زهرة - المعجزة الكبرى، القرآن ص ٦١٢ .

(٣) انظر الشيخ محمد سليمان - حدث الأحداث في الاسلام، الاقدام على ترجمة القرآن

فلا يصح لهما القول بتسويغ القراءة بالعجمية للعاجز عن العربية لأن هذا لم يرد عن صاحب الديانة وإنما الذي ورد عنه أن من عجز عن ركن فيها سقط عنه (١) .

هذه هي القضية الأولى حيث دار البحث فيها عن قراءة العاجز عن الفاتحة بالعربية، ولم يعرف عن صاحب الفتوى الإمام أبي حنيفة مقصده في الترجمة هل هي مجرد الدعاء أم أنها قرآن؟ وقد حُسم ذلك في إبانه باجماع العلماء على منعه باختلاف مذاهبهم وانضم إليهم الإمام أبو حنيفة بعد ذلك فانعقد إجماع الأمة كاملاً وجب كل حديث في هذا الأمر وطويت صفحته .

ثم ظهرت القضية الثانية ولا علاقة لها بالأولى : وهي القول بترجمة القرآن الذي ظهر في العقد الرابع من القرن العشرين «منتصف القرن الرابع عشر الهجري» وهي القضية التي هيجت أهل الايمان وأفضت مضاجعهم وانبرى الخلفاء من أرباب الأقلام يكتبون مدافعين منافحين عن حياض القرآن، يبينون خطل هذا المسعى وخطره، يترسمون خطا السابقين بإيراد حججهم وإبراز دلائلهم القاضية بتحريم الترجمة لعدم وفائها بما يراد من كتاب الله تارة، ويضيفون إلى ذلك ما ألهموا من جديد الأفكار وطارف الأحكام تارة أخرى .

وقد اعترى هذه القضية لون من ألوان الخلط المقصود واللبس غير المقصود، وذلك أن الذين تحمسوا لترجمة القرآن خلطوها بالقضية الأولى التي ذكرناها آنفاً وبنوا فكرتهم على ذلك

(١) المرجع السابق ص ١٨١ والكلام للعالم الهندي محمد عبد الحى اللكنوى .

وغاب عن أذهانهم - أولعلمهم تناسوا أن ترجمة القرآن لم تدر بخلد الأولين وأن من قال بها في الفاتحة إنما قالها ترخيصا لمن لا يحسنها بالعربية ولم يزد على ذلك حتى تخلى عما قال .

ومن نافلة القول أن الجمهرة من العلماء المعاصرين يعارضون ترجمة القرآن سواء أكانت الترجمة حرفية أم تفسيرية ولكنهم يجارون الأقدمين فيما ذهبوا إليه من حجج فيها هو الشيخ الزرقانى - رحمه الله - يبين تعذر الترجمة قائلًا (وبما أن الترجمة ملحوظ فيها الإحاطة بمعانى الأصل كلها، نحيطك علما بأن القرآن الكريم، بل أى كلام بليغ لا بد أن يحتوى ضربين من المعانى هما: المعانى الأولية والمعانى الثانوية، أو المعانى الأصلية والمعانى التابعة، فالمعنى الأولى لأى كلام بليغ هو ما يستفاد من هذا الكلام ومن أى صيغة تؤديه سواء ولو بلغة أخرى، لمجرد اسناد محكوم به على محكوم عليه وسمى معنى أوليا لأنه ما يفهم من اللفظ، وسمى أصليا لأنه ثابت ثبات الأصول ولا يختلف باختلاف المتكلمين ولا المخاطبين ولا لغات التخاطب، بل هو مما يستوى فيه العربى والعجمى والحضرى والبدوى والذكى والغبى) (١) ثم تحدث المؤلف عن المعنى الثانوى الذى لا يظهر من أول الأمر بل هو معنى متأخر تابع .

وهذا الذى ذكره مؤلف كتاب المناهل هو الذى ذكره الإمام الشاطبى - رحمه الله - فى كتابه: الموافقات، فى البحث الذى بدأه بقوله: (إن هذه الشريعة المباركة عربية، لا مدخل فيها للألسنة

(١) محمد عبد العظيم الزرقانى - مناهل العرفان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٧ .

العجمية . . . إلى أن يقول : وإنما البحث المقصود هنا أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (١) وقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٢) وقال : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ (٣) وقال : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٤) إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان العرب لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم ، فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة . هذا هو المقصود من المسألة (٥) .

وقد تبع أبا اسحاق كل الذين كتبوا بعده إلى يومنا هذا حيث بينوا استحالة وفاء الترجمة بمعنى النص القرآني .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية عن الامام الشافعي بعد مقدمة ذكر فيها أن الألفاظ العربية التي أطلقها الله سبحانه وتعالى وقالها رسوله الكريم ﷺ لا تكتب بالأعجمية ، قوله : (وذلك أن اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب ، فأنزل به كتابه العزيز وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد ﷺ ولهذا نقول : ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأولى بأن

(١) سورة يوسف آية ٢ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٩٥ .

(٣) سورة فصلت آية ٤٤ .

(٤) سورة النحل آية ١٠٣ .

(٥) أبو اسحاق الشاطبي - الموافقات ج ٢ ص ٦٤ .

يكون مرغوباً فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية (١)
- ثم يقول - : فقد كره الشافعي لمن يعرف العربية أن يسمى
بغيرها وأن يتكلم بها خالطاً لها بالعجمية وهذا الذي ذكره قاله
الأئمة مأثور عن الصحابة والتابعين وقد قدمنا عن عمرو وعلى
رضي الله عنهما ما ذكرناه (٢) .

وهم غير مقصود :

ويتصل بهذه القضية ما وقع من وهم في معنى الترجمة عند
الكاتبين في علوم القرآن الذين أرادوا أن يمنعوا كلا الترجمتين -
الحرفية والتفسيرية - فأوردوا كلاماً غريباً في الترجمة الحرفية ، فمن
ذلك ما ورد في كتاب مناهل العرفان في تعريف الترجمة الحرفية
بأنها : (هي التي تراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه فهي
تشبه وضع المرادف مكان مرادفه) ثم يقول : (فالترجم ترجمة
حرفية يقصد إلى كل كلمة في الأصل فيفهمها ثم يستبدل بها كلمة
تساويها في اللغة الأخرى مع وضعها موضعها وإحلالها محلها وإن
أدى ذلك إلى خفاء المعنى المراد من الأصل بسبب اختلاف
اللغتين في موقع استعمال الكلام في المعاني المرادة إلفاً
واستحساناً) .

وضرب الزرقاني رحمه الله مثلاً للترجمة بنوعيتها ووافقه ممن
جاء بعده من الكاتبين ليبينوا تعذر الترجمة حيث قال : (قال الله
تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

(١) تقى الدين أحمد بن تيمية - اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٢٠٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥ .

الْبَسْطُ ﴿١﴾ فإنك إذا ترجمتها ترجمة حرفية، وأتيت بكلام من لغة الترجمة يدل على النهى عن ربط اليد في العنق وعن مداها غاية المد مع رعاية ترتيب الأصل ونظامه بأن تأتي بأداة النهى أولا يليها الفعل المنهى عنه متصلا بمفعوله ومضمرا فيه فاعله وهكذا . . . ولكن هذا التعبير الجديد قد يخرج في أسلوب غير معروف ولا مألوف في تفهيم المترجم لهم ما يرمى إليه الأصل من النهى عن التقدير والتبذير بل قد يستنكر المترجم لهم هذا الوضع الذى سبق به هذا النهى ويقولون: ما باله ينهى عن ربط اليد بالعنق وعن مداها غاية المد؟ وقد يلصقون هذا العيب بالأصل ظلما، وما العيب إلا فيما يزعمونه ترجمة للقرآن من هذا النوع (٢) .

وليست كذلك الترجمة الحرفية، بل هى الترجمة التى تُعنى بالضبط الدقيق عند إيراد النص الأصيل، وليس معنى ذلك أن يعمد المترجم إلى كل كلمة أو حرف فيضع مقابلهما من اللغة الأخرى بلا مراعاة لأصول اللغة المنقول إليها لأن هذا يولد الاضطراب فعلا كما ذكر فى المثال آنفا .

ولم أورد ذلك لأن الترجمة الحرفية ممكنة فى نظرى ولكنى أوردته للتنبية على أن معالجة استحالة الترجمة بهذه الكيفية قد يوقعنا فى متناول النقد من الآخرين وقد يلزمنا الحجة فى النهاية لعدم تعرفنا على الترجمة الحرفية فنكون قد سلمنا سلاح الانتصار علينا بأيدينا إلى أعدائنا، وهذا أمر غير مراد للكاتبين، ولو كان كذلك لمنعنا الترجمة بهذا المفهوم من اللغات الأخرى إلى اللغة

(١) سورة الاسراء آية ٢٩ .

(٢) مناهل العرفان جزء ٢ ص ٨ .

العربية لعدم الوفاء بالشروط التي ذكروها والضوابط التي ارتضوها وليس لها في الواقع المعاش وجود، لأن الترجمة الحرفية بالمعنى المتعارف عليه عند علماء اللغات أمر يجرى عليه العمل في كل زمان، وما ترجمة المعاهدات والوثائق إلا مثال لذلك .

خوف لا مبرر له :

من المخاوف التي سيطرت على نفوس الحاديين على كتاب الله من جراء الترجمة أن الناس قد يستغنون عن النص العربي بالترجمات فتقع الطامة، وهالك ما قاله الشيخ الزرقاني : (إننا لو جوزنا هذه الترجمة، ووصل الأمر إلى حد أن يستغنى الناس عن القرآن بترجماته، لتعرض الأصل العربي للضياع كما ضاع الأصل العبري للتوراة والانجيل، وضياع الأصل العربي نكبة كبرى تغرى النفوس على التلاعب بدين الله تبديلاً وتغييراً، ما دام شاهد الحق قد ضاع ونور الله قد انطفأ، والمهيمن على هذه الترجمات قد زال (لا قدر الله) ولا ريب أن كل ما يعرض الدين للتغيير والتبديل، وكل ما يعرض القرآن للاهمال والضياع حرام بإجماع المسلمين^(١) .

وتبع الشيخ الزرقاني الشيخ أبوزهرة رحمهما الله في ذلك حيث قال : (ولا تسوغ ترجمة القرآن واعتبار هذه الترجمة قرآناً، فإن ذلك يؤدي إلى ألا يحفظ القرآن من التحريف والتبديل بل يعتريه ما اعترى التوراة والانجيل من تحريف وتبديل، فالأنجيل ضاع أصلها العبري، ولم يبق إلا ترجمتها اليونانية، أو بالأحرى ترجمة

(١) مناهل العرفان ج - ص ٤٦ .

بعضها، والسبب في ذلك هو ترجمتها من العبرية، وهكذا يكون القرآن الكريم لو سوغنا ترجمته، ولكن الشيخ قد استدرك بعد أن سبح طويلاً في التخييل فقال: (ولكن الطريق مسدود ابتداءً لأن الترجمة غير ممكنة، فكان القرآن محفوظاً) (١) ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢).

وما كان ينبغي إيراد هذا التخوف منذ البداية ليقيننا أن القرآن محفوظ وأنه باقٍ بقاء الدنيا لا يعتريه تبديل ولا تحريف، ولا وجه للمقارنة بينه وبين العهدين (التوراة والانجيل) لفروقات شتى :-

أولاً : لأنها كتب ذات أمد محدود لأمم محدوده وأن معجزات رسلها لا تعلق لها بهذه الكتب، ويشهد لذلك قول المصطفى ﷺ : (ما من نبي من الأنبياء إلا أوتى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة) (٣).

ثانياً : الكتب السابقة أوكلَ الله حفظها إلى علمائها ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا النُّورَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ مَحْكُمٌ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ... ﴾ (٤) يقول الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ : بما سألهم أنبياءُهم حفظه من

(١) القرآن المعجزة الكبرى ص ٦١٦ .

(٢) سورة الحجر ٩ .

(٣) صحيح مسلم .

(٤) سورة المائدة ٤٤ .

التوراة، أى بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ رقباء لئلا يُبدل (١).

ثالثاً : لم ينشأ التحريف والتبديل فى العهدين من جراء الترجمة، بل إن التحريف قد حدث عند بنى إسرائيل وكتابهم يُتلى بلغتهم حيث أن أيدى أحبارهم هى التى امتدت له بالتحريف من أجل مصالحهم ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (٢). وهناك فروق أخرى ذكرها العلماء مبثوثة فى كتبهم .

ومثل هذا الخوف من تبديل القرآن - وهو خوف ليس فى موضعه - قد يدعو أعداء الدين إلى التصديق بهذا فيعملون جاهدين إلى بث الترجمات وإغراء الناس بتعلم غير العربية ليتم لهم ما يبيتون - ولكن هيهات - فإن هذا لا يحدث فى القرآن المحفوظ شرحاً ، غير أنه يفتن - وقد فتن - الأمة المسلمة عن كتابها الأكبر فيلحق الضرر بالدنيا كلها، ولو كان القرآن يُغير بسيطرة اللغات الأخرى لفعل ذلك الاستعمار على اختلاف أممه وتباين أشكاله، فقد غزا الشرق المسلم، أقوامٌ تغلى قلوبهم حقداً على أمة القرآن فما استطاعوا أن يردوا الناس عن دينهم فضلاً عن تحريف كتابهم المحفوظ .

وكانت الترجمات للقرآن :

ومع كل ما تقدم فقد ترجم القرآن إلى عدد كبير من لغات الأمم فى مشارق الأرض ومغاربها، وتبددت هواجس الخوف على القرآن، ولكن لماذا تمت هذه التراجم ؟ .

(٢) سورة النساء ٤٦ .

(١) الكشاف ج ١ ص ٦١٥ .

وللجواب على ذلك لابد من إلقاء نظرة على الذين عُنا بالأمرو بذلوا فيه الجهد: فقد ترجم القرآن صليبيون لا يحملون للاسلام إلا العداء^(١) فكانت محاولة (روبرت أوتشر وهيرمان) في القرن الثاني عشر هي أول محاولة كاملة^(٢) وقد ظلت هذه الترجمة في خطها الأول مدة أربعة قرون ثم طبعت في القرن السادس عشر ثم توالى الترجمات بعد ذلك. وقد تُرجم القرآن في أول الأمر لمحاولة الرد عليه كما ينقل الزرقاني عن صاحب تاريخ القرآن^(٣)، فالهدف من الترجمة إنما تم لإبطال القرآن، ولم تكن الهداية مطلباً من مطالب الذين ترجموه من الأمم الأوربية بل كان سوء النية مبيتاً عند هؤلاء بل تم ذلك بإيعاز من الكنيسة لأنها لولم تكن راضية بعملهم لأوقفته أو عارضته ولكنها رأت أن هذه الترجمات تتفق وأهدافها وتحقق مراميها في صدّ أتباعها والحيلولة بينهم وبين القرآن، ومن نافلة القول أن الذين تمت الترجمات على أيديهم لم يدخلوا في الدين الذي كرسوا شطراً من حياتهم في ترجمة كتابه وهذا يبرهن على سوء نيتهم.

وقد احتفل الناشرون ببعض هذه الترجمات احتفالاً كبيراً حتى إن بعضها ليُطبع عشرات المرات كترجمة (جورج سيل) الانجليزية، ولو كانت هذه الترجمات تحمل الحقائق الناصعة التي جاء بها القرآن لما حفل بها أصحاب الصليب، ولكنها جاءت شيئاً

(١) انظر محمد فريد وجدى - الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات

الأجنبية ص ١٥ .

(٢) انظر محاضرات في علوم القرآن ص ١٩٣ .

(٣) انظر مناهل العرفان ج ٢ ص ٤ ومؤلف تاريخ القرآن هو أبو عبد الله الزنجاني .

ممسوخاً مشوهاً لا دَخَلَ له بالقرآن ولا علاقة له بالشريعة، بل كان إلى الخرافة أقرب وبالخيال ألصق كما سنبين ذلك في موضعه .

ولكن القرآن لم يترجم من قبل هو ولاء فحسب بل امتدت إليه أيدي نفر من الذين يكونون للإسلام حبالاً ليرجموه، وما دار بخلد هم أنهم يطلبون لمس الثريا بهذه الأيدي القاصرة، فجاءت ترجمتهم كترجمة أعداء الإسلام إن لم تكن أسوأ في بعض المواضع، فكان ضررها أكبر من نفعها ولذلك رُوِّج لها وطُبعت منها ملايين النسخ في بلدان مختلفة توزع في كل ربوع الدنيا، وعلى القائمين بذلك أن يتفطنوا لهذا وأن يعرضوا هذه الترجمات على أهل الثقة من أهل اللسان العربي ليكشفوا ما فيها من أخطاء جسيمة لا لتقويمها - لأن القرآن لا يُترجم حتى يُقوم - بل لإيقاف هذا السيل المنهمر من طبعاتها حتى لا ينقدح في أذهان غير المسلمين أن هذا هو الحق عندنا طالما أننا رضينا به ونشرناه على الناس صحفاً تُقرأ .

دعوى ولا قضية :

يدَّعي المترجمون أنهم ترجموا القرآن إلى لغاتهم، ولو أعطينا عالماً ماهراً باللغتين العربية والإنجليزية نصاً لواحدة من هذه الترجمات الانجليزية، وطلبنا منه أن يترجمها إلى العربية، فهل تُخرج الترجمة الثانية قرآناً؟ اللهم لا - بل ستخرج كما قلت آنفاً - مسخاً شائهاً لا علاقة له بالقرآن^(١) ولا يغيب عن الخاطر أن الذين

(١) لو عمدنا إلى أى مقطع من الانجيل فعاملناه نفس المعاملة لخرج هو هو، ويكون نفس الأمر إذا فعلنا ذلك في مقطع من مقاطع الشاعر الانجليزي شكسبير في أى واحدة من رواياته وما ذلك إلا لأن الانجيل وشكسبير من صنع البشر .

يتحمسون للترجمة، سيقولون نوافقك في هذا لو كان المترجم قرآنا ولكن المترجم ليس هو القرآن وإنما هو معاني القرآن - ولكن هذه فرية لبسها علينا أعداؤنا عندما لمسوا ضعفنا فغزوا أفكارنا بأفكارهم التي لا يزال الفكر الاسلامي يترنح من نفثها في كثير من بلدانه، فانبرى جماعة من العلماء يقولون بترجمة المعاني، والذي تُرجم ولا يزال يُترجم إنما هو القرآن، وأبسط ما يُستدل به في هذا الشأن هو الترجمات الانجليزية التي بين أيدينا، والتي لا تزال تُطبع في عالمنا^(١) وتوزع على أوسع نطاق كما أسلفت .

فالمترجمون يعملون إلى كل سورة حسب ترتيب المصحف فيترجمونها آية آية يبدأون بالفاتحة ويختمون بالناس غير أنهم يُخضعون النصَّ العربي للنص المترجم له فيكتبون المصحف من اليسار ويختمونه باليمين شأنه في ذلك شأن أى نص آخر .

والذين ترجموا القرآن أقحموا أنفسهم في هذا العمل على أساس أنه نص قديم لواحدة من الديانات، لذلك رأوا : -
(أ) أن الإغراب في اللغة المترجم إليها والتوغل في أوابدها التي أهملت ولم يُعَد لها وجود في استعمال أهلها أمر لازم، مما جعل قراءة هذه الترجمة أمراً متعذراً على قارئها ومثال ذلك استعمال الضمائر في الترجمات الإنجليزية والتي اختفت من اللغة الجارية .

(١) انظر ترجمة القرآن للمترجم الباكستاني (عبد الله يوسف على) فقد ترجم القرآن ثم وضع تعليقات بالهامش لشرح المقصود من الترجمة .

والذى دفعهم إلى ذلك تأثرهم بترجمات الأناجيل التى لم تكن لاستعمال العامة بل كانت طلاسـم يلوكمها القسس بنبرات خاصة تزيد من حيرة سامعيها .

ولم يكن القرآن فى لغته كذلك فقد نزل فى عصر ازدهار اللغة العربية واحتفال أهلها بها احتفالاً لم تعرف الحضارات له مثيلاً ، فاختر جواهر اللغة الباقية ولم يرد فيه ما نقرؤه اليوم من كلمات فى شعر المعلقات وخطب العرب وسجعها الذى شاع وتساقت أوراقه من شجرة اللغة فلم يعد له مكان على ألسنة الناس بل رضى بالانزواء فى الأضابير وتلك حكمة العليم الخبير الذى يعلم السر وأخفى ، فقد أنزل كتابه بلغة مسايـرة لكل الدهور والعصور والله در صاحب النبأ العظيم حيث يقول (١) : (ضع يدك حيث شئت من المصحف وعدّ ما أحصته يدك من الكلمات عدّاً ثم أحص عدتها من أبلغ كلام تختاره خارجاً عن الدفتين وانظر نسبة ما حواه هذا الكلام من المعانى إلى ذاك ، ثم انظر كم كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها من هذا الكلام دون إخلال بغرض قائله؟ وأي كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها هناك؟ فكتاب الله كما يقول ابن عطية (لونزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد) بل هو كما وصفه الله ﴿ كَتَبَ أَحْكَمَتَّ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٢) .

فالقرآن كتاب هداية وإعجاز جاء العرب بالسهل الممتنع - إن جاز لنا التعبير بهذا - .

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز ص ١١٢ ط .

(٢) أول سورة هود .

وقد غاب عن أذهان المترجمين هذا بل كان مبلغهم من العلم أنه كتاب قديم فلا بد له من لغة قديمة، وغاب عنهم - أو لعله لم يرغب بل كان مقصوداً - أن الناس درجت على استعمال لغة غير هذه التي جاءوا بها .

(ب) كما أخضعوا المصطلحات الشرعية والكلمات ذات المدلول الخاص إلى كلمات لا تؤدي الأغراض التي وُضعت لها ولكنها تجارى ما هو مبثوث في كتبهم الدينية وذلك كالصلاة والزكاة والحج والغيب، مما يقدرح في ذهن القارىء أن شعائر هذا الدين كشعائر الأديان السابقة، وهى شعائر لا تجد الرضا والإقبال عند معتنقى هذه الأديان، مما حدا بقسس الكنيسة الانجليزية أن يقترحوا تغيير ألفاظ الصلاة حتى تكون أكثر ملاءمة للعصر الذى يعيشون فيه^(١) وما ذلك إلا لما رأوا من انصراف الاتباع عنها .

الخطأ يُولد الخطأ :

أقدم الناس على ترجمة القرآن بعد أن وجدوا تشجيعاً من الجهات الاسلامية التي كان لها ثقل في عالمنا، وكان لكلمتها دوى لا يُسمع معه أصوات المعارضين وها هو (مارمادوك بكتول MARMADUKE PICKTHAL) الذى ترجم القرآن تحت عنوان (معانى القرآن المجيد)^(٢) يشكر الذين أعانوه في إخراج ترجمته ومن بينهم الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله الذى دعا إلى ترجمة القرآن ترجمة تفسيرية بوجه عام، وإلى ترجمته ترجمة حرفية في بعض

(١) انظر حدث الأحداث في الاسلام ص ٣١ والأدلة العلمية لمحمد فريد وجدى .

(٢) The Meaning of Glorious Qur'an

المواضع منه عندما قال : (ولا شبهة في أن الترجمة الحرفية غير مستطاعة في كل آيات القرآن الكريم، نعم إن بعض الآيات يستطاع هذا فيها وبناء على ذلك فلا تجوز الصلاة بأية آية مترجمة، بل بالآية التي تترجم ترجمة حرفية، وليس معنى هذا أن الترجمة المعنوية غير جائزة كلا، بل هي جائزة، وهي بمنزلة التفسير كما تقدم، ولكنها لا تجوز الصلاة بها) (١).

ولا أدري هل اطلع الشيخ المراغى رحمه الله على الترجمة التي كتبها (مارمادوك) أم أنه قام بالنصح والارشاد الذي شكره عليه في مقدمته فقط ؟ .

ولا نريد هنا أن نحیی هذا العراك الذي مضى عليه قرابة نصف قرن من الزمان ولا يزال رَجُوع صداه يتردد في كتب علوم القرآن وغيرها، بل لا تزال آثاره تنكأ جراح مجتمعنا فتزيده وهنا على وهن .

ولكننا من أجل قابل أيماننا نصفها بأنها محنة - كما وصفها صاحب كتاب (حدث الأحداث في الاسلام) آنذاك، تركت بصماتها الشائهة باقية .

إذن فالإقدام على ترجمة القرآن خطأ بين كان نتاجه الخطأ البين، ولا يحتاج من يريد معرفة ذلك إلى مجهود عظيم كالناقد الذي يبحث عن الهينات في سفر من الأسفار، ولكنك تجد الخطأ أينما وضعت يدك وحيثما وقع بصرك .

ولئن جئنا بأمثلة متفرقة ندلل بها على هذه الأخطاء من كتابين هما الآن بين أيدينا فما ذلك لأننا قلبنا الصفحات فلم نظفر إلا بها ولكن ما نورده من أمثلة يعطينا صورة للفهم الخاطيء وعدم

(١) محمد مصطفى المراغى - بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها ص ٢٧ .

التذوق وعدم التثبت وحصر اللفظ في أضيق نطاق وأضعف معنى وإليك ما يلي من أمثلة :

(١) الصلاة : هى الأفعال المخصوصة التى وردت عن الشارع وقد أخذت من معناها اللغوى الذى هو الدعاء ولكنها فى الترجمة تسمى (PRAYER) بمعنى الدعاء فقط أو جلسة الكنيسة التى يتم فيها دعاء يردده القسس أو الأتباع ، وهى لا تعطى الصورة المرادة عندنا ويطلق عليها (مارمادوك) كلمة عبادة (WORSHIP) مع أنه يطلق نفس الكلمة على الصلاة فى أول البقرة .

(٢) الزكاة : يترجمها (مارمادوك) فى قوله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ بقوله : الذين يدفعون للفقراء المستحق لهم (PAYING OF THE POOR DUE) وكلمة (DUE) تطلق على أى شيء مستحق ديناً أو غيره .

أما (يوسف على) فيترجم الزكاة فى نفس الآية من سورة المؤمنون بكلمة (CHARITY) التى من معانيها : الهبة أو الإحسان أو عمل الخير ، ومع أن ترجمة (مارمادوك) لا تعطينا معنى الزكاة فى الاسلام إلا أنها أدق من الثانية إلى حد .

(٣) وكذلك القول فى الصوم والحج إذ لا يتبادر إلى أذهانهم غير ما هو مألوف عندهم من دياناتهم .

(٤) أما كلمة (دين) RELIGION فهى أيضاً لا تعطى القارىء غير المسلم المفهوم الذى يعنيه الاسلام للدين ، فالدين الاسلامى منهج حياة كامل كما هو معلوم ، ولكنه عند الآخرين هو حالة روحية تخص صاحبها ، ولا علاقة لها بشئون الحياة الأخرى .

(٥) وكلمة GOD التى يساوون لفظ الجلالة (الله) بها فإنها كذلك لا تعطى المعنى المراد لأن كلمة (اله) (GOD) يجوز فيها

التشريك، وهي لاتعنى عند القارىء المسيحى ما يعنيه المسلم من كلمة (الله) بل إنها تطلق على غير الله عند معتقدى (الثليث)، وتطلق على معان أخرى مبثوثة فى معاجم اللغة .

ولا يصح إطلاقها على الله سبحانه وتعالى لأن هذا الاسم (الله) لا يطلق على غيره كما هو معلوم عندنا من الدين بالضرورة، لذلك نرى المسلمين فى أوربا وغيرها ينفرون من استعمال كلمة (GOD) ويفضلون استعمال الكلمة العربية (الله) .

(٦) وكذلك الحال فى أسماء الله فكلمة (الحى) تترجم عند مارمادوك ALIVE وعند (يوسف على) LIVING وكلا اللفظين لا يدلنا على الحياة المقصودة فى جانب الله، بل إن كلا اللفظين يدل على العيش .

كما يترجمون (الصمد) بأنه الذى يتوسل به الكل، أو السرمدى المطلق أو الكامل وهذا معنى قاصر .

(٧) وكلمة النبى (PROPHET) لا تعنى عند أهل الغرب أنها قاصرة على رسل الله الكرام، بل إن الكلمة تطلق على من له نبوءة بأمر له اتصال بالمستقبل، كما تطلق على صاحب نظرية جديدة إلى غير ذلك .

(٨) يترجمون (الغيب) بكلمة (UNSEEN) غير المرىء، وهذه الكلمة لا تعنى الغيب الذى أخبرنا الله به ولا سبيل إلى رؤيته فى دنيانا هذه، أما غير المنظور فلا استحالة فى رؤيته وقد لا يحتاج إلى إيمان بوجوده وماكل (غير منظور) يُطالب الناس بالإيمان به (كعالم الأشباح) الذى تحدث عنه صاحب قاموس (او كسفورد) (١) .

(١) لا يقصد بالأشباح هنا عالم الجن لأن ذلك عالم نؤمن به ونوقن بوجوده .

(٩) وعدم وجود كلمات مقابلة كما أسلفت في الكلام على
المصطلحات جعلهم يستعملون كلمات قد تجعل الأمر غامضا
يملاً قارئه بالحيرة .

وذلك كترجمتهم للعصر بنهاية النهار، أو ميله إلى الغروب أو
أفوله (DECLINE) وهذا على فرض قبوله إنها هو قصر للمعنى على
رأى واحد، ونحن نعلم أن كتب التفسير زاخرة بجملته معان لهذه
الكلمة (والعصر) .

أما يوسف على فقد قصرها على الوقت (TIME) .
وترجمتهم كذلك للضحى حيث يترجمها مارمادوك MORNING
HOURS أى ساعات الصباح ويترجمها يوسف على GLORIOUS
MORNING ضوء النهار المجيد (والضحى) : فظن أن المقسم به لا بد
أن يكون مقدسا ولعل الذى حمله على هذه الترجمة هو القسم .

ومن نافلة القول أن اللغة العربية لا تُبارى في تشبيهاها
وكناياتها وتصريف الكلام فيها بأوجه تجعل القارئ والسامع لا
يمل، كما أن القرآن كما قلت انتقى منها الجواهر الخالدة فنفر عن
التصريح في المواضع التي يكون إيراد غيره أحسن منه كاستعماله
للملامسة (أَوَّلَمَسْتُمْ) والمباشرة (فَأَلْتَنَ بَشَرُوهُنَّ) والغائط (أَوْجَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) ولكن الترجمة معان سوقية ليس فيها حسن
الانتقاء كما في ترجمة (يوسف على) في قوله ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ
لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ حيث ترجم اللباس بكلمة (GARMENTS) التي هي
الكساء أو الثوب .

كما نجد أن المترجم يتخطى الكلمة إلى كلمة غيرها ظاناً أن اللفظ إنما أريد به المبالغة كقوله تعالى ﴿ وَالْبَحْرِيْمُذُوْمِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ فيعبر عن البحر بالمحيط (OCEAN) .

وهناك كثير من الآيات التي ذهب العلماء فيها مذاهب شتى ، وبخاصة التي تتصل بقصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين :

ففي قصة يوسف (وَهَمَّ بِهَا) يلجأ كلا الرجلين إلى ترجمة ذلك برغبته في فعل الفاحشة (HE WOULD HAVE DESIRED HER) وهو قول أعرض عنه جمع من علمائنا وفندوا هذا الاجترار على النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم .

كما أن ترجمة الرب في كلمة (بُرْهَنَ رَبِّهِ) بالسيد الذي يعيش في منزله عند (مارمادوك) لا يتساق مع بقية الكلام لأن الذي صرف عنه السوء إنما هو الله سبحانه وتعالى .

ويترجم (يوسف على) كلمة (رسول) في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ بكلمة (APOSTLE) التي تعنى حوارى أورايد أو معلم أورشول ، وهذه الكلمة تطلق على الحواريين الاثنى عشر الذين بعثهم عيسى لنشر الدين المسيحى ، فهي إن دلت على معنى رسول في مضمونها إلا أنها لا تدل على محمد ﷺ كما يتبادر ذلك إلى ذهن أى مسلم يتلو هذه الآية .

ويترجم كلمة (المشركون) بعابدى الوثن (PAGANS) في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ وقد نص العلماء على أن المراد بهم

هنا اليهود والنصارى (١) لأنهم هم الذين يُقاتلون لبقاء أديانهم
 مهيمنة، ويسعون جاهدين لطمس معالم الاسلام كما ورد في الآية
 قبلها: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ
 يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) .

وقد تشابه عليهم لفظ (وَأُخْرِمْتَشَبِهَاتٌ) فترجموا المتشابه
 بأنه المجاز، أو الاستعارة، أو الرمز - كالقصة الرمزية -
 (ALLEGORICAL) وهو ما لم يقل به أحد في المتشابه .
 وهكذا دواليك، فولوج المكان من غير منافذه لا يسبب غير
 الحرج ولا ينبيء إلا بالتعدى .

القرآن العربى وغير الناطقين بالعربية :

نزل القرآن على رسول الله ﷺ معجزة كبرى - كما
 أسلفت - وهداية عظمى ، فدخل الناس في دين الله أفواجا، وحمله
 المؤمنون إلى أرجاء المعمورة كتاب تيسير وتبشير وفطرة فترك أهل
 الحضارات الكبرى ما كانوا فيه من ترف الحياة وضلالها وأقبلوا
 على حادى الأرواح وناشر العقول من سباتها العميق، يتعلمونه
 ويتفقهون في أسراره، ويرون أن كمال الدين في تعلم لغة القرآن .
 ولم يُشكّل حاجز اللغة مشكلة تذكر أمام اندفاع الناس في
 تعلم لغة القرآن بل في تسنم علوم هذه اللغة حيث برع العلماء من
 غير الناطقين بالعربية في شتى مجالات المعرفة، ونقل بعضهم علوم

(١) انظر الشوكاني - فتح القدير ج ٢ ص ٣٥٥ .

(٢) سورة التوبة آية ٣٢ .

أمتة التي يراها نافعة إلى لغة الضاد(١) وقد كان نبوغ هؤلاء العلماء ظاهرة من ظواهر المجتمع الإسلامي حتى بالغ ابن خلدون في وصفها بقوله: (من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبه فهو عجمي في لغته ومرواه ومشيخته)(٢) .

ويتحدث أحمد أمين مبيناً انصهار الثقافات في بوتقة الثقافة الإسلامية قائلاً :

(وكان للإسلام أثر كبير في هذا الامتزاج، فإن من أسلم من الأمم الأخرى - وأعنى الخاصة - يرى ألا يكمل دينه ولا يقوى إيمانه إلا إذا قرأ القرآن ودرسه، فكان ذلك يدعو إلى تعلم العربية والتثقف بآدابها وبذلك يجمع بين ثقافية القومية وثقافية العربية، وفي هذا مزج على الأقل لثقافتين وجمع بين عقليتين، فكثير من الفرس تعربوا وكثير من الروم والهنود تعربوا وكثير من الانباط تعربوا، ومعنى تعربهم أنهم أفسحوا رؤوسهم وألستهم لثقافة عربية، تتزاوج مع ما نشأوا فيه وشبوا عليه وأفسحوا صدورهم للإسلام ليحل محل دين ولدوا عليه، وعاشوا حيناً في شعائره وتقاليده)(٣) .

ورأت الأمم غير العربية في تعاليم الإسلام ومناهج السلوك الخير عند دعواته الفاتحين ما لم تره ولم تسمع به قبل ذلك فزادهم

(١) انظر ضحى الإسلام ح ١ ص ١٧٧ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون - المقدمة ص ٥٤٣ .

(٣) ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

ذلك تعلقا بهم وعلموا أن الخير كل الخير في ملازمتهم وترسم خطاهم، فعكفوا على ما عكفوا عليه من تعلم القرآن واستكناه أسراره، وقد استعرض ابن تيمية رحمه الله سيرة المتحدثين بالعربية من الدعاة في بلاد غير عربية فقال: (ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها فارسية، وأرض المغرب ولغة أهلها بربريه، عودوا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على أهل هذه الأمصار - مسلمهم وكافرهم - وهكذا كانت خراسان قديما، ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروه) (١).

إذن ما طالبت الشعوب آنذاك بترجمة القرآن وعلمت أن الشرف والمجد أن تسعى هي إلى لغة القرآن لا أن يسعى القرآن إلى لغاتها، والناس بطبائعها تتوق إلى الأكمل والأمثل لتقتدى به وتسير على دربه، ومضى الحال هكذا قرونا من الزمان إلى أن تطاول على أمة الاسلام العهد وتقادم عليها الزمان وسلخت من حياتها أجزاء عزيزة من تعاليمه، بل سلخت عنوان الشموخ والعزة - الجهاد في سبيل الله - وعند ذلك وجد المتر بصون بها غرتهم فاهتبلوها ولم يقصروا بعد ذلك في إفساد الحياة الطيبة علينا - وهكذا سنة الله في خلقه ولن تجد لسنته تبديلا - فغزيت الأفكار قبل الديار وهذا ألوان الغزو، فتنازلنا عن عزتنا بتركنا لما أنيط بنا من هداية الأمم على درب القرآن، وبدل أن يحمل المسلمون

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٦ .

القرآن للناس خلقاً كاملاً وسلوكاً طيبة وعدالة مرضية - كما حمله
الأسلاف - قعدوا، وأرادوا إرساله حروفاً غير التي نزل بها - وهم
في مكانهم - فأحنوا رؤؤ وسهم لدعاة الترجمة مؤثرين السلامة
والتثاقل إلى الأرض .

ولو سألنا أنفسنا ما هو أثر الترجمة عند الأمم المترجم لها؟ لما
احتاج منا ذلك إلى أعمال فكر أو استقراء، لأن الذين ترجم لهم
القرآن - كما يزعمون - إما أمم مسلمة كبعض الأمم الاسلامية -
أندونيسيا مثلاً - وإما أمم غير مسلمة كالأمم الأوروبية .

أما الأولى : فقد تفوقعت في جزرها وعزلتها الترجمة من
التطلع إلى تلقى الكتاب العزيز في لغته التي قضت حكمة الرب
أن تكون سفير البلاغ لكل الأمة المسلمة بلا تفرقه، فتم بها
الوحدة، وتمحى بها فوارق ليس لها في شرعة الحق مذهب، وتزول
بها نعرات بغیضة منتنة، وتلك - أعنى الترجمة - جريرة تأثم بها
الأمة كلها - لأن الاعتصام بحبل الله - مطلب من أصول
الشريعة، والترجمة تفريق وتبديد .

وأما الثانية : فقد رأينا المطابع تدور لتخرج عشرات
الترجمات بلغات أوروبا كلها، وما سمعنا أن هذه الترجمات قد
مهدت سبل الهداية للذين يقرأونها في لغاتهم، بل زادتهم نفوراً
لأنها قدمت لهم بأخطائها وسبكها الذي يشبه كتبهم المقدسة - ثم
إنهم لم يروا في أكثر المجتمعات الإسلامية ما يرغبهم في هذا الدين
مع أن عالم اليوم الذى يعانى الحيرة والقلق والعذاب يحتاج من
يأسوا جراحه، وما البلسم الشافى إلا القرآن العظيم - هداية الله
الكبرى - وسعادته المهداة لبنى الإنسان .

أما الذين يتحججون بأن البلاغ لا يقوم إلا بالترجمة، فالكل يوافقهم في ذلك إلى حد، وهو ترجمة تعاليم الشريعة من عبادات ومعاملات وهذا لا يُحتاج فيه إلى ترجمة آية من القرآن فتعليم الصلاة والزكاة وأحكام الربا والإجارة وإحياء الموات الخ هو ما استنبط من القرآن ومن سنة مبيّن القرآن ﷺ، أما القرآن فسبيله العربية .

ونقول لهؤلاء إن الوصول إلى تعلم القرآن بالعربية غير متعذر، وليست هذه دعوى، بل هي أمر مشاهد، فقد تعربت أمم ما كانت تعرف ألسنتها العربية كأمم السودان والبربر والقبط وبعض الأمم الآسيوية عندما كانت راية الاسلام تحفّق بالحق والصدق ولا تزال هذه الأمم على عربيتها لا تعرف غيرها فما الذى جعله ممكناً في الزمن السالف مستحيلًا في زماننا؟ وهل ينقلب الممكن محالاً أو أن عزائم الرجال هي التي ترتكس وتنتكس .

لقد جعل الله لغة القرآن - وهو علام الغيوب - لغة الأمة المسلمة كلها، لما يعلمه - وهو العليم الخبير - من صلاحيتها لحفظ الشريعة وسهولة تعلمها يقول سباحة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (١) وإنما كان المخاطب أولاً هم العرب الذين هوبين ظهرا نبيهم، ونزل الكتاب بلغتهم لتعذر نزوله بلغات الأمم كلها فاختار الله أن يكون رسوله عليه الصلاة والسلام من أمة هي أفصح الأمم لساناً، وأسرعهم أفهاماً، وألمعهم ذكاءً،

(١) سورة إبراهيم آية ٤ .

وأحسنهم استعدادا لقبول الهدى والرشاد . . . واختار أن يكون الكتاب المنزل إليهم بلغة العرب لأنها أصلح اللغات جمع معان، وإيجاز عبارة، وسهولة جرى على الألسنة، وسرعة حفظ، وجمال وقع في الأسماع، وجعلت الأمة العربية هي المتلقية للكتاب بادئ ذي بدء وعهد إليها نشره بين الأمم (١) .

وإذا دار بأخيلة الأمم اختراع لغة عالمية يتم بها تخاطب كل شعوب الدنيا، وتكون هي لغة المحافل والمواثيق، فلم لا تكون لغة القرآن هي اللغة، وقد جربتها الدنيا فوجدت أنها تحوّل الأمم بقرآنها في سهولة ويسر إليها. كما أن الدنيا جربت لغات المستعمر التي فرضها على الناس وحجر عليهم لغتهم الأم فظلت حبيسة الدواوين والأضابير، وما إن انفض حتى انفضت لغته من حول الشعوب التي جاس خلال ديارها حقبا متطاولة .

ويُنْفِرُ الامام ابن تيمية من استعمال لغة غير العربية عند معرفة العربية مؤكداً الحقيقة التاريخية في تحوّل الشعوب من عجميتها إلى لغة القرآن فيقول: (وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام، ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه ولأهل السوق، أوللأمراء، أولأهل الديوان أولأهل الفقه فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم) (٢) كما يوجب تعلم اللغة فيقول: (واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر على العقل والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين،

(١) تفسير التحرير والتنوير ص ١٨٧ ح ١٣ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٦ .

ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق ، وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب (١) .

وأعداء الاسلام قد أدركوا هذه الحقيقة - وهي أن لغتنا لا لغتهم - هي الصالحة للانتشار، فخيّلوا لنا أن الترجمة إلى لغاتهم هي حلم من أحلامهم وأمل يراود قلوبهم ، فصدقناهم ، وكان نتاج ذلك أن صددنا الدنيا عن خير عميم .

ولعل مطلعاً على ما نكتب يظن أن ما نقول إنما هو ضرب من الأحلام حيث نعتقد أن اللغة العربية يمكن أن تكون لغة الدنيا، وأنا أوافق؛ هو ضرب من الأحلام بل الأوهام طالما أننا ظللنا هكذا على هواننا وتنافرننا وتناحرنا، وكل ذلك كان باتخاذ هذا القرآن مهجورا .

ولكن يوم أن نهب كما هب أسلافنا بقرآنا عزةً وشموخاً سنعلم عند ذلك أن هذا هو الحق الذي ينبغي أن يكون، وأن التاريخ سيعيد نفسه .

ولا أظنني في حاجة إلى أن أذكر بأن أعداء الاسلام وقفوا سداً في وجه اللغة العربية أن تدخل المحافل الدولية التي نشارك في عضويتها ونساهم في ماليتها، ولم يلينوا إلا بعد أن علموا أنهم سيتضررون إذا ما تمادوا في هذا المنع ، فكانت اللغة العربية لغة يعترف بها الأعداء كواحدة من اللغات التي لم تكن تُعرف أيام مجدها وعنفوانها، ويومها هللنا وكبرنا باعتراف الطارف المهزوز بالتليد الراسخ .

(١) المرجع السابق ص ٦٠٧ .

ويسرنى أن أنقل رد شيخ الاسلام بالدولة العثمانية الشيخ مصطفى صبرى رحمه الله على الأستاذ محمد فريد وجدى رحمه الله الذى يبين له فيه أن القوة هى التى نشرت الانجيل لا الترجمة ، يقول رحمه الله : (أما مسألة التبشير ونشر المسيحية بالترجمة فالأستاذ يعلم جيدا أن المبشرين النصارى لا يجتنون ما جنوا ببركة تراجم الأناجيل ، بل بما استندوا إليه من القوة والثروة والتضحية ، وتلك القوة هى التى جذبت نظر الأستاذ إلى الأناجيل وتراجمها ونحن نرجو مثل تلك القوة والثروة والتضحية ، ونتمنى بكل قوتنا للشعوب الإسلامية وندعوهم إلى التوسل بجميع أسباب التقدم والتقوى فى الصناعات والتجارات والعلوم الكونية ومنافسة أمم الغرب فى هذه الأمور، ولا نقول لهم كالأستاذ فريد : صعبٌ علينا ومستعصٍ أن نعلم دنيانا مع العامرين فهلموا نهدم ديننا ونخرب بيوتنا بأيدينا) (١) .

ونخلص من ذلك لنؤكد أن الضعف هو الذى حدا بنا إلى التساهل فى أقدم وأكرم وأجمل ما عندنا وهو القرآن العظيم ، ويوم أن يغير الله ما بنا - بعد أن نغير ما بأنفسنا - سيدوى صوتنا عالياً : يا أمم الدنيا، إن الذى بين أيديكم من ترجماتٍ ليس هو القرآن ، لقد خدعتم بهذا وقد أمعنا فى إضلالكم بسكوتنا فهلموا إلى النмир فى منابعه إذا أردتم تغيير حياتكم الشقية بحياة هى السعادة والخير والطمأنينة ثم تعقبها حياة الأبد السعيد .

أما ونحن على حالنا الحاضر فلن نستطيع التفوه بها حتى لا نتهم بالخبال .

(١) مسألة ترجمة القرآن ص ٩١ .

الجماد والمتجدد :

أفاض المانعون لترجمة القرآن من ذكر وجوه كثيرة من أوجه الإعجاز البلاغى والعلمى والتشريعى ، وكلها وجوه حسنة يدعم بعضها بعضاً ويمده بأسباب القوة، ولعلى أوجز بعض ذلك وأضيف إليه ما يجعل صوتى مضموماً للمانعين عن دليل لا عن تقليد :

أولاً : القرآن هو الكتاب الوحيد المتجدد، متجدد عند قارئه لا يملئه ولا يخلق على كثرة الرد دع القارىء المَجُودَ يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله نازلاً بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلاً بالقرآن على هوى نفسه، ثم انبثذ منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغناتها، واتصالاتها وسكناتها، ثم ألقِ سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية، وقد جُردت تجريداً وأرسلت ساذجة في الهواء فستجد نفسك منها بأزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو جُرد هذا التجريد، وجُود هذا التجويد . .

ستجد اتساعاً واثلاًفاً يسترعى من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر على أنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأنغام الشعر، وستجد شيئاً آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشعر ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هى تتحد الأوزان فيها بيتاً بيتاً، وشطراً شطراً، وتسمع القطعة من الموسيقى فإذا هى تتشابه أهواؤها، وتذهب مذهباً متقارباً، فلا يلبث سمعك أن يمجها وطبعك أن يملها، إذا أعيدت وكررت عليك بتوقيع واحد، بينما أنت من القرآن أبداً فى لحن متنوع متجدد، تنتقل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل على أوضاع مختلفة يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك

بنصيب سواء فلا يعرف منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم بل لا تفتأ تطلب منه المزيد(١) .

وهو متجدد عند متدبره ففي كل قراءة تتجلى لهم براهين الخالق جل وعلا فتزيدهم إيمانا بل تتجلى لهم في الآية الواحدة عوالم من ملكوت الله فلا يريمون عنها الليل كله ومن أجل ذلك نزل ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) . وكفى بذلك سعادة لأولى البصائر .

ومتجدد في معانيه فما يهبل على الناس عصر حتى تتكشف لهم معاني القرآن أكثر مما تكشفت لأسلافهم وما ذلك إلا لأن الزمن هو خير مفسر للقرآن وأن ما يجد في دنيا الناس من علوم ومعارف في الكون والنفس إنما هو مبثوث في كتاب الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا - وتلك من معجزات القرآن الذي لا تنفسي عجائبه ولا تنفذ، فلنأخذ منها برفق ولا نتعجل في إخضاعه لكل ما يجد من المبتكرات والعلوم فإنه مذخور لنا ولغيرنا من أجيال البشرية ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ آتَاةُ الْحَقِّ ﴾ (٣) .

وليست كذلك الترجمة فهي جامدة هامة مخلخلة الجذوع تكاد تسقط على المستجير بها وذلك لأنها ليست قرآنا .

(١) النبا العظيم ص ١٠٢ .

(٢) سورة ص آية ٢٩ .

(٣) سورة فصلت آية ٥٣ .

ثانياً : القرآن نزل على سبعة أحرف ، يحمل وجوها من القراءات وكل قراءة تحمل حكماً في بعض أحرفها غير الذي يحمله الآخر ولكنها تتعارض ولا تتعارض وهذا مالا يتفق لكتاب غيره . والترجمة لا تفي بذلك إن قلنا بأنها تفي بشيء أصلاً .

ثالثاً : القرآن معجز ، ووجوه إعجازه لا تقف عند الحد الذي ذكره الأقدمون ، بل إن أهل العلم اليوم يكتشفون ما كان مخبوءاً مجهولاً عن الأسلاف ، فقد رأى بعض العلماء أن بنيان القرآن بهذه الصورة الهندسية العجيبة لا يمكن أن يصدر إلا من خالق القوي والقادر ومن ثم أصبح الإعجاز العددي يأخذ حيزاً من فكر المشتغلين بعلوم القرآن ، والغوص في أسراره ، فهذه التراكيب العجيبة بأعداد موزونة لا تفاوت فيها أمر يجعل الفكر في دهشة وانبهار ، فألفاظ القرآن مقصودة لذاتها كمعانيه^(١) ولا يسع المتدبر القانت إلا أن يقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ (٢) .

فهل نلمس في الترجمة ذلك ؟ اللهم لا .

رابعاً : القرآن العظيم متعبّد بتلاوته وتعليمه وتعلمه ومدارسته وبذلك بشر نبي الاسلام ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)^(٣) وقبل أن يظن ظان أن هذا التعليم والتعلم قد يكون بالترجمة نذكره ببشارة رسول الله ﷺ التي يقول : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه

(١) انظر الفتاوى الكبرى م ٤ ص ٢٦ و ٢١٧ وما بعدها .

(٢) سورة النساء آية ٨٢ .

(٣) صحيح البخارى .

وهو عليه شاق له أجران^(١) ومما هو معلوم أن العرب كانت أمة لا تقرأ، أناجيلهم في صدورهم وأن هذه البشارة للذين يتعشرون في قراءة العربية .

وها هو الزمخشري - وهو ليس من أمة العرب - يصرح بذلك عند تفسير قوله جل وعلا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٢) (فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم، وانتشر قامت التراجم بيانه وتفهيمة، كما ترى الحال وتشاهدها في نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم، مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة الأقطار المتنازحة والأمم المختلفة والأجيال المتفاوتة على كتاب واحد، واجتهادهم في تعلم لفظه ومعانيه، وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد، وما يتكاثر في إتعاب النفوس، وكذا القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية إلى جزيل الثواب، ولأنه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف)^(٣) .

وما حفز الشارع الناس جميعاً إلى تعلم القرآن في لغته التي نزل بها إلا ليكمل اتحادهم وتصدق عليهم كلمة (الأمة الواحدة) .

ما نظن أن الترجمة ستذكر هنا .

ثم ماذا؟

لم يبق إلا أن أضرم صوتي إلى الحاديين على إنقاذ المجتمع المسلم من ضياع أكثر وأكبر فأنادى نداءً صادقاً بما يلي :-

(١) صحيح مسلم .

(٢) سورة إبراهيم آية ٤ .

(٣) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

* عدم المساهمة بأى لون من ألوانها في طبع هذه التراجم، وإيقاف ما يُوزع منها .

* تنبيه الأمم المسلمة التي توجد بين يديها ترجمات إلى خطر ذلك، وإذا كنا قد رأينا أن اللغات الحية المنبثة في أرجاء الدنيا كالانجليزية وقفت عاجزة عن الوفاء بمعانى القرآن، بل شوهدت الصورة المشرقة كما رأينا أنفاً، فكيف بلغات محصورة في جزرها ومجتمعاتها لا يعرفها أحد سواهم حتى يبين لهم خطأ ما وقعوا فيه .

* إقناع أو إعلام من استطعنا من مفكرى الغرب الذين أسلموا بأن يبينوا لأهمهم فساد هذه التراجم .

* أن تعمل الجامعات والروابط والجامعات الإسلامية بمعونة دولها على ترجمة تعاليم الإسلام وآدابه وأحكامه بكل اللغات الممكنة مع إعلام الناس بأن القرآن لا يُقرأ إلا في لغته ولا يفهم إلا بتعلمها .

* نشر المعاهد ودور اللغة العربية في البلدان غير الناطقة بها أكثر مما عليه الحال الآن، واستقطاب أكبر عدد ممكن من طلاب تلك البلدان في الدراسات المنتظمة والفترات الدراسية، ويا حبذا لو فتحت الجامعات الإسلامية فروعاً هناك، كل جامعة على حسب إمكاناتها، لأن تأثير ذلك يتعدى الطلاب فيتغلغل في المجتمع .

هذا هو واجبنا، بل هو قدرنا الذى لا ينبغي أن نحيد عنه، فإذا ما تقاعسنا عنه فإن التاريخ سيقف شاهداً على هذا وإن شعوبا كثيرة ستصاب بخيبة الأمل فينا .

هذا ما وفق الله إلى كتابته في ظرف وجيز، ولعلّى أكون قد
دفعت به مع الدافعين إن لم أكن مع المقاتلين: والحمد لله أولاً
وآخرأ ظاهراً وباطناً .



رجعنا في هذا البحث إلى الكتب الآتية

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى	صحيح الامام البخارى
مسلم بن الحجاج القسرى	صحيح الإمام مسلم
محمود جار الله الزمخشري (ط دار المعرفة بيروت)	تفسير الكشاف
محمد بن على بن محمد الشوكانى (ط دار المعرفة بيروت)	تفسير فتح القدير
محمد الطاهر بن عاشور (ط الدار التونسية بتونس)	تفسير التحرير والتنوير
جلال الدين السيوطى (ط المشهد الحسينى ١٣٨٧ هـ بمصر)	الاتقان

تقى الدين أحمد بن تيمية (ط مكتبة المثنى
بغداد عن طبعة مطبعة كردستان العلمية
بمصر ١٣٢٩ هـ) .

تقى الدين أحمد بن تيمية (ط بمطبعة
الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٩ هـ) .

عبد الرحمن بن خلدون (ط مصورة ببلن
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) .

أبو إسحاق الشاطبي (إبراهيم بن
موسى) .

أحمد أمين (ط دار الكتاب العربي
اللبناني) .

د. محمد عبد الله دراز (ط دار القلم
١٣٩٠ هـ) .

محمد عبد العظيم الزرقاني (ط دار إحياء
الكتب العربية بالقاهرة) .

محمد أبوزهرة (ط .
محمد سليمان (ط مطبعة جريدة مصر الحرة
١٣٥٥ هـ) .

محمد مصطفى المراغي (ط الرغائب بمصر
١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م) .

مصطفى صبرى (ط المكتبة السلفية بمصر
١٣٥١ هـ) .

د. القصبي محمود زلط .
د. شعبان محمد إسماعيل .

الفتاوى الكبرى

اقتضاء الصراط المستقيم

مقدمة ابن خلدون

الموافقات

ضحى الإسلام

النبأ العظيم

مناهل العرفان

المعجزة الكبرى

حدث الأحداث في الاسلام

بحث في ترجمة القرآن الكريم

مسألة ترجمة القرآن

محاضرات في علوم القرآن

المدخل لدراسة القرآن والسنة

الأدلة العلمية على جواز ترجمة
معانى القرآن
محمد فريد وجدى (ط الرغائب بمصر
١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م).

* The Holly Quran Text Tnslation and commentary .

ترجمة معانى القرآن
عبد الله يوسف على .

* The Glonious Qur'an Text and Escplamatory Tnslatio .

ترجمة معانى القرآن مارمادوك بكتول Marmadake Pickthol

* Advanced Learner's Dictionary of Coment English - Odcpnd .

المورد قاموس انجليزى عربى منير البعلبكي .

تعقيب

يتبين من هذا البحث أن كاتبه يرى ما يأتي :
أولاً : عدم إمكان ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى ، وأن أى ترجمة لن تستطيع نقل معانى القرآن كما هى فى لغة القرآن ، بل ستكون نسخة مشوهة لا تعبر عن مدلولات القرآن الكريم .

ثانياً : إن ترجمة القرآن الكريم مطلب غير شرعى ، بل يصادم مطلباً شرعياً هو : تعلم اللغة العربية ، إذ كل مسلم مندوب إلى تعلم هذه اللغة ليعرف بها معانى القرآن الكريم وما يجب عليه من أحكام الإسلام .

ويدعو الكاتب بناءً على ذلك إلى صرف الجهود إلى مجالين :

أولهما : نشر اللغة العربية بين غير الناطقين بها من الأمم المسلمة خصوصاً ومن غيرهم عموماً .

والآخر : الاقتصار فى الترجمة على ما يُحتاج إلى ترجمته من مبادئ الإسلام وفقهه وآدابه ومحاسنه وفضائله .

ونحن نضم صوتنا إلى صوته فى هذين المطلبين الأخيرين ، ونهيب بالمؤسسات والهيئات الإسلامية والجامعات وكل من يُعنى بنشر الإسلام أن يكرسوا الجهود فيها .

أما قضية ترجمة القرآن الكريم فإنها تحمل فى طياتها أهمية قصوى وخطورة كبيرة ، لشدة مساسها بكتاب الله ، ولأنها ستكون النافذة التى يطلع منها غير العرب على القرآن وهذه القضية أدق

وأكبر من أن تُحسم في بحث أوفى مجلة ، لكننا ندعو كل معنيّ بذلك إلى دراسته بتأنٍ ورويةٍ ، ونقدم بين يدي ذلك من فقه المسألة ما يأتي :

١ — لم يقل أحد من علماء الإسلام فيما نعلم بتحريم شرح الإسلام لغير العرب بلغاتهم أو تفسير القرآن لهم أيضاً بلغاتهم ، ومن الواضح أن ذلك كخطوة أولى ضروري جداً إذ ليس كل مسلم يتيسر له تعلم اللغة العربية ، ولأجل هذا فرّع الفقهاء في كتبهم مسألة إلقاء خطبة الجمعة بغير العربية ، واختلفوا في جواز ذلك .

٢ — لكن ينبغي التنبه إلى أن ذلك في مقام البيان والشرح الشفوي شيء ، وفي مقام الترجمة المكتوبة المؤلفة شيء آخر ، فإن هذه من القوة والفاعلية وأسباب البقاء ما ليس لتلك . ولعل من الأمور التي تحمل دلالات بليغة أننا لم نعرف ترجمة القرآن الكريم أو حتى تفسيره بالأعجمية إلا في القرون المتأخرة ، إذ لم يكن المتقدمون حريصين على ذلك ، كيف وهم يقررون أن من أهم الشروط لتفسير القرآن معرفة اللغة العربية .

٣ — بدراسة كثير من الترجمات المتداولة اليوم باللغة الانجليزية أو الفرنسية يتبين أنها حافلة بالأخطاء لا في الترجمة فحسب بل في أصل تفسير الآيات وفهم معانيها ومدلولاتها ، وأظن أننا لو تتبعنا الترجمات باللغات الأخرى كالفارسية والأردية واليابانية والسواحلية . . وغيرها ، فلن نجد لها أحسن حالاً من تلك ، وهذا ينبهنا إلى خطورة التهاون أو العجلة في هذا الأمر ، وترك الحبل فيه على غاربه ، فإذا غلبنا التساهل وأقعدتنا الغفلة فذهب كل من أحب يترجم القرآن الكريم كما يفهم أو يريد ، ثم

عُملت هذه الترجمات ، فإننا سنفتح أعيننا على واقع خطير هو تكاثر الترجمات المتضاربة للقرآن الكريم ، فيشبه الحال حينئذ وخاصة في نظر الأمم الأخرى حال الأناجيل التي اعترأها التحريف والتبديل .

٤ — ترجمة معانى القرآن الكريم من حيث المبدأ تعنى : محاولة نقل معانى القرآن إلى اللغة الأعجمية كما هى فى القرآن ، والقرآن الكريم بألفاظه وأساليبه وتراكيبه ومعانيه وسباقه وسياقه وأجواء كل ذلك من النواحي النفسية والتأثيرية وغيرهما ، هو فى كل ذلك عربى ، فهل يتسنى نقل ذلك كله إلى الأعجمية؟ أو تنقل معانيه مجردة من كل ذلك؟ وهل يمكن تجريدها ونقلها منتوفة الريش محرومة من زينتها؟ .

٥ — لكن : ونحن نعيش اليوم عصراً فترت فيه الهمم ، وعمت فيه البلوى بإهمال اللغة العربية ، فأصبحت غريبة حتى بين أهلها ، هل نقف مكتوفى الأيدي لا نفعل شيئاً لإخواننا المسلمين من غير العرب؟ .

هل تظل صلة هؤلاء بالقرآن منقطعةً حتى ترتفع الهمم مرة أخرى ويقوى الإيمان فيتعلم المسلمون اللغة العربية ليفهموا القرآن؟ .

والأمم الأخرى ألا يجب إيصال الإسلام إليهم ، ودعوتهم إليه؟ والإسلام إنما يُعرف من مصدرية (الكتاب والسنة) . من هنا نشأت ضرورة الترجمة عموماً ، وترجمة تفسير القرآن خصوصاً .

٦ — فإذا تبين أن نقل معانى القرآن الكريم إلى اللغة الأعجمية كما هى فى لغة القرآن غير ممكن ، وتبينت ضرورة تفسير

القرآن الكريم للأعاجم بلغاتهم في هذا العصر، فإن الذي نتوصل إليه من هذا وذاك أن المطلوب اليوم هو ترجمة تفسير القرآن الكريم، وأن يكون الأسلوب المتبع في ذلك هو الشرح التقريبي لمعاني الآيات، فتكون الترجمة حينئذ من قبيل التفسير الذي يقرب المعانى إلى الأذهان، وليس نقلاً للمعاني على وجه التحديد كما هي في القرآن .

أما الأسلوب المتبع في الترجمات الحالية فهو الترجمة الحرفية، بمعنى أن المترجم يحرص على نقل المعنى كما هو في النص القرآني العربي دون بسط أو زيادة شرح حتى إن بعض المترجمين يحرص على أن يضع مقابل كل كلمة عربية كلمة أعجمية، لذلك خرجت ترجماتهم حافلة بالأخطاء الفاحشة المنكرة، ركيكة في أسلوبها مضطربة في معانيها .

ومثال ذلك : قوله تعالى ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ ... ﴾ هذا النص القرآني العربي إذا حاول المترجم أن ينقله كما هو إلى اللغة الأعجمية فإنه يأتي بمعنى عجيب مستنكر لا صلة له بمراد الآية، كما وقع من بعضهم ممن ذكرهم الباحث، لكن الواجب على المترجم أن يقرب معنى الآية للمخاطب الأعجمي، ويشرح له المراد من تشبيهه كل من الزوجين باللباس للآخر، ولو أدى ذلك إلى إطالة الكلام وبسطه .

٧ — المصطلحات الشرعية، مثل (الله، النبي، الرسول، الملائكة، الدين، الإسلام، الإيمان، الإحسان، الآخرة، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، القرآن، المسلمين، المؤمنين) إلى غير ذلك، لا ينبغي ترجمتها، لأن هذه الكلمات ليست مجرد

حقائق لغوية حتى تتسنى ترجمتها، بل انتقلت إلى مدلولات جديدة فأصبحت حقائق عرفية، أو مصطلحات شرعية تحمل معان خاصة، ولا توجد في أى لغة أخرى ألفاظ يمكن أن تعبر عن هذه المعانى والمدلولات الخاصة (الشرعية)، مع أن العادة أن المصطلحات لا تُترجم، وإنما تُكتب كما هي في لغاتها وتُشرح .

أما الذى نجده في الترجمات المتداولة الآن (وخاصة باللغات الأوربية) فأمر عجب : مثلاً - كما ذكر الباحث - (الصلاة) : في اللغة الانجليزية وأهلها نصارى وجدوهم يطلقون على الصلاة : (Prayer) ، فهل تصلح هذه اللفظة لتعبر عن الصلاة في الإسلام ؟ لا تصلح بغير شك ، فالإنجليز لا يظن أنه إذا سمع لفظة (Prayer) تحضر في ذهنه صلاتنا التي هي أفعال وأقوال مخصوصة مفتوحة بالتكبير مختمة بالتسليم وفيها قيام وركوع وسجود وجلوس وتلاوة للقرآن وتسبيح وتعظيم لله ودعاء وابتهاج ، إنما الذى يحضر في ذهنه صلاته هو في الكنيسة بهيئتها المعروفة لدى النصارى ، لأن اللفظة إنما وضعت لذلك عندهم .

ولو ساغ لنا أن نضع لفظة (Prayer) مكان الصلاة الإسلامية ، إذن لوضعنا مقابل إمام الصلاة لفظة (Preacher) وهى تعنى عندهم الكاهن الذى يتولى الصلاة في الكنيسة .

(الغيب) : هنا تنكشف معائب الترجمة الحرفية ، إذا ذهب المترجم يبحث عن لفظة إنجليزية مثلاً تعادل هذا المصطلح فإنه سيصنع ما يأتى :

بعض المترجمين قد يستخدم كلمة (Unseen) للتعبير عن ذلك ، وهذه تعنى : غير مرئى . يترتب على ذلك إذا ترجم به

الغيب الوارد في مثل قوله تعالى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ أن يكون المعنى : يؤمنون بكل ما هو غير مرئي لهم ، أى حتى بالفيتامينات ، والكهرباء والمغناطيس ، والأكسجين ، والهيدروجين ، ونحو ذلك ، بل يؤمنون بالصين وأمريكا وروسيا واليابان لمن لم يرهذه الديار . فإذا أحب أن يسلم من هذا كله ، وأراد أن يتعمق في ترجمة مصطلح (الغيب) فقال : إن الطبيعة عندهم تسمى (Physi --) ، وما وراء ذلك يسمى (Metaphysics) فاختر أن يضع هذه اللفظة مقابل (الغيب) فإنه يكون قد ارتكب خطأ فادحاً ودخل بهذا المصطلح الإسلامى فى متاهات فلسفية مظلمة تمتد من (أرسطو) إلى (كانت) .

(الرسول) : كثير من المترجمين إلى اللغة الإنجليزية يستخدم مقابل هذه الكلمة الشرعية لفظة (Apostie) وهذه تعنى عندهم : الرسول أو الحوارى أو أى مصلح أخلاقى ، وإذا أطلقت على الرسول عندهم فإنها حينئذ تستظل بظلال قانون الإيمان النصرانى المنسوب إلى الرسل الاثنى عشر فى اعتقادهم (Apostles' creed) ، فأنى للفظة (Apostle) وهى تحمل فى طياتها كل هذه المدلولات النصرانية أن تُطلق على خاتم الرسل محمد ﷺ .

من هذه الأمثلة ، وغيرها كثير ، نريد أن نقول : إن المصطلحات الشرعية الإسلامية لا تُترجم إلى أى لغة ، ولكن تُنقل كما هى ، وتُشرح وتُفسر للناس بلغاتهم ، ولعل فى نطقهم لها كما هى فى لغة القرآن خيراً لهم .

هذا وإن كلية القرآن الكريم وهى تقدم فى هذا العدد من مجلتها بحث الدكتور عبد العزيز محمد عثمان ، وتقدم هذا التعقيب

بين يدى قضية تزجمة معانى القرآن الكريم تأمل من الجهات المعنية بهذا الموضوع أن تعيد النظر فيه، وتنسق فيما بينها حتى تتضافر الجهود، ويكمل بعضها بعضا .

كما أن المجلة ترحب بأى بحث أو تعقيب يردها فى ذلك .

المجلة

حَوْلَ بَعْضِ الْقَرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

للشيخ محمود سيويه البدوي
المحاضر بقسم القراءات بالكلية

الحمد لله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، المنزل
عليه أشرف كتاب سماوى بلسان عربى مبين ، وعلى آله وصحبه
الذين عملوا بما فيه ، وساروا على هداه ، وتلوه حق التلاوة فكانوا
من الفائزين . وبعد :

فإن علم القراءات أجل العلوم قدرا ، وأرفعها منزلة لتعلقه
بكلام رب العالمين ومن ثم رأيت أن أنال شرف الكتابة فى هذا
المجال فاخترت بحثا (حول بعض القراءات القرآنية) وقد تناولت
فيه عدة مسائل دقيقة مهمة من ناحيتى القراءة واللغة .

وألقى الضوء على بعض القراءات القرآنية ، مفصلاً
القول فيها ، وموضحاً وجهها فى العربية ، والرد على من طعن
فيها .

والله أسأل أن يلهمنى الصواب ، ويجنبنى الزلل وما توفيقى
إلا بالله ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

خطة البحث :

(أ) المقدمة .

(ب) المقصد ويشتمل على ما يأتي :

١ - هاء السكت : تعريفها، أقسامها، اتفاق القراء العشرة واختلافهم في كل قسم، وجه كل قراءة في العربية، مقارنة بين مواضع هاء السكت في القرآن الكريم وبين مواضع اطرادها في اللغة .

٢ - ياءات الاضافة : تعريفها، أقسامها اجمالاً، وجه كل من الفتح والإسكان تفصيل القول في ياءى محياى، وبمصرخى من ناحيتى القراءة واللغة مع الرد على بعض النحاة الذين وقفوا من قراءة حمزة بكسرياء بمصرخى موقف المعارضة .

٣ - الياءات الزوائد : تعريفها، الفرق بينها وبين ياءات الاضافة، أصول القراء فيها إجمالاً مع التوجيه، تفصيل القول في خمس ياءات وردت في خمسة أفعال : منها فعلان أثبتت فيها الياء مع وجود الجازم، وثلاثة حذفت منها الياء مع عدم وجوده .

٤ - المنادى المضاف إلى ياء المتكلم : أقسامه، اتفاق القراء واختلافهم فيما ورد منه في القرآن الكريم، اللغات الجائزة فيه، ماورد منها في القرآن .

٥ - المنادى المضاف إلى مضاف إلى ياء المتكلم، ما ورد منه في القرآن، القراءات الواردة فيه، بيان وجهها في العربية .

٦ - القراءات الواردة في قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ في سورة الخمس، وجهها في العربية .

٧ - الفصل بين المتضايين بالمفعول به في قراءة ابن عامر في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ في سورة الأنعام ، وجهها في العربية ، الرد على من طعن فيها .

٨ - قوله تعالى ﴿ قَالُوا إِنَّا هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ بظه وما فيه من قراءات ، وجهها في العربية .

٩ - قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالأنبياء وما ورد فيه من قراءات ، وجهها في العربية .

١٠ - قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرَ السَّيِّئِينَ ﴾ بفاطر والقراءات الواردة فيه ، مع التوجيه .

(ج) خاتمة البحث .

١ - هاء السكت

هاء السكت هي الهاء الساكنة التي يُؤْتَى بها ، للتوصل إلى بقاء الحركة في الوقف كما اجْتَلَبَتْ همزة الوصل ، للتوصل إلى بقاء السكون في الابتداء وُسِّمَتْ هاء السكت ، لأنه يُسَكَّتْ عليها دون آخر الكلمة (١) .

وهي قسمان : قسم ثابت في المصاحف ، وقسم محذوف منها .

أما القسم الأول : فقد جاء في سبع كلمات في تسعة مواضع ، وهاك بيانها :

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٤٠/٤ .

- (يتسنه) في قوله تعالى : ﴿ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٗ ﴾ البقرة - ٢٥٩ .
- (اقتده) في قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدْمِهِمْ أَقْنَدَهُ ﴾ الأنعام - ٩٠ .
- (كتابه) معافى قوله : ﴿ هَاؤُمُّرُاقِرُّوْا كِتَابِيَهٗ ﴾ وقوله : ﴿ فَيَقُولُ يَلِيَّتَنِي لَمْ أُوتْ كِتَابِيَهٗ ﴾ .
- (حسابيه) معافى قوله : ﴿ أَنِي مُلْتَقٍ حِسَابِيَهٗ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ ﴾ .
- (ماليه) في قوله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ ﴾ .
- (سلطانيه) في قوله : ﴿ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ ﴾ (١) .
- (ماهيه) في قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ القارعة - ١٠ .

مذاهب القراء في هذا القسم

اتفق القراء العشرة على إثبات هاء السكمت وقفافى جميع المواضع المتقدمة لثبوتها فى الرسم ، واختلفوا فى إثباتها وحذفها وصلا :

فحذفها من الكلمتين الأوليين (يتسنه ، اقتده) حمزة والكسائى ويعقوب وخلف العاشر .

وحذفها حمزة ويعقوب من الكلمات الثلاث الآتية (ماليه - سلطانيه - ماهيه) واختص يعقوب بحذفها من (كتابه ، حسابيه) فى موضعيهما .

(١) ستة المواضع بالحاقة : الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ .

وأثبتها الباقون، إلا أن ابن عامر كسرها في لفظ (اقتده) مقصورة من رواية هشام، ومشبعة أو مقصورة من رواية ابن ذكوان .

توجيه ما ذكر من قراءات

في توجيه كل من الحذف والإثبات في كل ما تقدم، وتوجيه الكسر لابن عامر في اقتده نقول مستعينين بالله :

(لم يتسنه)

حجة من حذف هاء السكت وصلا أنها إنما جىء بها وقفا لبيان حركة الموقوف عليه، فلا وجه لإثباتها في الوصل، لأن الحرف متحرك فيه :

فالفعل (يتسن) عند من حذف مضارع معتل الآخر بالألف المحذوفة لدخول الجازم عليه وهو (لم) .

واختلف في أصل هذا الفعل علي وجهين :

أحدهما : أن يكون أصله (يتسنن) على وزن يتفعل من قوله : ﴿ مِنْ حَمًا مَسْنُونٍ ﴾ الحجر - ٢٨ أى متغير، فلما اجتمعت ثلاث نونات قلبت الأخيرة ياء : كما قلبت في (تظنيت)، ثم أبدلت الياء ألفا، لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت الألف للجزم ثم أدخلت هاء السكت لبيان حركة النون في الوقف .

ثانيهما : أن يكون أصل ألفه واواً من قولهم : أسنى يسنى إذا مضت عليه السنون، وأصل سنة سنة سنوة، لقولهم سنوات .

وحجة من أثبتها أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، فالهاء للسكت أيضا، ويحتمل أن تكون الهاء أصلا، ويكون الفعل

مشتقا من السنه وأصلها: سنه، لقولهم: سنه^(١)، وعاملته مسانهة فيتسنه على هذا مضارع صحيح الآخر على وزن يتفعل أيضا، وسكنت هاؤه للجزم، وثبتت وصلاً ووقفاً، لوقوعها لأمّاً للفعل^(٢).

(اقتده)

الهاء فيه للسكت عند مَنْ حذفها، وتقدم وجه الحذف، وهى للسكت أيضاً عند مَنْ أثبتها ساكنة، وسبق وجه إثباتها كذلك، وأجاز ابن الأنباري أن تكون الهاء كناية عن المصدر (أى المصدر المفهوم من الفعل) وهو الاقتداء.

قال صاحب الكشف^(٣): وأجاز ابن الأنباري أن تكون الهاء كناية عن المصدر فيصح إثباتها في الوصل، وتسكن كما أسكنت في (يؤدة) آل عمران - ٧٥، (ونُصِّلَة) النساء - ١١٥ على قراءة من أسكنها^(٤).

بقي أن نُوجِّه كسر الهاء لابن عامر، ووجهه أن الهاء ضمير يعود على المصدر المفهوم من الفعل على سبيل التأكيد.

قال مكى: كأنهما - يعنى هشاماً وابن ذكوان روابى ابن عامر - جعلاً الهاء لغير السكت جعلاً كناية عن المصدر، والفعل يدل على مصدره كأنه في التقدير اقتد الاقتداء، ففيه معنى

(١) يقال: نخلة سنه، أى تحمل سنة ولا تحمل أخرى.

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبرى ٢٠٩/١ بتصرف.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب ٤٣٩/١.

(٤) اسكنها أبو عمرو وشعبة وحمزة وهشام وأبو جعفر بخلف عنها: وإسكانها لغة.

التأكيد: كأنه قال فبهلثم (اقتداقتد)، ثم جعل المصدر عوضا من الفعل الثاني لتكرار اللفظ فاتصل بالفعل الأول فأضمر فجاز كسر الهاء وصلتها بياء على ما يجوز في هاء الكناية (١).

إذا عرفت ذلك فلا التفات إلى تغليب ابن مجاهد هذه القراءة (أعنى قراءة الكسر) فقد ظنها هاء السكت.

يقول صاحب البحر: وتغليب ابن مجاهد قراءة الكسر غلط

منه (٢).

وأما الكلمات الخمس الباقية فالهاء فيها للسكت، وقد علمنا وجه كل من حذفها وإثباتها.

أقول: ينبغي أن يُعلم أن الهاء في هذه الكلمات الخمس يتعين أن تكون للسكت عند كل من الحاذقين والمثبتين.

ويتعين أيضا أن تكون للسكت في (يَتَسَنَّهُ) عند من حذفها ويجوز أن تكون كذلك عند من أثبتها، وأن تكون أصلية واقعة موقع لام الفعل كما تقدم.

وأما لفظ (أَقْتَدَهُ) فيتحتم أن تكون هاؤه للسكت عند من حذف ويترجح أن تكون كذلك عند من أثبتها ساكنة، وقيل هي ضمير يعود على المصدر المفهوم من الفعل كما سبق.

والصحيح عند من أثبتها مكسورة أن تكون ضميرا (٣).

وأما القسم الثاني: فقد جاء في خمسة أصول مطردة،

وكلمات مخصوصة.

(١) الكشف ٤٣٩/١.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ١٧٦/٤.

(٣) هناك من قال: إنها للسكت وكسرت تشبيها لها بهاء الضمير، ولم نعول عليه لضعفه،

فالأصل في هاء السكت البناء على السكون.

- أما الأصول الخمسة فيبانها كالاتى :
- الأصل الأول : (ما) الاستفهامية المحذوفة الألف لدخول حرف الجر عليها، وهى فى كلمات خمس :
- ١ - (لم) نحو: ﴿ لَمْ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ التوبة - ٤٣ ﴿ لَمْ تَقُولُونَ مَالًا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف - ٣ .
- ٢ - (فيم) نحو: ﴿ فِيمَ كُتِّمْتُمْ ﴾ النساء - ٩٧ ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذَكَرْنَاهَا ﴾ النازعات - ٤٣ .
- ٣ - (بم) نحو: ﴿ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ الحجر - ٥٤ ﴿ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ النمل - ٣٥ .
- ٤ - (عم) فى ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ النبأ - ١ .
- ٥ - (مم) فى ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ الطارق - ٥ .

الأصل الثانى : النون المشددة من ضمير جمع الإناث الغائبات نحو :

- ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ المائدة - ١٢٠
- ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ الطلاق - ١ .

الأصل الثالث : ياء المتكلم المدغم فيها ما قبلها نحو:

﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ ﴾ النمل - ٣١ ﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ ﴾ ق - ٢٩

الأصل الرابع : النون فى جمع المذكر السالم والملحق به نحو:

﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة - ٢ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَابِلُونَ ﴾ المطفين - ١٩ .

الأصل الخامس : هو وهى حيث وقع نحو ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ المدثر - ٣١ ﴿ فَنِعْمًا هِيَ ﴾ البقرة - ٢٧١ .

وأما الكلمات المخصوصة فهي أربع :

- ١ - (ياويلتى) في مواضعها الثلاثة : ﴿ يَوَيْلَتِي ﴾ هود - ٧٢
﴿ أَعْجَبْتُ ﴾ المائدة ٣١ ﴿ يَوَيْلَتِيءَاكِدُ ﴾ هود - ٧٢
﴿ يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَاخْلِيلًا ﴾ الفرقان - ٢٨
- ٢ - (يَا سَفَى) في قوله ﴿ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يُونُسَ ﴾ يوسف - ٨٤ .
- ٣ - (يَحْسَرَتِي) في قوله : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرَتِي أَعْلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ الزمر - ٥٦ .
- ٤ - (ثم) بفتح الثاء وهي الظرفية نحو : ﴿ فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ البقرة - ١١٥ .

مذاهب القراء في هذا القسم

اتفق القراء على حذف هاء السكت وصللاً في كل ما ورد في هذا القسم واختلفوا في حذفها وإثباتها وقفاً .
فقرأ يعقوب بخلاف عنه بزيادة هاء السكت وقفاً في الأصول السابقة ما عدا الأصل الخامس فقد زادها فيه بلا خلاف .
ووافقه البزى بخلاف عنه في الأصل الأول .

ووقف رويس بخلاف عنه بهاء السكت على الكلمات الأربع المخصوصة ويلزم من زيادة هاء السكت في نحو ياويلتى إشباع المد في الألف قبلها لاجتماع الساكنين (الألف والهاء) وقرأ الباقر بحذفها وقفاً .

التوجيه

وجه الحذف أن الأصل أن يوقف على آخر الكلمة من غير زيادة شيء عليه، ووجه إثباتها أن الأصل في هاء السكت أن يُؤتى بها وقفاً، لبيان حركة الموقوف عليه، ولتكون بالإضافة إلى ذلك عوضاً عن الألف المحذوفة في ما الاستفهامية المجرورة بحرف الجر نحو: لم .

ووجه زيادتها بعد الألف في (يلويلتي) وأختيها أن الألف للندبة والغالب زيادة هاء السكت بعدها وقفاً، والقول بأنها للندبة مناسب لقراءة رويس حيث إن الهاء تُزاد بعدها وقفاً .
والأكثرون على أن الألف منقلبة عن ياء المتكلم، وسيأتي لذلك مزيد تفصيل (إن شاء الله) عند الكلام على المنادى المضاف إلى ياء المتكلم .

فهذه يا أخي القارئ مواضع هاء السكت في القرآن الكريم، ذكرتها له مفصلةً، ويذكر الصبان في باب الوقف مواضع اضطراد هاء السكت في اللغة فيقول :

ومواضع اطرادها ثلاثة: الفعل المعتل المحذوف الآخر وما الاستفهامية (يعنى المحذوفة الألف بسبب الجر)^(١)، والمبنى على حركة بناء لازم^(٢) .

(١) سواء أكان الجر بالحرف نحو: له أم بإضافة اسم إليها نحو: اقتضاءمه .

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٤٠/٤ .

أضف إلى ذلك ما ذكره النحاة من جواز زيادة هاء السكت
وقفا بعد ألف الندبة: وهو الذي أشار إليه ابن مالك بقوله:
وواقفاً زد هاء سكتٍ إن تُرد وإن تشأ فالمُد، والها لا تُرد^(١)
هذا وقد تتبعت هاء السكت بقسميها في القرآن الكريم،
فوجدت أنها قد لحقت ما يأتي:

(أ) فعلين فقط من الأفعال المعتلة المحذوفة الآخر:
أحدهما: مضارع وهو: (يَتَسَنَّهُ) وقد حذفت ألفه للجزم.
وثانيهما: أمر وهو (أَقْتِدْهُ) وقد حذفت ياءه للبناء.
(ب) ما الاستفهامية المحذوفة الألف بسبب الجرب بالحرف لا
بالإضافة^(٢) وذلك في خمس كلمات تقدمت.
(ج) المبني على حركة بناء لازم، وذلك في بقية المواضع^(٣)
ماعدا الكلمات الثلاث الآتية..

(د) ألف الندبة في يوليتي، ويأسفي، ويلحسرتي.
٢ - ياءات الإضافة:

ياء الإضافة في اصطلاح علماء القراءات هي الياء الدالة
على المتكلم وتتصل بالاسم والفعل والحرف، فتكون مع الاسم
مجرورة المحل نحو:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ هود - ٨٨، ومع الفعل منصوبة

المحل نحو:

(١) ألفية ابن مالك (باب الندبة).
(٢) ما الاستفهامية المحذوفة الألف بسبب الجرب إضافة اسم إليها لم ترد في القرآن الكريم.
(٣) قد يقال: إن جمع المذكر السالم والملاحق به معربان فكيف تلحقها ها السكت؟ والجواب
أن اعرابها بالحروف، وليست حركة النون حركة اعراب بل بناء.

﴿ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ النمل - ١٩ ، الأحقاف -
 ١٥ ، ومع الحرف منصوبة المحل نحو ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ طه - ١٤ ،
 ومجروته نحو: ﴿ وَلِي دِين ﴾ الكافرون - ٦ .
 ففي إطلاق هذه التسمية عليها تجوز، حيث اتصلت
 بالفعل والحرف كما رأيت .

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :
 قسم اتفق القراء على إسكانه نحو: ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ
 مِنِّي ﴾ إبراهيم - ٣٦ .

وقسم اتفقوا على فتحه وذلك نحو: ﴿ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ ﴾
 التحريم - ٣٣ هذا ، ومما أجمعوا على فتحه ياءات الإضافة الواقعة
 بعد ساكنٍ سواء أكان هذا الساكن ألفاً نحو: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هَدَايَ
 فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ طه - ١٢٣ أم ياء نحو: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي
 وَلِوَالِدَيَّ ﴾ إبراهيم - ٤١ .

وقسم اختلفوا فيه بين الإسكان والفتح ، وذلك في اثنتي
 عشرة ومائتي ياء وهي ستة أنواع :

١ - ما بعده همزة قطع مفتوحة نحو: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ
 لَكُمْ ﴾ غافر - ٦٠ .

٢ - ما بعده همزة قطع مكسورة نحو: ﴿ وَأَفْوُضْ أَمْرِي
 إِلَى اللَّهِ ﴾ غافر - ٤٤ .

٣ - ما بعده همزة قطع مضمومة نحو: ﴿ إِنِّي أَشْهَدُ
 اللَّهَ ﴾ هود - ٥٤ .

٤ - ما بعده همزة وصل مجردة من لام التعريف نحو:
 ﴿ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ الأعراف - ١٤٤ .

٥ - ما بعده همزة وصل مصاحبة للام التعريف نحو:
﴿ حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ الأعراف - ٣٣ .

٦ - ما ليس بعده همز أصلاً نحو: ﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي
لِلَّهِ ﴾ آل عمران - ٢٠ .

وتفصيل خلاف القراءة في هذه الياءات المذكور في كتب
القراءات، فارجع إليه إن شئت . وفي توجيه كل من الفتح
والإسكان نقول :

إن إسكان هذه الياء وفتحها لغتان فاشيتان :
والإسكان أصل أول، لأنها مبنية، والأصل في البناء
السكون والفتح أصل ثان، لأنها اسم على حرف، فقوى
بالحركة، وكانت فتحة للتخفيف .

ويعيننا في هذا المقام أن نتعرض لياءين بالتفصيل :
إحداهما ياء (محيى) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي
وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ﴾ الأنعام - ١٦٢ .

ثانيتهما ياء (بمصرخي) ^(١) في قوله: ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ
وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾
إبراهيم - ٢٢ .

فقد ذكرنا آنفاً أن مما أجمعوا على فتحه الياءات المسبوقة
بساكن سواء أكان ذلك الساكن ألفاً نحو: (هداى) أم ياء نحو:
(ولوالدي) .

(١) رأيت أن أذكر هذا اللفظ هنا لا في سورتته، لكون يائه ياء إضافة .

بيد أن هناك قراءة بإسكان الياء في (محيى) وقراءة بكسرها في (بمصرخى) فلمن هاتان القراءتان؟ وما وجه كل منهما؟ لتوضيح ذلك نقول:

محيى: ورد إسكان الياء في هذا اللفظ لأبي جعفر ونافع بخُلف عن ورش، ولا بد حينئذ من مد الألف مداً مُشبعاً وصللاً ووقفاً، لأجل الساكنين .

ووجه الإسكان أنه على إجراء الوصل مجرى الوقف . يقول العلامة الخضرى موجهها قراءة الإسكان: وإن كان قد قصرها على ورش .

وأما تسكين محيى لورش فمن إجراء الوصل مجرى الوقف (١) .

(بمصرخى): قرأ حمزة بكسر الياء في هذا اللفظ، وهى قراءة متواترة صحيحة، وهى لغة مطردة عند قبيلة بنى يربوع، وقد نص على ذلك قطرب، وأجازها هو والقراء وإمام النحو واللغة والقراءة أبو عمرو بن العلاء ومع كل ذلك لاقت هذه القراءة معارضة من بعض النحاة:

فوصفها بعضهم بالضعف كالزخشرى حيث يقول: (وهى ضعيفة) وجعلها أبو عبيد غلطاً فقال: نراهم غلطوا ظنوا أن الياء تُكسر لما بعدها. وأنكرها الأخفش في قوله: ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين. (٢) وما علم أن غيره سمع

(١) حاشية الخضرى على ابن عقيل ٢١/٢ .

(٢) انظر فى كل ذلك البحر ٤١٩/٥ .

وحفظ (ومن حفظ حجة على من لم يحفظ) كما يقول المرادى^(١) معقباً على هؤلاء المنكرين، إلى غير ذلك من الصفات التي ألصقوها بهذه القراءة المحكمة .

ويعقب ابن الجزرى على هؤلاء وغيرهم فيقول: ولا عبرة بقول الزمخشري وغيره ممن ضعفها أو لحنها، فإنها قراءة صحيحة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة، وقرأ بها يحيى بن وثاب، وسليمان بن مهران الأعمش وحران بن أعين، وجماعة من التابعين، وقياسها في النحو صحيح^(٢) ويقول أبو حيان: ما ذهب إليه من ذكرنا من النحاة لا ينبغي أن يلتفت إليه . . فلا يجوز أن يقال إنها خطأ أو قبيحة أو رديئة، وقد نقل جماعة من أهل اللغة أنها لغة^(٣) .

ووجه هذه القراءة أن الأصل (بمصرخين) جمع مصرخ أضيف إلى ياء المتكلم فحذفت نونه للإضافة، فالتقى ساكنان ياء الاعراب وياء الإضافة وأصلها السكون، فكسرت للتخلص من الساكنين .

وبعد أن ذكر الأشمونى أن فى ياء المتكلم المدغم فيها ما قبلها وجهين: الفتح وهو الفصيح الشائع، والكسر وهو لغة قليلة، يأتى الصبان معلقاً، وموجهاً كسر الياء فيقول: الكسر لالتقاء الساكنين، وسوغ الكسر مع ثقله على الياء أن الياء إذا سكن ما قبلها كانت بمنزلة الحرف الصحيح: كدلو وظبى^(٤) .

(١) حاشية الشيخ يس على شرح التصريح ٦٠/٢ والدفاع عن القرآن للدكتور أحمد مكى الأنصارى .

(٢) النشر فى القراءات العشر ٢٩٨/٢ .

(٣) البحر ٤٢٠/٥ .

(٤) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ١٨٥/٢ .

وقال بعضهم في توجيهها: إن أصل هذه الياء الفتح، وكسرت إتباعاً لكسرة همزة إني على لغة تميم وبعض غطفان، فهم يتبعون الأول للثاني: كقراءة الحسن: ﴿ الحمد لله ﴾ بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام بعدها(١).

فقد علمت يا أخى وجه هذه القراءة في العربية، وحسبنا أنها قراءة متواترة، وقارئها حمزة بن حبيب الزيات الذى كان يقول: ما قرأت حرفاً من كتاب الله إلا بأثر(٢). ويقول عنه صاحب الميزان: وقد انعقد الإجماع على تلقى قراءة حمزة بالقبول، والإنكار على من تكلم فيها(٣).

فإذا ثبتت القراءة وجب قبولها والرجوع إليها على أى وجه من الوجوه سواء أكان هذا الوجه أفصح أم فصيحاً: يقول الحافظ الدانى: «إن أئمة القراءة لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة، والأقيس فى العربية، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية. إذا ثبتت عنهم لم يرددها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها(٤).

(١) قراءة الحسن هذه شاذة انظر تحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ١٢٢ وانظر أيضاً القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب لفضيلة أستاذنا الشيخ عبد الفتاح القاضى ص ٢٢.

(٢) النشر ١/١٦٦.

(٣) ميزان الاعتدال ١/٦٠٥.

(٤) النشر ١/١٠.

٣ - الياءات الزوائد

الياءات الزوائد عند علماء القراءات هي الياءات المتطرفة الزائدة في التلاوة على رسم المصاحف العثمانية، فالياء في نحو (الداع) عند من أثبتها زائدة في اصطلاح علماء القراءة، وإن كانت لاما للكلمة لأنها زائدة في التلاوة على خط المصحف .

الفرق بين ياءات الإضافة والياءات الزوائد

الفرق بينهما من خمسة أوجه :

الأول: أن الياءات الزوائد تكون في الأسماء نحو: (الداع)، وفي الأفعال نحو: (إذا دعان)، ولا تكون في الحروف، بخلاف ياءات الإضافة^(١) فإنها تكون في الأسماء والأفعال والحروف كما تقدم .

الثاني: أن الياءات الزوائد محذوفة من المصاحف، بخلاف ياءات الإضافة فإنها ثابتة فيها .

الثالث: أن الخلاف في الياءات الزوائد دائري بين الحذف والإثبات بخلاف ياءات الإضافة فالخلاف فيها دائري بين الفتح والإسكان .

الرابع: أن الخلاف في الياءات الزوائد يكون في الوصل والوقف بخلاف ياءات الإضافة فالخلاف فيها لا يكون إلا وصلاً .

(١) ذكرنا أن المقصود بياء الإضافة عند علماء القراءات ياء المتكلم، ومن ثم أنت في أنواع

الكلمة الثلاثة .

الخامس : أن الياءات الزوائد تكون أصلية نحو (المناد)
وزائدة نحو (فاتقون) بخلاف ياءات الإضافة فإنها لا تكون إلا
زائدة (١) .

وللقراء في هذا الباب أصول :

فمنهم من يثبت ما أثبتته منها في الوصل والوقف مراعاة
للأصل ومنهم من يثبت ما أثبتته وصلًا لا وقفًا مراعاة للأصل
والرسم .

ومنهم من يحذف في الحالين تخفيفًا لدلالة الكسرة على الياء
واتباعًا للرسم .

وقد تكفلت كتب القراءات بذكر الياءات الزوائد في جميع
القرآن الكريم وبيان أصول القراء فيها فارجع إليها إن شئت .
إلا أننا نريد أن نفصل القول في أفعال خمسة ذكرت في هذا
الباب منها فعلان أثبتت فيهما الياء مع وجود الجازم ، وثلاثة حذفت
منها الياء مع عدم وجوده .

أما الفعلان اللذان أثبتت فيهما الياء مع وجود الجازم فهما :
١ — (نرتع) في قوله تعالى : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا نَرْتَعْ
وَنَلْعَبْ ﴾ يوسف ١٢ .

وتتميمًا للفائدة نذكر لك أيها القارئ الكريم ما في هذا
الفعل والذي بعده من قراءات فنقول :
في اجتماع هذين الفعلين خمس قراءات :

(١) الوافي في شرح الشاطبية لفضيلة أستاذنا الشيخ عبد الفتاح القاضي ، وانظر أيضا
الإضاءة في بيان أصول القراءة للشيخ علي الضباع .

الأولى : الياء فيهما مع كسر عين يرتع بدون ياء وهى قراءة نافع وأبى جعفر .

الثانية : الياء فيهما أيضا لكن مع إسكان العين وهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف العاشر .

الثالثة : النون فيهما مع إسكان العين وهى قراءة أبى عمرو وابن عامر .

الرابعة : النون فيهما أيضا مع كسر العين بدون ياء وهى قراءة ابن كثير بخلف عن قبل .

الخامسة : كالرابعة لكن مع إثبات الياء وصلأ ووقفأ وهى قراءة أخرى لقبيل ، وتقدم له حذف الياء فيكون له الحذف والإثبات وعلى كل ما تقدم من قراءات الفعلان مجزومان .

أما الأول فلكونه جوابا للطلب ، أو لشرط مقدر .
وأما الثانى فلعطفه على الأول ، ومن سكن العين فالفعل عنده صحيح الآخر مضارع رتع .

ومن كسرهما فالفعل عنده معتل الآخر مضارع ارتعى على وزن افتعل مجزوم بحذف الياء أما إثبات الياء لقبيل فيه وجهان : أحدهما : أن من العرب من يجرى الفعل المعتل مجرى الصحيح على حد قوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

ثانيهما : أنه أسقط الياء ، لدخول الجازم ، ثم أشبع الكسرة فحدثت الياء ، والإشباع لغة معروفة قال الشاعر :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف
وعلى هذه اللغة جاءت قراءة هشام بخلف عنه بإشباع الكسرة من لفظ (أفئدة) فى قوله جل وعلا : ﴿ فَأَجْعَلْ أَوْئِدَةً مِّنَ

النَّاسِ تَهْوَىٰ إِلَيْهِمْ ﴿ إبراهيم - ٣٧ فيصير النطق ﴿ أَفئِدَةً ﴾ ﴿
بياء مدية بعد الهمز .

٢ — (يتقى) في قوله تعالى ﴿ إِنَّتُمْ مَن يَتَّقِي وَيََصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ يوسف ٩٠ قرأ قبل بخلاف عنه بإثبات
الياء وصلًا ووقفًا، وقرأ الباقون بحذفها للجزم بأداة الشرط .
ووجهت قراءة قبل بإثبات ياء (يتقى) بالوجهين في
(نرتعى) .

وهناك توجيه ثالث، وهو أن من موصولة خبرها الجملة
الواقعة بعد الفاء، وعلى هذا يكون الفعل (يتقى) مرفوعًا، وهو
مع فاعله المستتر صلة الموصول، ودخلت الفاء على الخبر، لشبه
الموصول بالشرط وأما سكون الراء في (يصبر) فللتخفيف، أو
للوقف ثم أجرى الوصل، مجرى الوقف .
وأما ثلاثة الأفعال التي حُذفت منها الياء مع عدم وجود
الجزم فهي :

١ — (يأت) في قوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا
بِإِذْنِهِ ﴾ ﴿ هود - ١٠٥ .

٢ — (نبغ) في قوله سبحانه ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ﴾ ﴿
الكهف - ٦٤ .

٣ — (يسر) في قوله جل وعلا: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴾ ﴿
الفجر - ٤ .

أثبتت الياء في هذه الأفعال الثلاثة وصلًا لا وقفًا، نافع وأبو
عمرو وأبو جعفر، وأثبتها وصلًا ووقفًا ابن كثير ويعقوب .

وأثبتها الكسائي في الفعلين الأولين وصلا لا وقفا، وحذفها من الثالث، وحذفها الباقون في الثلاثة .
ومن أثبتها في الحاليين فقد راعى الأصل، لأنها أفعال لم يتقدمها جازم .

ومن حذفها في الحاليين فقد راعى الرسم، فهي محذوفة منه تخفيفا، لدلالة الكسرة عليها كما قالوا لا أدروا لا أبال والاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغة هذيل، وأنشد الطبرى .

كفاك كف ما تليق درهما جودا وأخرى تعط بالسيف الدما^(١)
ومن أثبتها وصلا وحذفها وقفا فقد راعى الأصل وصلا والرسم وقفا، لأن الوقف محل استراحة، فناسبه الحذف تخفيفا .
أما الكسائي فقد فرق بين ماهورأس آية، وما ليس برأس آية فأثبتها في الأولين (يأت، نبغ) وصلا لا وقفا مراعاة للأصل والرسم كما تقدم . وهما ليسا برأسى آية .
وحذفها من الأخير (يسر) في الحاليين، لكونه رأس آية فناسبه الحذف مراعاة للفواصل^(٢) .

٤ — المنادى المضاف إلى ياء المتكلم

رأيت أن أفرد المنادى المضاف إلى ياء المتكلم بمبحث خاص يضم أحكامه التي ذكرت في كتب القراءات في أكثر من موضع وقد بينت في هذا المبحث اتفاق القراء واختلافهم فيما ورد منه في القرآن الكريم، ووجه كل قراءة في العربية .

(١) انظر البحر (٥/٢٦٢) بتصرف: ويقال فلان لا تليق كفه درهما أى لا تمسكه .

(٢) الفواصل: جمع فاصلة، وهى آخر كلمة فى الآية، وهى ورأس الآية بمعنى واحد .

وبعون من الله وفضل قسمت هذا النوع من المنادى إلى
ثلاثة أقسام .

وإليك بيانها بالتفصيل :

(القسم الأول) : ما آخره حرف صحيح : وهو أنواع :
النوع الأول : ما حذفت ياء المتكلم منه اتفاقاً اكتفاءً
بالكسرة قبلها .

نحو : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه - ١١٤ ، ﴿ وَقَالَ
الرَّسُولُ يُرَبِّ ﴾ الفرقان - ٣٠ ، ﴿ يَلْقَوْمٍ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾
هود - ٥١ ، ﴿ قُلْ لِّعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ الزمر - ١٠ .
ومما تجدر الإشارة إليه أن حذف الياء في حالتى الوصل
والوقف مطرد في كل منادى أضيف إلى ياء المتكلم في القرآن
الكريم ولم يخرج عن هذا الأصل إلا ثلاثة مواضع سنذكرها
مفصلة في النوع الثانى إن شاء الله .

هذا، ويجب أن ننبه القارىء إلى أنه لا خلاف بين القراء في
حذف الياء في هذا النوع من المنادى الذى نحن بصدد الكلام عنه
ماعدا موضعاً واحداً وهو قوله : تعالى : ﴿ يَلْعَابِدِ فَاتَّقُونَ ﴾
الزمر - ١٦ .

فأثبت الياء فيه رويس في أحد وجهيه لمناسبة إثباته ياء
(فاتقون) وحذفها في الوجه الثانى كالباقيين .

النوع الثانى : ما ثبتت ياء المتكلم فيه ، وذلك فى ثلاثة
مواضع موضعين باتفاق ، وموضع بخلاف .

أما الموضعان المتفق على إثبات يائهما فهما قوله تعالى :
﴿ يَلْعَابِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ العنكبوت - ٥٦ ،

وقوله: ﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الزمر - ٥٣ .

فقد اتفق القراء على إثبات الياء في هذين الموضعين كالرسم بيد أنهم اختلفوا في إسكانها وفتحها .

فأسكنها منهم أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف في اختياره، ولا بد من حذفها وصلاً عند هؤلاء تخلصاً من الساكنين وفتحها وصلاً الباقيون أما في الوقف فإنهم يسكنون، فالوقف محل اتفاق .

ففي هذين الموضعين قراءتان: ١ - إثبات الياء ساكنة .

٢ - إثباتها مفتوحة .

وأما الموضع المختلف فيه بين الحذف والإثبات فقولُه عز

وجل: ﴿ يَلْعَابِدِ لِأَخَوْفٍ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ الزخرف - ٦٨ .

فقد حذفت الياء من بعض المصاحف، وثبتت في البعض الآخر وقرأ بحذف الياء في هذا الموضع وصلاً ووقفاً ابن كثير وحفص وحمزة والكسائي وروح وخلف العاشر .

وقرأ بإثباتها مفتوحة وصلاً ساكنة وقفاً شعبة ورويس بخلف

عنه وقرأ بإثباتها ساكنة في الحاليين الباقيون .

ففي هذا الموضع ثلاث قراءات :

١ - حذف الياء في الحاليين .

٢ - إثباتها مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف .

٣ - إثباتها ساكنة في الحاليين .

النوع الثالث: ما قلبت ياء المتكلم فيه ألفاً: - وذلك في

كلمات ثلاث (يؤيلتى، يتأسفى، يحسرتى) وقد سبق ذكرها في

هاء السكت فالألف في هذه الكلمات الثلاث منقلبة عن ياء المتكلم عند الأكثرين .

وقيل إنها للندبة، وقدمنا أن هذا القول يناسب قراءة رويس حيث يقف بهاء السكت في هذه الكلمات، وهي تزداد بعد ألف الندبة غالبا .

هذا، وقد قرأ أبو جعفر بزيادة ياء بعد الألف في لفظ (يَحْسُرْتِي) فيصير (يَحْسُرْتِي) واختلف راوياه في الياء، ففتحها ابن جمار وابن وردان في أحد وجهيه، وسكنها ابن وردان في الوجه الآخر .

النوع الرابع: ما حذف ياء المتكلم منه، مع إبقاء كسر ما قبلها، أو ضمه وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَلَّ رَبِّ أَحْكَم بِالْحَقِّ ﴾ الأنبياء - ١١٢ .

فقد اتفق القراء على حذف الياء في لفظ (رب) إلا أنهم اختلفوا في إبقاء كسر ما قبلها أو ضمه فقرأ أبو جعفر بضم آخر المنادى وهو الباء، وقرأ الباقيون بالكسر .

فقد عرفت يا أختي ما اتفق عليه القراء، وما اختلفوا فيه في المنادى الصحيح الآخر المضاف إلى ياء المتكلم بجميع أنواعه، والآن نفصل القول في توجيه كل ما ذكر فنقول:

إن في المنادى الصحيح الآخر المضاف إلى ياء المتكلم لغات ستا: (١) وهاك بيانها مرتبة على حسب أفصحيتها .

(١) بشرط ألا يكون المضاف مفردا عاملا: كيا مكرمي . وإلا تعين إثبات يائه مفتوحة أو ساكنة لشدة طلبه لها .

الأولى : حذف الياء والاستغناء عنها بالكسر نحو: يا قوم
وهذه أفصح اللغات : وقد جاء المنادى المذكور في القرآن الكريم
على هذه اللغة : إلا مواضع معدودة كما قدمنا .
الثانية : إثبات الياء ساكنة نحو: يا غلامى ، وقد جاء على
هذه اللغة ما يأتى :

١ - قوله تعالى : ﴿ يَعْبادِى الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِى
وَاسِعَةٌ ﴾ العنكبوت - ٥٦ .
٢ - وقوله ﴿ يَعْبادِى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾
الزمر - ٥٣ .

وذلك عند من سكن الياء فى هذين الموضوعين من القراء .
٣ - وقوله : ﴿ يَعْبادِى فَاتَّقُونِ ﴾ الزمر - ١٦ عند رويس :
فقد قرأه (ياعبادى) بإثبات الياء ساكنة ، وذلك فى أحد الوجهين
عنه .

٤ - وقوله : ﴿ يَعْبادِى لِأَخَوْفٍ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾
الزخرف - ٦٨ . عند من أثبت الياء ساكنة .
الثالثة : إثباتها مفتوحة نحو: يا غلامى ، ووردت هذه اللغة
فى ثلاثة مواضع :

١ - ﴿ يَعْبادِى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالعنكبوت .
٢ - ﴿ يَعْبادِى الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ بالزمر^(١) عند من فتح
الياء فى هذين الموضوعين .

(١) فى ضوء ما تقدم نقول : إن لفظ (ياعباد) وقع فى ثلاثة مواضع بسورة الزمر :
الأول : ﴿ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية ١٠ وقد حذف ياءه للجميع .
الثانى : ﴿ يَعْبادِ فَاتَّقُونِ ﴾ الآية - ١٦ وقد حذف ياءه للجميع ماعدا رويسا فأثبتها ساكنة
فى أحد وجهيه .

٣ - ﴿ يَلْعَبَادِي لِأَخَوْفٍ عَلَيْكُمْ ﴾ * بالزخرف، عند من أثبت الياء مفتوحة .

الرابعة: قلب الياء ألفاً مع فتح ما قبلها نحو: ياغلاما، وقد وردت هذه في كلمات ثلاث تقدمت . وهي ياويلتى وأختاها .

ويجدر بنا الآن أن نوجه قراءة أبي جعفر (يَحَسْرَتِي) بزيادة ياء بعد الألف فنقول :

وجهت هذه الزيادة بوجهين :

أحدهما: أنها على الجمع بين العوض والمعوض عنه .

ثانيهما: أن المراد تثنية حسرة، فالألف التي قبل الياء للتثنية .

وكان حق النادى أن يُنصب بالياء لكونه مثنيّ مضافاً، ثم تُدغم ياء الإعراب في ياء المتكلم فتصير ياء مشددة مفتوحة، إلا أنه جاء بالألف على لغة من يلزم المثني الألف في جميع الأحوال . وهل المراد حقيقة التثنية؟ أو المراد التكثير؟ .

قولان: واعتبار التكثير أولى، وقد ذكر كل ذلك الألوسى مبيناً أن هذا التوجيه الثانى وهو أن المنادى مثنى أوجه من الأول وهو الجمع بين العوض والمعوض عنه .

يقول فى تفسيره: فالأوجه أن يكون ثنى الحسرة مبالغة على نحو ليك وسعديك، وأقام بين ظهريهم وظهرانيهم على لغة بلحرت بن كعب من إبقاء المثني على الألف فى الأحوال كلها،

= الثالث: ﴿ يَلْعَبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ الآية - ٥٣ وقد ثبتت ياءه للجمع ساكنة أو مفتوحة على نحو فصلناه للقراء .

واختار ذلك صاحب الكشف وجوز أبو الفضل الرازي أيضا في كتابه اللوامح أن تكون الثنية على ظاهرها على تلك اللغة، والمراد حسرة فوت الجنة، وحسرة دخول النار، واعتبار الكثير أولى لكثرة حسراتهم يوم القيامة^(١).

أما فتح الياء فلوقوعها بعد الألف، وأما إسكانها فعلى إجراء الوصل مجرى الوقف كلفظ (محيى)، وقد ذكرنا كل ذلك في المبحث الخاص ببياءات الاضافة.

الخامسة: حذف الألف، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها نحو: يا غلام، ولم ترد هذه اللغة في القرآن الكريم في هذا المنادى الذي نحن بصدد الكلام عنه، وهو الصحيح الآخر المضاف إلى ياء المتكلم.

السادسة: ضم آخر المنادى بعد حذف ياء المتكلم. وقد ذكر هذه اللغة العلامة الخضرى بقوله: وبقي وجه سادس، وهم ضم الاسم بعد حذفها كالمفرد اكتفاءً بنية الاضافة. فهو منصوب لإضافته تقديراً لكن منع من ظهور نصبه مشاكلة المفرد^(٢).

وينبغي أن يُعلم أن هذه اللغة تختص بما يكثرت دأؤه: كالرب تعالى، وفي ذلك يقول الخضرى: وإنما يكون ذلك فيما يكثرت دأؤه مضافاً للياء: كالرب والأبوين والقوم^(٣).

(١) روح المعاني للألوس ١٦/٢٤.

(٢) حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ٧٨/٢.

(٣) المصدر السابق.

وقد جاءت عليها قراءة أبي جعفر بضم باء لفظ (رب) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ رَبُّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ﴾ الأنبياء - ١١٢ (١).

القسم الثاني: ما آخره حرف معتل: وهو ثلاثة أنواع: النوع الأول: ما آخره ياء غير مشددة قبل إضافته إلى الياء وذلك في يَبْنِيَّ - بفتح الباء وكسر النون - حيث وقع نحو قوله تعالى: ﴿ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ ﴾ البقرة - ١٣٢.

وقد اتفق القراء على فتح ياء المتكلم في هذا النوع، وبني منادى منصوب لإضافته وأصله بنين فلما أضيف إلى الياء حذفت نونه وأدغمت الياء التي هي علامة النصب في ياء المتكلم وفتحت للتخلص من الساكنين.

ولعلك تلحظ أن الياء الواقعة في آخر المنادى وهي ياء الإعراب لم تكن مشددة قبل الإضافة وإنما حصل التشديد بعد الإضافة والإدغام.

النوع الثاني: ما آخره ياء مشددة قبل الإضافة وذلك في لفظ (يَبْنِيَّ) وقد جاء في ستة مواضع:

- ١ - قوله تعالى: ﴿ يَبْنِيَّ أَرْكَبْ مَعَنَا ﴾ هود - ٤٢.
- ٢ - قوله تعالى: ﴿ يَبْنِيَّ لَا نَقْضُ رُءْيَاكَ ﴾ يوسف - ٥.

- ٣ - ٤ - ٥ - قوله: ﴿ يَبْنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ ﴿ يَبْنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ ﴿ يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ لقمان ١٣-١٦-١٧.

(١) أبو جعفر يقرأ (قل) بصيغة الأمر.

٦ - قوله : ﴿ يَبْنِيْ اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ ﴾

الصفات - ١٠٢ وإليك ما في هذا المنادى من قراءات :
قرأ حفص بفتح الياء في ستة مواضع ، ووافقه شعبة في
موضع هود ، وكسرها في المواضع الباقية .
وقرأ ابن كثير بكسر الياء في أربعة مواضع : في هود ويوسف
والصفات ، والثاني من لقمان ﴿ يَبْنِيْ اِنَّنَّهَا ﴾ .
أما الموضع الأول ﴿ يَبْنِيْ لَا تُشْرِكْ ﴾ فقراه بسكون الياء
مخففة ، واختلف راوياه في الموضع الأخير ﴿ يَبْنِيْ اَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾
ففتحه البزى كحفص ، وسكنه قبل مخففا .
وقرأ باقي القراء بكسر الياء في المواضع الستة .
ففي موضعي لقمان الأول والثالث ثلاث قراءات : الكسر
والفتح والإسكان ، وفي موضعها الثاني كبقية المواضع قراءتان
الكسر والفتح .

توجيه ما تقدم من قراءات

في توجيه كل من الكسر والفتح والإسكان نقول :
(بُنِيَ) تصغير ابن ، والأصل بنوكقمر ، وصغر على بنو بزنة
فُعِيل فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت
الواو ياء ، وأدغمت الياء في الياء ، فصارت ياء مشددة ثم لحقتها ياء
الإضافة ، ثم حذفت هذه الياء ، وبقي كسر ما قبلها دليلاً عليها ،
وهذا وجه الكسر .
ويجوز قلب الياء ألفاً ، ثم حذفها ، وتبقى الفتحة قبلها دليلاً
عليها ، وهذا وجه الفتح .

وتجدر الإشارة إلى أن حذف ياء المتكلم هنا واجب، وكذا حذف الألف المنقلبة عنها .

وإنما كان حذف الياء هنا واجباً، لاستثقال اجتماع ثلاث ياءات: ياء التصغير، وياء الأصل، وياء الإضافة وكان حذف الألف المنقلبة عنها واجباً أيضاً، لأنها بدل من حرف مستثقل .
استمع إلى الحضري إذ يقول: إذا كان آخر الاسم ياءً مشددة قبل الإضافة كبنى تصغير ابن وكرسی وحواری فهو من المعتل المشبه للصحيح، لكن إذا أضيف للياء وجب حذفها لتوالي الأمثال (١) .

ويقول معللاً لوجوب حذف الألف المنقلبة عن الياء: لأنها بدل ثقيل (٢) .

وأما وجه إسكان الياء مخففة فعلى حذف ياء المتكلم، ثم استثقلت الياء المشددة المكسورة، فحذفت الياء الثانية التي هي لام الكلمة وأبقيت الأولى وهي ياء التصغير ساكنة (٣) .

وصفوة القول أن في المنادى الذي آخره ياء مشددة المضاف إلى ياء المتكلم ثلاث لغات:

الأولى: حذف ياء المتكلم وجوباً، وإبقاء الكسرة قبلها دليلاً عليها .

الثانية: قلبها ألفاً، ثم حذفها وجوباً، وإبقاء الفتحة قبلها دليلاً عليها .

(١) حاشية الحضري على شرح ابن عقيل ٢١/٢ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٠٤/٣ .

وقد وردت القراءة بهاتين اللغتين في لفظ (يَبْشُرَى) في مواضعه الستة . الثالثة سكون الياء مخففة .
وقد جاءت القراءة بهذه اللغة في موضعين فقط من المواضع الستة : هما الأول والثالث من لقمان .

النوع الثالث : ما آخره ألف . وذلك في قوله تعالى ﴿ يَبْشُرَايَ هَذَا عَلَّمُ ﴾ يوسف - ١٩ عند من قرأ (يَبْشُرَى) بزيادة ياء مفتوحة بعد الألف ، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ، وقد اتفق هؤلاء على فتح ياء المتكلم لوقوعها بعد الألف .

أما عند باقى القراء فالمنادى خارج عن نطاق بحثنا ، لأنهم يقرءون (يَبْشُرَى) بغير ياء إضافة على أنه منادى مفرد .
القسم الثالث : ما حذفت ياء المتكلم منه ، وجيء بالتاء عوضا عنها : وذلك في لفظ (يَتَأَبَّت) .
وقد ورد في ثمانية مواضع :

١ ، ٢ - قوله تعالى : ﴿ يَتَأَبَّتْ إِيَّيْ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُؤُوبًا ﴾ ﴿ يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ ﴾ يوسف - ١٠٠ ، ٤ .

٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ - قوله : ﴿ يَتَأَبَّتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ ﴿ يَتَأَبَّتْ إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعَالَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي ﴾ ﴿ يَتَأَبَّتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ ﴿ يَتَأَبَّتْ إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾ مريم - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ .

٧ - قوله : ﴿ يَتَأَبَّتْ أَسْتَجِرُّهُ ﴾ القصص - ٢٦ .

٨ - قوله : ﴿ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ الصافات - ١٠٢ .

ولنوضح مافى هذا اللفظ من قراءات فنقول :
قرأ ابن عامر وأبو جعفر بفتح التاء فى جميع المواضع ،
والباقون بكسرها وإليك توجيه كل من الفتح والكسر .
أصل هذا اللفظ (يا أبى) فحذفت ياء المتكلم و عوض منها
التاء هذا ، والفتح أقيس ، لأن التاء عوض عن الياء وحركتها
الفتح ، فالأصل أن تُحرك التاء بحركة أصلها الذى هو الياء والكسر
أكثر ، لأنه عوض عن الكسر الذى كان يستحقه ما قبل الياء ، فقد
زال هذا الكسر حين مجيء التاء التى تستلزم فتح ما قبلها .
وينبغى أن يُعلم أن تعويض التاء عن ياء المتكلم مختص
بنداء الأب والأم ولم يأت فى القرآن الكريم إلا نداء الأب .

٥ — المنادى المضاف إلى مضاف إلى الياء

بعد أن فصلنا القول فى المنادى المضاف إلى ياء المتكلم يجدر
بنا أن نتكلم عن المنادى المضاف إلى مضاف إلى ياء المتكلم
فنقول :

قد جاء ذلك فى لفظ (ابن أم) فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ
إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي ﴾ الأعراف - ١٥٠ ، ولفظ (بينوم) فى
قوله : ﴿ قَالَ يَبْنُومٌ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ طه - ٩٤ .

وقد وردت القراءة بكسر الميم وفتحها فى كل منهما :
فالكسر قراءة ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائى وخلف
العاشر والفتح قراءة الباقيين ووجه الكسر أن الأصل : ابن أمى ،
فحذفت الياء وجوباً لكثرة الاستعمال ، وبقيت الكسرة دليلاً
عليها .

أما الفتح ففيه قولان :
أحدهما : أن الأصل (ابن أما) بقلب ياء المتكلم ألفاً ثم
حذفها لكثرة الاستعمال، وإبقاء الفتحة قبلها دليلاً عليها .
وهذا قول الكسائي والفراء وأبي عبيد، وحكى عن
الأخفش .

ثانيهما : أن لفظي ابن وأم جُعلا اسماً واحداً مركباً، وبني
على الفتح كخمسة عشر، وهو مذهب سيويه والبصريين ونقل
السيوطي عن الرضي أن مجموع الكلمتين مع تركيبهما وفتحهما
مضاف إلى الياء المحذوفة، ويحتمل قطعه عن الإضافة، فيقدر فيه
الضم (١).

٦ - قوله تعالى ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾
قرأ أبو جعفر بخلف عن ابن وردان بضم تاء ﴿ لِلْمَلَكِ
أَسْجُدُوا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾
البقرة - ٣٤ . الإسراء - ٦١ الكهف - ٥٠ ، طه - ١١٦ ،
وقوله : ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ الأعراف - ١١ وأشم
الكسرة الضمة ابن وردان في وجهه الثاني .
وقرأ الباقر بالكسرة الخالصة على الأصل .

ووجه الضم أنه على إتباع التاء لحركة الجيم في (اسجدوا)
ولم يعتد بالساكن فاصلاً، لكونه غير حصين، فلفظ الملائكة مجرور
بكسرة منع من ظهورها حركة الإتياع، وهذا الإتياع لغة أزد
شنوءة، ولا التفات إلى قول الزجاج : هذا غلط من أبي جعفر،

(١) حاشية الصبان على الأشموني ١٠٥/٣ .

وقول الفارسي ، هذا خطأ ، وقول الزمخشري : ولا يجوز لاستهلاك
الحركة الإعرابية بحركة الإتياع إلا في لغة ضعيفة كقولهم :

الحمد لله (يعنى كسر الدال إتياعا لكسرة اللام بعدها) .
وهنا يعقب أبو حيان فيقول : وإذا كان ذلك في لغة ضعيفة
وقد نقل أنها لغة أزد شنوءة فلا ينبغي أن يُخطأ القارىء بها ولا
يغلط ، فالقارىء بها أبو جعفر أحد القراء المشاهير الذين أخذوا
القراءة عرضا عن عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة ، وهو
شيخ نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة (١) .

ويقول صاحب النشر : ولا التفات إلى قول الزجاج ولا إلى
قول الزمخشري ولا تستهلك حركة الأعراب بحركة الإتياع إلا في
لغة ضعيفة ، لأن أبا جعفر إمام كبير أخذ قراءته عن مثل ابن
عباس وغيره ، وهو لم ينفرد بهذه القراءة . بل قرأ بها بعض
السلف (٢) .

هذا ، وقد علل بعضهم ضم التاء بشبهها بهمزة الوصل ،
ووجه الشبه أن الهمزة تسقط في الدرج ، لكونها ليست بأصل ،
والتاء في الملائكة تسقط أيضا ، لأنها ليست بأصل : ألا تراهم
قالوا : الملائك بغير تاء ، فلما أشبهتها ضمت كما تضم همزة الوصل
ابتداء في الفعل (اسجدوا) .

وقال بعضهم : ضمت التاء ، لأن العرب تكره الضمة بعد
الكسرة لثقلها .

(١) البحر المحيط ١٥٢/١ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢١٠/٢ .

أما إشمام الكسرة الضمة فوجهه أنه إشارة إلى الضمة تنبيها على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة في حالة الابتداء .

وأقول: ويجوز أن يكون وجه الاشمام مراعاة كل من الحركتين أعنى الحركة الإعرابية وحركة الإتياع وهي الضمة ففيه توسط بين الأمرين .

٧ - الفصل بين المتضايين

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ الأنعام - ١٣٧ .

قرأ ابن عامر بضم الزاي وكسر الياء من الفعل زين على بنائه للمفعول ورفع قتل على أنه نائب فاعل ، وجر شركائهم على أنه مضاف إليه أما لفظ أولادهم فبالنصب على أنه مفعول به للمصدر وهو قتل وقد جاء هذا المفعول فاصلا بين المضاف وهو كلمة (قتل) والمضاف إليه ، وهو كلمة (شركائهم) .

وهي قراءة متواترة صحيحة ، ولكن طائفة من النحاة خاضوا في هذه القراءة ، ووقفوا منها موقف المعارضة ، لما فيها من الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول : وزعموا أنه لا يصح الفصل بينهما إلا بالظرف ويكون ذلك في الشعر خاصة ، فهذا أبو علي الفارسي يحكم عليها بالقبح^(١) وكذلك فعل ابن خالويه^(٢) ، ووصفها بالضعف والبعد مكى ، وبعدم الجواز أبو غانم النحوي ،

(١) خزانة الأدب للبغدادي ٢/٢٥٤ .

(٢) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ١٥٠ .

وهناك من حكم عليها باللحن كالنحاس^(١) إلى غير ذلك من الصفات التي لا تليق إزاء هذه القراءة المتواترة .
أما الزمخشري فقد طعن هذه القراءة طعنة نجلاء. حيث قال في كشافه :

وأما قراءة ابن عامر فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردوداً : كما سُمجُ وُردٌ (زجَّ القلوصَ أبي مزادة) فكيف به في الكلام المنشور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مجرورا بالياء، ولو قرأ بجز الأولاد والشركاء . . لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب^(٢) .

ولا التفات إلى قول هؤلاء وغيرهم ممن حذا حذوهم فقد انتصر لهذه القراءة الحذاق من العلماء المنصفين ودافعوا عنها دفاعاً مجيداً، وأوردوا من الأدلة ما يشهد لصحتها نثراً ونظماً .

فها هو ابن مالك الإمام النحوي العظيم يميز هذه القضية أعني قضية الفصل بين المتضايفين، ويحتج لها بالثر والشعر جميعاً، ويجعل في قمة الاحتجاج على جواز هذه القضية قراءة ابن عامر .
استمع إليه إذ يقول في كافيته الشافية :
وحجتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر^(٣)

(١) انظر في كل ذلك القرطبي ٩١/٧ .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري ٤٧٢/١ .

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٥٥/٢ .

ويقول في التسهيل : وإن كان المضاف مصدرا جاز أن يضاف نظما ونثرا إلى فاعله مفصولا بمفعوله^(١) وذلك كقراءة ابن عامر التي نحن بصدد الكلام عنها .

ثم يقول : وربما فصل في اختيار اسم الفاعل المضاف إلى المفعول بمفعول آخر^(٢) وذلك كقراءة بعض السلف : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعَدَّهُ رَسُولِهِ ﴾^(٣) إبراهيم - ٤٧ باضافة اسم الفاعل وهو مخلف ، إلى رسله ، وهو المفعول الأول ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول الثاني وهو لفظ (وعده) .

ويقول في ألفيته المشهورة في باب الإضافة :

فصل مضاف شبه فعل ما نصب مفعولا أو ظرفا أجز ، ولم يعب فصل يمين ، واضطرارا وجدا بأجنبي ، أو بنعت ، أو ندا ثم يدعم ابن مالك هذه القضية من ناحية المعنى كما دعمها من ناحية السماع يقول فيما يذكره عنه ابن الجزرى : وأما قوته من جهة المعنى فقد ذكر ابن مالك ذلك من ثلاثة أوجه :

أحدهما : كون الفاصل فضله ، فإنه لذلك صالح لعدم الاعتداد به .

الثانى : أنه غير أجنبي معنى ، لأنه معمول للمضاف وهو المصدر .

الثالث : أن الفاصل مقدر التأخير ، لأن المضاف إليه مقدر التقديم لأنه فاعل في المعنى^(٤) .

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ١٦١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) هذه القراءة غير متواترة بيد أنهم أجمعوا على الاجتجاج بالشاذ في العربية .

(٤) النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٥٥ .

وإذا ذهبنا إلى الشيخ خالد الأزهرى فى شرح التصريح
على التوضيح رأيناه قد ألمّ بأطراف هذا الموضوع إماما قويا حيث
قال: (١)

زعم كثير من النحويين أنه لا يفصل بين المتضايين إلا فى
الشعر خاصة، لأن المضاف إليه منزل من المضاف منزلة جزئه لأنه
واقع موقع تنوينه، فكما لا يفصل بين أجزاء الاسم لا يفصل بينه
وبين ما نزل منزلة الجزء منه، وهو قول البصريين .

والحق عند الكوفيين أن مسائل الفصل سبع: منها ثلاث
جائزة فى السعة وهى النثر ثم أخذ يبين ضابط هذه الثلاث
ويذكرها بالتفصيل كما فصل بقية المسائل التى تختص بضرورة
الشعر وسنكتفى بذكر المسائل الثلاث الجائزة فى السعة ونوجزها
لك فنقول:

الأولى: أن يكون المضاف مصدرا والمضاف إليه فاعله
والفاصل إما مفعول المضاف، أو ظرفه أما المفعول فكقراءة ابن
عامر التى هى موضوع بحثنا، وقول الشاعر:

عتوا إذ أجنبناهم إلى السلم رافة فسقناهم سوق (البغاث) الأجدال (٢)
فقد أضيف سوق إلى الأجدال من إضافة المصدر إلى فاعله
وفصل بين المتضايين بمفعول المضاف وهو البغاث، والأصل
سوق الأجدال البغاث .

وأما الظرف فكقول بعضهم: (ترك يوما نفسك وهوها
سعى لها فى رداها) فقد أضيف ترك إلى نفسك من إضافة المصدر

(١) انظر ج ٢ - ص ٥٧ .

(٢) البغاث طائر أغبر أصغر من الرحم بطن الطيران وجمعه بغثان كغزلان والأجدال جمع
الأجدل وهو الصقر: انظر القاموس المحيط، والمعجم الوسيط .

إلى فاعله والمفعول محذوف، وفصل بين المضاف والمضاف إليه
بظرف المضاف وهو يوماً . وهوها مفعول معه والتقدير: ترك نفسك
شأنها يوماً مع هوها سعى لها في رداها .

ويجوز أن يكون الأصل تركك نفسك، فيكون من إضافة
المصدر إلى مفعوله بعد حذف الفاعل .

الثانية: أن يكون المضاف وصفاً بمعنى الحال أو الاستقبال
والمضاف إليه مفعولاً للمضاف، والفاصل إما مفعوله الثاني وإما
ظرفه .

أما الفصل بمفعوله الثاني فقد جاء في قراءة بعض السلف
(فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مَخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلِهِ) .

والأصل فلا تحسبن الله مخلف رُسُلِهِ وَعْدَهُ، وقد قدمنا القول
فيها .

وقول الشاعر:

ما زال يوقن من يؤمك بالغنى وسواك مانعُ فضلِه المحتاجِ
فسواك مبتدأ ومانع خبره وهو اسم فاعل مضاف إلى مفعوله
الأول وهو المحتاج، وفضلُه هو المفعول الثاني، وقد جاء فاصلاً
بين المضاف والمضاف إليه، والأصل وسواك مانع المحتاج فضلُه
وأما الفصل بالظرف، وذلك صادق بالجار والمجرور فكقوله ﷺ
(فهل أنتم تاركولي صاحبي) (١) فتاركو جمع تارك اسم فاعل
مضاف إلى مفعوله، وهو صاحبي بدليل حذف النون، ولي جار

(١) هذا جزء من حديث رواه البخاري: انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن

حجر ١٨/٧ .

ومجرور ظرف تاركو، وفصل به بين المضاف والمضاف إليه، والأصل
فهل أنتم تاركو صاحبى لى .
وقول الشاعر:

فرشنى بخير لا أكوننّ ومد حتى كناحت يوما صخرة بعسيل^(١)
فناحت اسم مضاف إلى صخرة من إضافة الوصف إلى
مفعوله، ويوما ظرف متعلق بناحت، وقد جاء فاصلا بين المضاف
والمضاف إليه .

الثالثة: أن يكون المضاف لا يشبه الفعل وأن يكون الفاصل
قسما كقولهم: هذا غلامٌ (والله) زيدٌ بجر زيد بإضافة غلام إليه .
ويقول صاحب همع الهوامع: لا يفصل بين المتضايين أى
المضاف والمضاف إليه اختيارا، لأنه من تمامه، ومنزل منه منزلة
التنوين، إلا بمفعوله وظرفه على الصحيح . . . ثم قال:
وجوزه (أى الفصل) الكوفية مطلقا بالظرف والمجرور
وغيرهما^(٢) .

ويجدربنا الآن أن نذكر لك أيها القارىء تعقيب المحقق ابن
الجزرى على رأى الزمخشري استمع إليه حيث يقول:
والحق فى غير ما قاله الزمخشري، ونعوذ بالله من قراءة القرآن
بالرأى والتشهى، وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد فى الكتابة من غير
نقل؟ .

(١) فرشنى بخير - أى أصلح حالى: يقال راش فلان فلانا بمعنى أصلح حاله - والعسيل
بفتح العين وكسر السين - مكنسة العطار أى لا ينبغى أن أكون فى مدحتى كمن نحت الصخرة
بمكنسة العطار لعدم الفائدة .

(٢) همع الهوامع شرح الجوامع للسيوطى ٥٢/٢ .

بل الصواب جواز مثل هذا الفصل ، وهو الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول ، في الفصيح الشائع والذائع اختياراً ، ولا يختص ذلك بضرورة الشعور ويكفى في ذلك دليلاً هذه القراءة الصحيحة المشهورة التي بلغت التواتر ، كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة : كعثمان بن عفان ، وأبي الدرداء رضى الله عنهما . . ثم إن هذه القراءة قد كانوا يحافظون عليها ولا يرون غيرها .

قال ابن ذكوان (شركائهم) بياء ثابتة في الكتابة والقراءة (١) .

هذا ، وقد تصدى أيضاً للرد على الزمخشري كثير من العلماء المخلصين (٢) .

والذى نخلص إليه أن الفصل بين المتضايقين وارد في النثر والنظم .

أما وروده في النثر فعلى صور متعددة : منها الفصل بالمفعول به ومنها الفصل بالجار والمجرور ، ومنها الفصل بالظرف ، ومنها الفصل بالقسم بل ورد الفصل بالجملة فضلاً عن الفصل بالمفرد ، ولا شك أن الفصل بالمفرد أسهل .

وفي ذلك يقول ابن مالك : وإذا كانوا قد فصلوا بين المتضايقين بالجملة في قول بعض العرب (هو غلام - إن شاء الله - أخيك) فالفصل بالمفرد أسهل .

(١) النشرفى القراءات العشر ج ٢ ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٥ فما بعدها .

(٢) انظر الانتصاف من الكشاف لابن المنير (على هامش الكشاف) ج ١ ص ٤٧١ فما

بعدها والبحر المحيط ج ٤ ص ٢٢٩ ، والدفاع عن القرآن للدكتور أحمد مكى الأنصارى ص ١٢٩ فما بعدها .

وأما وروده في الشعر فعلى صور متعددة أيضا وقد جاء
الفصل بالمفعول به في كثير من الشواهد :

منها ما ذكرناه من قول الشاعر:

عتوا إذ أجبناهم إلى السلم رأفة فسقناهم سوق (البغاث) الأجادل
وما أنشده الأخفش :

فزججتها بمزججة زج (القلوص) أبو مزادة (١)

وقول أبي الطيب :

حملت إليه من لساني حديقة سقاها الحجا سقى الرياض السحائب (٢)

إلى غير ذلك من الأبيات التي جاء فيها الفصل بالمفعول به
وغيره من الفواصل الأخرى المتنوعة .

وأقول إن هذه القراءة (أعنى قراءة ابن عامر) قد ثبتت
بطريق التواتر، وهو طريق قطعى، وإذا ثبتت القراءة بطريق التواتر
فليست في حاجة إلى ما يسندها من كلام العرب بل تكون هي
حجة يرجع إليها، ويستشهد بها .

ويعجبنى قول صاحب الانتصاف: وليس غرضنا تصحيح
القراءة بقواعد العربية، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة .

ورحم الله الدماميني إذ يقول: إن العربية تؤخذ من القرآن
المعجز بفصاحته، وكيف يجوز الاحتجاج والأخذ بأقوال نقلها عن
العرب من لا يعتمد عليه، لجهله أو لعدم عدالته، أو لجهالة علمه

(١) زجه: طعنه - والمزجة: الرمح القصير - والقلوص: الناقة الفتية .

(٢) الحجا: العقل، والمراد بالحديقة هنا القصيدة. جعل العقل ساقيا لها، لأن المعانى التي
فيها إنما تحسن بالعقل، فجعل العقل ساقيا لها كما تسقى السحائب الرياض .

وعدالته، وترك الأخذ والتمسك بما ثبت تواتره عن ثبوت عصمته
عن الغلط . وهو رسول الله ﷺ ؟ .

٨ — قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ .

ورد في قوله تعالى : (إن هذان) أربع قراءات :

الأولى : (إِنَّ هَذَا) بتخفيف نون (إن)، وهذان بالألف
مع تشديد النون، ولا بد حينئذ من مد الألف مداً مشبعا
للساكين، وهي قراءة ابن كثير .

الثانية : كالقراءة السابقة، لكن مع تخفيف نون (هَذَا)

وهي قراءة حفص .

ووجه هاتان القراءتان بأن إن هي المخففة من الثقيلة،
وأهملت كما هو الأكثر فيها إذا خفت، وارتفع ما بعدها وهو هذان
لساحران على الابتداء والخبر، وإنما دخلت اللام على الخبر وهو
لساحران للتفرقة بين إن النافية، وإن المخففة من الثقيلة، ولهذا
تسمى اللام الفارقة .

أما تشديد نون هذان فللتعويض عن الألف المحذوفة، لأنه
لما ثنى هذا اجتمع ألفان ألف المفرد وألف التثنية، فحذفت ألف
المفرد تخلصاً من الساكنين، وفي ذلك يقول ابن مالك في ألفيته
المشهورة :

والنون من ذين وتين شداً أيضاً، وتعويض بذاك قصداً

وأما التخفيف فعلى الأصل في نون المثني .

الثالثة : (إِنَّ هَذَا) بتشديد النون من (إن)، وبالياء في

هذين مع تخفيف نونه، وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء وهي
ظاهرة، لأن إن تنصب الاسم وترفع الخبر، وهذين اسمها

منصوب بالياء لأنه مثنى ، و(ساحران) خبرها مرفوع بالألف واللام
الداخله على الخبر هي المؤكدة .

ولا التفات إلى من طعن فيها لمخالفتها للرسم يقول
صاحب الإتحاف : ولا يرد بهذا على أبى عمرو، وكم جاء في
الرسم مما هو خارج عن القياس مع صحة القراءة به وتواترها،
وحيث ثبت تواتر القراءة فلا يلتفت إلى طعن الطاعن فيها^(١) .

ثم إن أبا عمرو كان يقرأ بالأثر ويقول : لولا أن ليس لى أن
أقرأ إلا بما قرىء به لقرأت كذا وكذا . . . (٢) فالقراءة سنة متبعة .
الرابعة : (إن هذان) بتشديد نون إن، وهذان بالألف مع
تخفيف النون، وهى قراءة نافع وابن عامر وشعبة وخمزة والكسائى
وأبى جعفر ويعقوب وخلف العاشر .

وقد وجهت هذه القراءة بأوجه، وقد تكفل ابن هشام
الأنصارى رحمه الله بذكر خمسة منها . استمع إليه إذ يقول :
وقد أجيب عنه بأوجه :

أحدها : أن لغة بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وكنانة
وآخرين استعمال المثنى بالألف دائما تقول : جاء الزيدان، ورأيت
الزيدان .

ومررت بالزيدان قال :

تزود منا بين أذناه طعنة :

إن أباه وأبا أباه : قد بلغا فى المجد غايتها .

فهذا مثال مجيء المنصوب بالألف، وذاك مثال مجيء

المجرور بالألف .

(١) اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ٣٠٤ .

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢٩٠/١ .

والثاني : أن إن بمعنى نعم . مثلها فيما حكى أن رجلا سأل ابن الزبير شيئا فلم يعطه فقال : لعن الله ناقة حملتني إليك فقال : إن وراكبها أى نعم ولعن الله راكبها .

وإن التى بمعنى نعم لا تعمل شيئا كما أن نعم كذلك . فهذان مبتدأ مزفوع بالألف وساحران خبر لمبتدأ محذوف . أى لهما ساحران والجملة خبر هذان ، ولا يكون لساحران خبر هذان لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ .

والثالث : أن الأصل : إنه هذان لهما ساحران فالهاء ضمير الشأن ، وما بعدها مبتدأ وخبر ، والجملة فى موضع رفع على أنها خبر إن ، ثم حذف المبتدأ وهو كثير وحذف ضمير الشأن : كما حذف من قوله ﷺ :

(إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورن) (١) ومن قول بعض العرب : إن بك زيد مأخوذ .

والرابع : أنه لماثنى هذا اجتمع ألفان : ألف هذا وألف التثنية فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين ، فمن قدر المحذوفة ألف هذا ، والباقية ألف التثنية قلبها فى الجر والنصب ياء ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها .

والخامس : أنه لما كان الاعراب لا يظهر فى الواحد وهو (هذا) جعل كذلك فى التثنية ليكون المثنى كالمفرد ، لأنه فرع عليه واختار هذا القول الإمام العلامة تقى الدين أبو العباس أحمد ابن

(١) التقدير: إنه من أشد الناس الخ ، فاسم إن ضمير الشأن ، ومن أشد جار ومجرور خبر مقدم ، والمصورون مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر إن - وقد ورد هذا الحديث بدون (من) ونصب (أشد) وعليه فلا شاهد: انظر فتح البارى ٣٨٣/١٠ والفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير

تيمية (رحمه الله تعالى) وزعم أن بناء المثني إذا كان مفردة مبنيا أفصح من إعرابه قال: وقد تفتن لذلك غير واحد من حذاق النحاة .

ثم اعترض على نفسه بأمرين : أحدهما أن السبعة أجمعوا على الياء في قوله تعالى : ﴿ إِحْدَى أَبْنَتَيْ هَاتَيْنِ ﴾ (١) مع أن هاتين تشية هاتا وهو مبني . والثاني : أن الذي (مبنى ، وقد قالوا في تشيته (الذين) في الجر والنصب . وهي لغة القرآن كقوله تعالى : ﴿ وَرَبَّنَا أُرِيَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا ﴾ (٢) .

وأجاب عن الأول : بأنه إنما جاء هاتين بالياء على لغة الإعراب ، لمناسبة ابتى . قال : فالإعراب هنا أفصح من البناء ، لأجل المناسبة ، كما أن البناء في (إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ) أفصح من الإعراب ، لمناسبة الألف في هذان للألف في ساحران .

وأجاب عن الثاني بالفرق بين اللذان وهذان ، بأن اللذان تشية اسم ثلاثي ، فهو شبيه بالزيدان - وهذان تشية اسم على حرفين ، فهو عريق في البناء لشبهه بالحروف (٣) .

٩ - قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنبياء - ٨٨ .

قرأ ابن عامر وشعبة (نجى) بحذف النون الثانية مع تشديد الجيم .

(١) القصص - ٢٧ .

(٢) فصلت - ٢٩ .

(٣) انظر شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصاري .

واختارها أبو عبيد لموافقة المصاحف، وهى قراءة متواترة
صحيحة ولا عبرة بتلحين الزجاج والفراسى لها .
وقد وُجّهت هذه القراءة بأوجه :

منها : أن الأصل ننجى بنونين مضمومة فمفتوحة مع تشديد
الجيم فاستثقل اجتماع المثلين، فحذفت النون الثانية التى هى فاء
الفعل فصار نَجَّى . وعلى هذا التوجيه يكون الفعل مضارعاً .

ومنها : أن نجى فعل ماض مبنى لما لم يسم فاعله، وسكنت
ياؤه تخفيفاً، وأقيم ضمير المصدر مقام الفاعل، والتقدير نجى هو
أى النجاء المؤمنين : كقراءة أبى جعفر ﴿ لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴾ الجاثية - ١٤ ببناء الفعل لما لم يسم فاعله، مع نصب
قوماً . على إقامة ضمير المصدر مقام الفاعل : والتقدير ليجزى هو
أى الجزاء قوماً وذلك على مذهب الأخصى والكوفيين حيث
يميزون إقامة غير المفعول به مع وجوده، وهو الذى أشار إليه ابن
مالك فى ألفيته بجملة وقد يرد فى قوله :

وقابل من ظرف أو من مصدر أو حرف جر بناية حر
«ولا ينوب بعض هذى إن وجد فى اللفظ مفعول به وقد يرد»
وقرأ باقى القراء (ننجى) بضم النون الأولى، وسكون
الثانية وتخفيف الجيم مضارع أنجى وهى واضحة .

١٠ - قوله تعالى : (ومكر السبي)

قرأ حمزة باسكان الهمزة وصلًا من لفظ (السبيء) المجرور فى
قوله تعالى : ﴿ أَسْتَكْبَرًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ فاطر - ٤٣
وقرأ الباقيون بكسرها على الأصل .

وقد ضعف بعض النحاة قراءة حمزة، وتجراً بعضهم فقال: إنها لحن بحجة أن فيها حذفاً لحركة الإعراب، وهو لا يجوز في نثر ولا شعر وقال الزمخشري: لعله اختلس فظن سكوناً، أو وقف وقفة خفيفة، ثم ابتداء (ولا يحق).

ولا التفات إلى قول هؤلاء، فهي قراءة متواترة، وقارئها حمزة بن حبيب الزيات الذي يقول عنه صاحب الميزان: قد انعقد الإجماع على تلقي قراءة حمزة بالقبول، والإنكار على من تكلم فيها^(١).

وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض. وقال أيضاً عنه: ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر^(٢).

وقد وُجّهت هذه القراءة بأمرين:

أحدهما: أن تسكين الهمزة قصد به التخفيف من أجل توالي الحركات. كتسكين أبي عمرو البصرى بارئكم ونحوه.

ثانيهما: أن ذلك على إجراء الوصل مجرى الوقف.

وقد أكثر أبو علي في (الحجة) من الاستشهاد والاحتجاج للإسكان من أجل توالي الحركات، والاضطرار، والوصل بنية الوقف.

قال: فإذا ساغ ما ذكرنا في هذه القراءة من التأويل لم يسغ أن يقال إنها لحن.

(١) ميزان الاعتدال ٦٠٥/١.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى ٢٦٣/١.

وقال ابن القشيري : ما ثبت بالاستضافة أو التواتر أنه قرئ به فلا بد من جوازه، ولا يجوز أن يقال إنها لحن .

وأقول : ليست قراءة حمزة هي الوحيدة التي جاءت على هذا النحو بل هناك قراءة سبعية أخرى ورد فيها الإسكان أيضا على إجراء الوصل مجرى الوقف، فقد قرأ قنبل وهو أحد راويي ابن كثير - بإسكان الهمزة وصلًا من لفظ (سبأ) في قوله جل وعلا ﴿ وَجِئْتِكَ مِنْ سَبَأٍ نَبِيًّا يَقِينٌ ﴾ النمل - ٢٢ ، وقوله ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ﴾ سبأ ١٥ .

وهناك أيضا قراءة عشرية جاء فيها الإسكان كذلك على إجراء الوصل مجرى الوقف، فقد قرأ أبو جعفر بخلف عنه بسكون الراء مخففة من لفظ (تضار) في قوله تعالى : ﴿ لَا تُضَارُّوْا وَلِدَآءَكُمْ بِوَالِدِهِمْ ﴾ (١) ولفظ (يضار) في قوله : ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

على أن لا نافية والفعل بعدها مضارع مرفوع من ضاره يضيره فماضيه ثلاثي مجرد أجوف، وسكنت راء المضارع في الأيتين على إجراء الوصل مجرى الوقف، هذا ولا بد حينئذ من مد الألف الواقعة قبل الراء مدًا مشبعًا للساكنين .

فهاتان القراءتان (أعنى قراءتي قنبل وأبي جعفر) على غرار قراءة حمزة فإن فيهما حذفًا للحركة الإعرابية أيضا على إجراء الوصل مجرى الوقف وكلتا القراءتين متواترة .

(١) البقرة - ٢٣٣ .

(٢) نفس السورة - ٢٨٢ .

فإجراء الوصل مجرى الوقف شائع مستفيض ، وقد جاء في القراءة على صور متعددة كحذف حركة الإعراب كما تقدم آنفاً ، أو حركة البناء فقد مربك في مبحث ياءات الإضافة تسكين ياء محياى وكإثبات هاء السكت وصلًا عند من يثبتها في ماله ونحوه كما ذكرنا في المبحث الخاص بهاء السكت إلى غير ذلك من القراءات التي جاءت على هذا النحو .

أما قول الزمخشري فقد عقب عليه صاحب غيث النفع تعقيباً في غاية القوة حيث يقول : وقول الزمخشري لعله اختلس فظن سكونا ، أو وقف وقفة خفيفة مشعر بغلط الرواه ، وهو باطل ، لأننا لو أخذنا بهذه التجويزات العقلية في حملة القرآن لأدى ذلك إلى الخلل فيه . بل المظنون بهم التثبت التام ، والحرص الشديد على تحرير ألفاظ كتاب الله . وعدالتهم وخشيتهم من الله عز وجل تمنعهم من التساهل في تحمله ولا سيما فيما فيه مخالفة للجماهور فعندهم فيه مزيد اعتناء وهم أعلم بالعربية ممن يعترض عليهم ، وينسبهم للوهم والغلط بالتجويزات العقلية ، ولم يكن يتصدر في تلك الأزمان الفاضلة لإقراء كتاب الله إلا من هو أهل لذلك (١) .

(١) غيث النفع في القراءات السبع للصفاسي ص ٣٣١ .

خاتمة البحث :

وصفوة القول أن القراءة سنة متبعة ، فلا يجوز لأحد كائنا من كان أن يخالفها في قليل أو كثير ، وإذا ثبتت كانت هي الحجة البالغة .

وبناء على ذلك نقول : كل ما جاز قراءة جاز لغة ، وليس كل ما جاز لغة جاز قراءة : ولتوضيح ذلك نذكر لك على سبيل المثال قراءة ابن عامر التي قدمناها والتي جاء فيها الفصل بين المتضايين بالمفعول به ، فإنها تعد حجة بالغة في جواز هذه القضية (أعنى قضية الفصل بين المتضايين) وإلى هذا الجواز ذهب الكثير من العلماء المخلصين المنصفين لورود القراءة بذلك كابن مالك النحوى فقد جعلها في قمة الاحتجاج على جواز هذه القضية حيث قال في كافيته الشافية :

وحجتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر
ونذكر لك أيضا قوله تعالى في فاتحة كتابه العزيز: ﴿ اَلْحَمْدُ
لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ فقد اتفق القراء على جر لفظ (رب) الواقع صفة
للفظ الجلالة وذلك على إتباع الصفة لموصوفها ، ولا يجوز قطع
الصفة عن موضوعها فيرفع لفظ رب على أنه خبر لمبتدأ محذوف
والتقدير هورب ، أو يُنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف
والتقدير أمدح رب مع أن كلا من الرفع والنصب جائز لغة على
القطع - لا يجوز ذلك لأن القراءة لم ترد إلا بالجر والقراءة سنة
متبعة .

وهذا آخر ما يسره الله تعالى من الكلام على هذه القراءات
القرآنية وبيان وجهها في العربية . والرد على من وقف منها من
النحاة موقف المعارضة والتخطيء .

والله أسأل أن ينفعنا جميعا بالقرآن العظيم ، ويجعله لنا إماما
ونورا وهدى ورحمة ، ويذكرنا منه ما نسينا ، ويعلمنا منه ما جهلنا
ويرزقنا تلاوته آناء الليل والنهار ، ويجعله لنا حجة : كما أسأله جل
وعلا أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وينفع به ،
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - كتب السنة الصحاح .
- ٣ - (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر) للدمياطي ط عبد الحميد حنفي بمصر .
- ٤ - (الانتصاف من الكشاف) (بهامش الكشاف) لابن المنير .
- ٥ - ألفية ابن مالك .
- ٦ - (التبيان في اعراب القرآن) لأبي البقاء العكبري تحقيق على محمد البجاوي .
- ٧ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) لابن مالك تحقيق الاستاذ محمد كامل دار الكتب العربي .
- ٨ - تفسير روح المعاني للألوسي .
- ٩ - (التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط) لابي حيان طبع السعادة .
- ١٠ - (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي .
- ١١ - (حاشية الخضري على شرح ابن عقييل) .
- ١٢ - (حاشية الصبان على شرح الأشموني) .
- ١٣ - (حاشية العليمي على التصريح) للشيخ يس العليمي طبع الحلبي .
- ١٤ - (الحجة في القراءات السبع) لابن خالويه .
- ١٥ - (خزانة الأدب) للبغدادى .
- ١٦ - (الدفاع عن القرآن) للدكتور أحمد مكى الأنصارى .
- ١٧ - (سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى) لابن القاصح .

- ١٨ - (شذور الذهب في معرفة كلام العرب) لابن هشام .
- ١٩ - (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك) .
- ٢٠ - (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) .
- ٢١ - (شرح التصريح على التوضيح) للشيخ خالد الأزهرى .
- ٢٢ - (غاية النهاية في طبقات القراء) لابن الجزرى .
- ٢٣ - (غيث النفع في القراءات السبع) للصفافسى .
- ٢٤ - (القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب) لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى .
- ٢٥ - (القاموس المحيط) للفيروز ابادى .
- ٢٦ - (الكشاف عن حقائق التنزيل) للزمخشرى) .
- ٢٧ - (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها) لمكى بن أبى طالب .
- ٢٨ - (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) للذهبي .
- ٢٩ - (المعجم الوسيط) مجمع اللغة العربية .
- ٣٠ - (النشر في القراءات العشر) للمحقق ابن الجزرى .
- ٣١ - (همع الهوامع شرح جمع الجوامع) للسيوطى .
- ٣٢ - (الوافى في شرح الشاطبية) لفضيلة أستاذنا الشيخ عبد الفتاح القاضى .

بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ البَقَاعِيِّ

وَكِتَابُهُ نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّورِ

د : محمد بحيرى إبراهيم

أستاذ مشارك بقسم التفسير بالكلية •

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على المبعوث رحمة
للعالمين ، سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وعلى آله
وصحبه والتابعين ، وبعد :

فإن من يقلب صفحات تاريخنا الإسلامى العريق ، يجده
مليئاً باعلام من الشخصيات الفريدة ، تميزت بنصيب وافر من
الإيمان ، والعمل والجهاد المنطلقين من هذا الإيمان ، فأمدت
التراث الإسلامى الخالد بنتاج فكرى غزير ومحصول علمى عميق
ورفيع ، فى مختلف النواحي ، وبخاصة ما يتعلق منها بخدمة كتاب
الله قراءةً وتجويداً وشرحاً وتفسيراً ، قاصدين ومبتغين بذلك وجه
رهم الكريم الذى لا تضيع عنده الأعمال الصالحة .
ومن هذه الشخصيات الفذة ، عالم الشام البارع ، الإمام
الجليل ، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعى ،

● عاد إلى عمله بجامعة الأزهر بعد أن انتهت مدة إعارته للكلية .

وشهرته (إبراهيم البقاعى) صاحب التصانيف العديدة، والفنون
الفريدة، وعلى رأسها كتابه التفسيري الكبير المسمى بـ (نظم
الدرر في تناسب الآيات والسور) (١).

مولد البقاعى : مكانه وزمانه :

في منطقة من مناطق الشام المبارك، الذى طيب الله ثراه
بكثير من أنبياء الله تعالى ورسله صلى الله عليهم جميعا وسلم، في
تلك المنطقة الطيبة التى أصبحت بعد الفتح الإسلامى مهداً لكثير
من العلماء، ومقصداً لطلاب المعرفة والثقافة، في مختلف العلوم
وسائر الفنون، وفي مكان على مرحلة من دمشق الفيحاء يسمى
(البقاع) ولد الشيخ الجليل (البقاعى) في القرن التاسع الهجرى،
وعلى وجه التحديد سنة تسع وثمانمائة هجرية، بقرية تسمى
(خربة روحا) من أعمال محافظة البقاع وكانت آنذاك تابعة
لسورية .

هذا ولم تتفق كلمة المؤرخين على تحديد شهر مولده من
ذلك العام، ولا يومه من ذلك الشهر، وكل ما أمكنهم تحديده هو
العام التاسع من القرن التاسع الهجرى (٢)

(١) كان هذا المؤلف العظيم إلى عهد قريب مازال مخطوطاً إلى أن أذن الله له أن يرى النور
ويُرى الناس معالم طريقهم بعد أن أعيتته ظلمة السجن مئات السنين . على أيدي بعض من علماء
الهند المخلصين فشرعوا في طباعته مشكورين، ونأمل أن يبارك الله جهودهم ويشد من أزرهم حتى
يستكملوا طباعته ليعم نفعه المسلمين .

(٢) أنظر معجم البلدان : ج ١ : ص ٦٩٩، عنوان الزمان في تاريخ الشيوخ والاقربان
للبقاعى : ج ١ : ص ١٤٢ .

أسرته ومكاتبها الاجتماعية :

ينحدر الإمام البقاعي من أبوين صالحين فقيرين ،
يعتمدان في أمورهما المعيشية وحياتهما الاقتصادية على الله وحده ،
حيث كان أبوه لا يكثرث بقله الرزق ولا يعبأ بضيق الحال .
ويحكي البقاعي الابن نفسه أنه كان كثيرا ما يسمع والده
يتمثل بأبيات من شعر تعبر عن عظيم ثقته بالله تعالى وعميق
توكله عليه ، وحسن إسلام وجهه لربه تعالى ومن هذه الأبيات قوله
من الرجز :

كِلِ الْأُمُورِ إِلَى الْقَضَا وَلَا تَكُنْ مُعْتَرِضَا
فَلرَبِّمَا اتَّسَعِ الْمَضِيقُ وَرَبِّمَا ضَاقَ الْفَضَا

ولرب أمر متعب لك في عواقبه الرضا
الله يفعل ما يشاء فلا تكن معترضا

وهذا لعمرى هو الإيمان الصادق ، واليقين الثابت الذى
يغنى النفس بالقناعة ويملأ القلب بالرضا ، مهما أصاب الإنسان
من شظف العيش وقسوة الحياة وليس هذا بالكثير على رجل يحفظ
القرآن الكريم ويحب سماع العلم الشريف ، ويسعى إليه حيث
كان ، ويكثر من مخالطة أهله وينتفع بسؤالهم مثل والد الإمام
البقاعي رضى الله عنهما (١) .

نشأة البقاعي : وفي حجر هذا الوالد الصالح نشأ البقاعي
الأبن ، فحفظ القرآن الكريم ، ثم نظر إلى من حوله من أفراد
أسرته الكبيرة ، فوجد العلماء الاتقياء ، كما وجد الصناديد

(١) عنوان الزمان : ج ٢ : ص ٣٦٧ .

الشجعان، والكرام الأجداد، الذين ملأوا الدنيا علماً وكرماً، وأروا الناس من شجاعتهم النادرة وكرمهم الغامر الشيء الكثير، في غدوهم ورواحهم، وحلهم وترحالهم، فعاش البقاعى الصغير غصناً في هذه الشجرة الوارفة الظلال الطيبة الثمار، فتأثر بهم أعظم تأثر، وانطبعت في نفسه هذه الأخلاق الكريمة وتلك الشرائع الحميدة، والبطولات الفذة التى هيات له فيما بعد الاشتراك فى كثير من الغزوات الحربية التى لم يكن لها من مقصد سوى إعلاء كلمة الله تعالى ورفع راية الإسلام .

ولقد أهاج هذا الجوالعلمى الذى كانت عليه أسرة البقاعى عوامل النبوغ المبكر لديه فضلاً عما كان يمتاز به من مواهب ظهرت أشعتها وانبتق نورها فى مراحل حياته الأولى ، فأجاد حفظ القرآن الكريم ، وتعلم الكتابة والقراءة، ثم تطلع إلى العلم منذ نعومة أظفاره فقابل العلماء من أهل عصره واتصل بهم وتعلم عليهم (١) .
شخصيته : ولقد عاش الإمام البقاعى مكابداً فى الحياة، لأنه كما سبق أن أشرنا كان فقيراً فى أسرة فقيرة، لم يقارف فى ظروف حياته ما قارفه الآخرون، كالدنوم أصحاب السلطان وأولى الأمر .

الأمر الذى يجعلنا نقول إن البقاعى نشأ عصامياً، معتمداً على الله وحده فى رسم طريق حياته، ووضع منهجه فيها، والعمل على طلب العيش الشريف بشتى الوسائل الكريمة فعمل فى

(١) ومن أشهر من تعلم عليهم، الحافظ ابن حجر العسقلانى المصرى: ولد سنة ٧٧٣هـ، وشمس الدين محمد بن الجزرى: ت ٨٣٣هـ، والغزبنى الفراتى: ٨٤٨هـ، وغيرهم . . .

وظيفة تعليم الأطفال القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم كما عمل نساخا لبعض كتب غيره من معاصريه وغيرهم نظير أجر معلوم، لما كان يتمتع به من حسن خط وبراعة نسخ .
ولما أصابته حرفة الكتابة والتأليف توقف بعض الشيء عن الاهتمام بغيرها وإذا كان أى إنسان لا يستطيع أن يشق طريقه في الحياة، ويسلك دروبها الوعرة^(١) إلا بما يتمتع به من حسن الاخلاق وكريم العادات، وطيب الشمائل والصفات فلقد كان الإمام الجليل (البقاعى) يتمتع في هذا الميدان بنصيب كبير من أخلاق خلص المؤمنين (صفاء قلب ونقاء ضمير لا ضغينة معها ولا حسد) .

ولقد أساء إليه الكثيرون، واجتهدوا في الإضرار به، ولكنه عفا عنهم أحياء، وسامحهم أمواتا، بل قابل اساءات الكثيرين منهم بالاحسان إليهم . وكان من أبرز أخلاقه أنه لا يرضى النفاق ولا يقبل التسلق على حساب الغير، ولا يستسيغ التحلل ولا الفسوق، بل كان يقف في وجه من يخرج على الاخلاق المستقيمة، والعادات القويمة، مواقف شديدة، مبعثها الغيرة الدينية، وعمادها الشجاعة الادبية، مهما كلفه ذلك من ثمن^(٢) .

عقيدته ومذهبه الفقهى :

يتفق المؤرخون على أن البقاعى كان أشعري العقيدة، كما كان شافعى المذهب، وان كان قد سمع من غير الشافعيين في

(١) الضوء اللامع : ج ١ : ص ١٢٠ .

(٢) كتبنا ذلك بتوسع في رسالتنا عن البقاعى وجهوده في التفسير - رسالة دكتوراه : ص ٨١ .

الفقه، إلا أنه تعمق وتبحر في المذهب الشافعي ودرس مسائله وأبوابه على علماء الذين تهيأ له اللقاء بهم والأخذ عنهم، ومن أشهرهم فقهاء الشام ومصر من أمثال :-

(١) شرف الدين السبكي .

(٢) شمس الدين القباني .

(٣) ابن قاضي شهبه .

وفاته وزمانها :

وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، غنية بالعلم والجهاد، والتلاميذ والاتباع توفي هذا العالم الكبير عن عمر بلغ ستة وسبعين عاما، وكانت وفاته سنة خمس وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية الشريفة، فرحمه الله رحمة واسعة .

تأليف البقاعي في التفسير :

لقد ألف برهان الدين البقاعي مؤلفات كثيرة ورسائل متعددة في مختلف العلوم .

نلقى الضوء على أهم هذه المؤلفات وهي (التفسير منها) فنقول :

لقد كان للإمام البقاعي في هذا الميدان كتابان عظيمان :
الأول : وهو العمدة ويسمى (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) .

الثاني : وهو مؤلف عظيم الفائدة شريف الغاية أيضا ويسمى (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) وهو ما زال مخطوطا بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٣٢٣) ب .

أما الأول فهو مؤلف لم يسبق إليه حيث ذكر فيه ما وفقه الله تعالى إليه من مناسبات بين ترتيب السور والآيات مع التفسير التحليلي العميق بعد أن أطال التدبر والتفكير في آيات الكتاب العزيز وسوره الكريمه امتثالاً لقول الله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وهذا المؤلف مخطوط بدار الكتب المصرية ويقع في ست مجلدات تتراوح صفحات كل منها ما بين (٧٠٠-٩٥٠) صفحة .

يقول البقاعي في هذا المقام : فلا تظن أيها الناظر في كتابي هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف عنها . . . فربّ آية أقمت في تأملها شهوراً .

وقد بدأ تأليف هذا الكتاب في أول شهر شعبان سنة إحدى وستين وثمانمائة هجرية، وكان فراغه من مسودته في يوم الثلاثاء سابع شعبان سنة خمس وسبعين وثمانمائة هجرية بالقاهرة، فتلك أربع عشرة سنة كاملة كما أنه فرغ من المبيضة في عصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة ثنتين وثمانين وثمانمائة من الهجرة بمنزله الملاصق للمدرسة البادرائية في دمشق فتلك إحدى وعشرون سنة هي مدة تأليفه لهذا الديوان العظيم .

المناسبات بين السور والآيات في آراء العلماء :

قبل هذا المنهج الفريد الذي أبرزه البقاعي بتأليفه كتابه (نظام الدرر في تناسب الآيات والسور) كان موقف المفسرين الذين يتناولون كتاب الله تعالى بالبيان أن يفسروا الجمل في آياتها والآيات في سورها تفسيراً صرفاً دون أدنى نظر أو محاولة للربط بين

آيات كل سورة على حده، ولا لمعرفة سر تعقيب تلك الآية بهذه الآية، أو نظراً إلى آية أخرى في سورة سبقت، أو علاقة السورة بالسورة قبلها .

وهذا النوع من المفسرين الذين أهملوا هذه النواحي المفيدة، هو نوع لم يكلف نفسه عناء البحث عن الحكمة العظيمة وسر ترتيب الظاهر لآيات القرآن الكريم وسوره، وما ينطوي عليه ذلك من معان وأسرار دقيقة وعميقة .

ونود أن نبين أن وضع السورة القرآنية على ما هي عليه في المصحف الشريف وترتيبها ذلك الترتيب المخصوص، لم يكن عبثاً ولا سدى، عديم الفائدة، بل مبناه ومعناه قائم على الحكمة الألهية الدقيقة، وهو من الإعجاز القرآني بمكان .

والبحث في هذا الميدان هو بحث قيم الفائدة، عظيم الاثر، ملئ بالعلوم الدينية والاجتماعية التي لم يتعرض لظهارها وتجليتها تجلية كاملة سوى الإمام البقاعي الذي أظهر ببحثه هذا أن القرآن الكريم كل مترابط وسلسلة متصلة الحلقات .

وينبغي أن ننبه إلى أن كل من سار قبله في هذا الميدان قد أخفق، وكل من حاول تلك المحاولة قد خانته اجتهاده ولم تسعفه طاقته، وهذا يوضح لنا بجلاء قدرة البقاعي العلمية ومقدرته الفكرية التي مكنت له وساعده على ارتياد هذا المرتقى الصعب .

وصدق من قال : على قدر أهل العزم تأتي العزائم .
وقبل أن نستعرض آراء المفسرين ومواقفهم من المناسبات القرآنية يحسن بنا أن نبين معنى المناسبة فنقول :

المناسبة في اللغة : المقاربة ، يقال فلان يناسب فلاناً أي يقاربه ويشاكله ومنه النسب الذي هو القريب المتصل كالأخوين ونحوهما ، وإن كانا متناسبين بمعنىً رابطٍ بينهما وهو القرابة .
ومنه المناسبة في العلة في باب القياس : الوصف المقارب للحكم ، لأنه إذا حصلت مقارنه له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ولهذا قيل : (المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول) .

ثم قال صاحب البرهان^(١) : واعلم أن المناسبة علم شريف يعرف به قدر القائل فيما يقول ، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها والله أعلم إلى معنى رابطٍ بينها . اهـ . وقد وقف العلماء من هذا الفن والخوض فيه مواقف مختلفة ، فبعضهم أجازه لفائدته الجليلة ، وبعضهم منعه .

قال الزركشي في البرهان : وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لقلته ومن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

وقال بعض الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعاً . وهذا النوع أهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة^(٢) .

وقال الشيخ الشهرستاني^(٣) : أول من أظهر علم المناسبات

(١) البرهان للزركشي : ج ١ : ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق : ج ١ : ص ٣٥ .

(٣) نسبة إلى شهریان وهي شرقی بغداد يُنسب إليها كثير من العلماء .

ببغداد ولم نكن قد سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر
النيسابوري^(١)، وكان غريز العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول
على الكرسي إذا قرئت عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب
تلك؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه
السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة .

رأى الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وحاصله : إن
المناسبة علم حسن، لكن يُشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع
بين متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط
فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر
عليه إلا بربط ركيك يُصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه،
فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة وأسباب
مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضها ببعض، إذ لا يحسن أن
يرتبط تصرف الآله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف
العلل والأسباب كتصرف الملائك والحكام .

وقد أورد الزركشى على الرأي السابق ردًّا لبعض مشايخه
المحققين حيث قال : وقد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة
مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على
حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا فالمصحف
كالمصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره
كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن لو استفتى في أحكام متعددة
أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سُئل عنه وإذا

(١) هو الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد النيسابوري، الفقيه الشافعي الحافظ، رحل في طلب
العلم إلى بلاد كثيرة ثم سكن ببغداد وتوفي سنة ٣٢٤هـ .

رجع إلى التلاوة لم يقل كما أفتى ولا كما نزل مفزقاً بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة . . . والذي ينبغي في كل آية أن يُبحث قبل كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ .

ففي ذلك علمٌ جم وهكذا في السورة يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له . . .

ثم قال الزركشى : وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي وهو الراجح / اهـ .

والحقيقة : أن تعليلهم عدم طلب المناسبة بين الآيات والسور باختلاف أسباب النزول والحوادث المقتضية له أو تناقضها، وهو بالتالي يؤدي إلى اختلاف القرآن النازل نفسه كاختلاف الحوادث والأسباب، لا يُسلم لأمرين :

الأول : أن الله تعالى هو الذي أنزل القرآن مفزقاً هذا التفريق، وكان ذلك منه تعالى لحكم كثيرة بين سبحانه بعضها في قوله تعالى : وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا .

وقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ .

الثاني : أن من أنزله مفزقاً سبحانه وتعالى هو الذي أمر بترتيبه هذا الترتيب المشاهد بين الآيات والسور، وكان ذلك بتوجيه جبريل لرسول الله عليهما الصلاة والسلام، وقد كان ذلك أيضاً لحكمة، لاستحالة خلوفعل من أفعاله تعالى عنها ودخوله في دائرة الباطل والعبث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فهل هناك من

بأس إذا أعمل الإنسان فكره وأضنى عقله في التماس علة تعقيب
السورة بالسورة والآية بالآية؟ .

إن ذلك لمن عظيم التفكير وكبير التدبر الذين دعانا إليهما
القرآن الكريم في أكثر من موضع منه ، قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كثيرًا ﴾ .

وقال عز من قائل : أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا
إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّأْنَهُمْ لَهُمُ الْعَذَابُ الشَّدِيدَ
سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿ ، وقال تعالى : لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ
جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ .

وأمام هذه الدعوة القرآنية إلى إعمال الفكر فيه هب كثير من
العلماء إلى ارتياد هذا المجال فممن تكلم في بعض هذه
المناسبات ، ولم يكن كلامهم على كل سورة في مكانها ولا على كل
آية في سورتها :

١ - الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ في تفسيره
الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب) .

٢ - الإمام البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ في تفسيره المسمى
بـ(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) .

٣ - الإمام نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري المتوفى
سنة ٧٢٨هـ في تفسيره المسمى بـ(غرائب القرآن ورجائب
الفرقان) .

٤ - الإمام محمد بن مصطفى العمادي الشهير بأبي السعود

المتوفى سنة ٩٨٢هـ في كتابه التفسيري (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) وغير هؤلاء .

وكان من القسم الثاني ، الذين أفردوا هذا الفن بالتصنيف والتأليف :

١ - أبوبكر بن العربي ؛ الذي نقل عنه البقاعي قوله في سراج المرديدن : إن ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ؛ ثم فتح الله لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله تعالى ورددناه إليه (١) .

فكان مثله في ذلك مثل القائل :

عَزَلْتُ لَهُمْ غَزْلاً رَفِيعاً فَلَمْ أَجِدْ
لِغَزَلِي نَسَاجاً فَكَسَّرْتُ مَغْزَلِي

فهاتان محاولتان لعالمين جليلين خوض هذا الميدان واجتلاء أسراره إلا أنهما لم يكملا الطريق ، أما أولهما فلم يسعفه اجتهاده ، وأما الثاني فهو وإن كان قد توفرت له عوامل الاجتهاد واكتملت له أسبابه إلا أنه لم يجد لهذا الفن من يستطيع حمله فأوصد هذا الباب وجعله بينه وبين الله تعالى .

٢ - ابو جعفر بن الزبير ، وكتابه في ذلك هو (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن) . وقد أفاد الإمام البقاعي كثيرا منه في مناسباته المشهورة ، توفي سنة ٧٠٧هـ .

٣ - ومن أفرد هذا النوع بالتصنيف أيضاً الإمام (ابن

(١) نظم الدرر: ج ١: ص ٣، البرهان: ج ١: ص ٣٦ .

النقيب الحنفى) فقد ذكر البقاعى ان كتابه كان من مراجعه الهامة، وأنه يقع في نحو ستين مجلدا يذكر فيه المناسبات إلا أنه يتحدث عن مناسبة الآيات لا جملها ويخص بهذا البيان آيات القصص لا جميع الآيات القرآنية .

٤ - ثم يأتى بعد هؤلاء وأولئك الإمام (إبراهيم بن عمر البقاعى) ليخوض هذا الميدان بجدارة ويرتاد هذا الطريق بجسارة علمية عميقة وجهود ذهنية موفقة، ومن نظر كتاب المناسبات للبقاعى وقارنه بغيره عرف النسبة بين المنهجين والفرق في الإجابة بين العاملين، كما أنه يتضح له بجلاء عظيم الدور الذى لم يقم به أحد قبل البقاعى لثقل حملة وكبر مسئوليته، فقام هو وحده مدركاً لأبعاده متحملاً لمسئوليته واثقاً من مقدرته العلمية وطاقته الفكرية، مسلماً بما يؤهله لكبح جماح هذا الحصان الذى استعصى قياده على كثير من الفرسان، فكان البقاعى فارس حلبته غير منازع وقابض زمامه غير مدافع، حيث تعرض فى عمله هذا لما لم يتعرض له من قبله من تناسب بين السور بعضها مع بعض والآيات كذلك بل وأجزاء الآية وارتباط بعضها ببعض على أحكم ربط وأدق تناسب، وكل من تكلم فى المناسبات بعد البقاعى إنما هو تلميذ له يقتفى أثره ويترسم خطاه وان لم يتكلم بالشمول والاحاطة كما تكلم البقاعى فى مناسباته .

الأسس التى بنى البقاعى تفسيره عليها :

وقد تبين لنا بعد اطلاعنا المتأنى على تفسير البقاعى ومناسباته، ودراسته دراسة واعية استغرقت عاماً كاملاً دون توقف أو انشغال بسواه أن الشيخ الجليل قد سار فى تأليفه لهذا الديوان العظيم على أسس منهجية أصيلة وخطوات ثابتة مكينة .

ونظرا لتعدد هذه الاسس وكثرة رأيها رأينا أن نقتصر على بيان أهمها وأكثرها بروزا في تفسيره وظهورا في مناسباته وقد حصرناها في قسمين :

١ - قسم منها قد استعمله بطريقة مطردة وصفة مستمرة في طول الكتاب وعرضه ، بحيث لم يتخل عنه في موقف من المواقف التي تتطلبها ، وهذا القسم يتمثل في ثلاثة أسس :

الأول : بيانه لمقصود كل سورة وهدفها مع بداية تفسيره لهذه السورة .

الثاني : تفسيره للبسملة أول كل سورة بما تتناسب مع مقصود هذه السورة .

الثالث : اهتمامه البالغ بإظهار المناسبات بين السور والآيات ، بل بين جمل الآيات وربما كلماتها .

٢ - قسم ثان قد اشتمل على أسس كثيرة ولكن لم يبلغ الاهتمام بها والعناية بإبرازها مبلغ القسم الأول ، بل تأتي في المقام الثاني ، ومن أهم هذه الأسس مايلي .

١ - مراعاته للتفسير النقلي أو التفسير بالمأثور في مواضع كثيرة من تفسيره .

٢ - عنايته بالرسول ﷺ وسنته في مواجهة المعاندين حينما تتطلب الآيات منه ذلك .

٣ - تمحيصه لجانب العقيدة في تفسيره وبيانها في مختلف الكتب السماوية .

٤ - إبرازه للنواحي اللغوية والبلاغية في تفسيره وتحليلها .

٥ - اهتمامه بالقراءات الواردة في الآية الكريمة وتوجيهها .

ونبدأ في بيان هذه الأسس واحداً بعد الآخر، وكيف أبرزه البقاعى في تفسيره، وإلى أى مدى كانت خدمته له وذلك من خلال نماذج من تفسيره تتجلى فيها مراعاته لهذه الأسس أتم مراعاة .

ففى مجال الأساس الأول نلاحظ أن البقاعى يرى أن لكل سورة من القرآن غرضاً تهدف إليه وتدور آياتها عليه مهما اختلفت كل آية فى مرماها ومغزاها قربت من غرض سورتها أو بعدت عنه، وهو فى بيانه لهذا الغرض أو المقصد للسورة يتعرض لبيان أدل شىء فى السورة على هذا المقصد .

والبقاعى فى هذا الأمر يرى أن اسم كل سورة مترجم عن مقصدها لأن اسم كل شىء تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه، ومن أمثلة ذلك بيانه لمقصود سورة الإسراء حيث يقول :

وتسمى سورة سبحان، والاسراء، وبنى اسرائيل، وكل اسم من أسمائها هذه واضح الدلالة على مقصودها وهو : الاقبال على الله وحده وخلع كل ما سواه، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور وتفضيل بعض الخلق على بعض وذلك هو العمل بالتقوى التى أدناها التوحيد الذى افتتحت به سورة النحل وأعلاها الاحسان الذى اختتمت به وهو الغناء عما سوى الله تعالى .

ثم بين كيف يدل كل اسم من أسمائها على هذا المقصود فيقول :

أما سبحان : الذى هو علم التنزيه فأظهر ما يكون فيه أن من كان على غاية النزاهة عن كل نقص كان جديراً بالأعباد إلا إياه وأن يعرض عن كل ما سواه لكونه متصفاً بما ذكر وأما بنو إسرائيل : فمن أحاط أيضاً بتفاصيل أمرهم فى سيرهم إلى

الأرض المقدسة هو كالإسراء وإيتائهم الكتاب وما ذكر مع ذلك من أمرهم في هذه السورة عرف ذلك المقصود (١) .

وغير خاف ما في تسميتها (بالإسراء) من دلالة واضحة أيضاً على هذا المقصد وهو : الإقبال على الله وحده وخلع كل ما سواه فهو وحده القادر على تلك المعجزة الكبرى التي تمت لرسول الله ﷺ حيث انتقل به سبحانه مجطماً حاجز المكان والزمان من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام ثم عرج به من هناك إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى ، إلى جنة المأوى فسبحان من هذا صنعه وتلك قدرته .

وفي مجال الأساس الثاني : نجد البقاعى في تطبيقه هذا الأساس أثناء تفسيره لا يخرج عن معانى كلمات البسمة اللغوية فى شىء ، كما لوحظ أنه أحياناً يقدم تفسير البسمة على مقصود سورتها وأحياناً يقدم مقصود السورة على تفسيرها وهذا مما لا يغير من الأمر شيئاً .

وبالنظر فى النموذج التالى يتبين لنا مصداق هذا المنهج وكيف استطاع البقاعى بسعة علمه أن يجعل البسمة بكلماتها القليلة متفقة فى معناها ومتلائمة مع مقصود كل سورة من سور القرآن الكريم . حيث قال عند تفسيره لسورة (آل عمران) (٢) :

«بسم الله الواحد المنفرد بالاحاطة بالكمال» .

«الرحمن» الذى وسعت رحمته كل مخلوق فأوضح للمكلفين طريق النجاة .

(١) نظم الدرر: ج ٣: ص ٤٤٤ .

(٢) انظر (نظم الدرر: ج ١: ص ٥٢) .

«الرحيم» الذى اختار أهل الايمان لمحل أنسه ومواطن جمعه
وقدسه .

وقد كان تفسيره لهذه البسمة صادرا عن فهمه لمقصود تلك
السورة حيث بينه بقوله : المقاصد التى سيقت لها هذه السورة
هى :

١ - إثبات الوجدانية لله تعالى .

٢ - الإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما مما
آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئا فى الدنيا ولا فى
الآخرة .

٣ - أن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذى ينبغى
الإقبال عليه والمسارة إليه ، وفى وصف المتقين بالإيمان ، والدعاء ،
والصبر والصدق ، والقنوت ، والإنفاق ، والاستغفار وغير ذلك ما
ينعطف عليه كثير من أفانين أساليب هذه السورة . هذا ما كان ظهر
لى أولاً ، وأحسن منه أن يخص المقصد الأول وهو «التوحيد»
بالمقصد لأن الأمرين الآخرين يرجعان إليه ، وذلك لأن الوصف
بالقيومية يقتضى القيام والاستقامة ، فالقيام يكون على كل نفس ،
والاستقامة «العدل» كما قال تعالى : «قائما بالقسط» أى بعقاب
العاصين وثواب الطائعين وهذا يقتضى من المرء ترك العصيان
ولزوم الطاعة . ثم قال : وهذا الوجه أوثق للترتيب / اهـ .

وهذا الاتجاه الذى سلكه الإمام البقاعى فى ربط البسمة
بمقصد كل سورة وتفسيرها على أساسه إن دل على شىء فإنما
يدل على مقدرة فائقة فى مجال التفسير والنظر فى الآيات والصور
نظرة عميقة دقيقة توقفه على علاقات الآيات بعضها مع بعض
الأمر الذى يوصله إلى مقصد كل سورة بحسبها ثم يقتضى ذلك

في نظره أن يفسر بسملتها بما يوافق ويتلاءم مع هذا المقصود .
وذلك لان البقاعى يرى أنها لم تقع موقعها في اول كل سورة
لمجرد التبرك بذكرها ولكنها آية اتسع معناها وعمق مفهومها حتى
وسع مقصود كل سورة من سور القرآن الكريم صدرت بها ، وهذا
يظهر بجلاء مدى الإعجاز القرآنى الكريم الذى من دلائله أن آية
واحدة مثل «البسمة» وسعت كل هذه المعانى القيمة التى
تضمنتها سور التنزيل الحكيم ، فسبحان من أنزله معجزاً خالياً من
الإختلاف والتفاوت .

وفي مجال الاساس الثالث : وهو «التناسب بين السور والآيات» :

أوضح الإمام البقاعى أن وضع السور على ماهى عليه
وترتيبها ذلك الترتيب الذى نراه في مصحف اليوم لم يكن عبثاً أو
خلواً عن الحكمة الدقيقة ، وإنما اقيم هذا الترتيب على تلك
الحكمة العظيمة والاتقان الألهى البديع .

لقد كان همُّ المفسرين قبل البقاعى كما أوضحنا سابقاً أن
يفسروا القرآن تفسيراً يتناول معانى الكلمات في جملها والجمل في
آياتها والآيات في سورها مع تطرق من بعضهم إلى بعض النواحي
الأخرى كأسباب نزول الآيات وموضوع هذه الآيات والأحكام
الممكن استنباطها من هذه الآيات أو تلك دون أن يتطرقوا إلى
شئ من هذا التناسب لا بين السور ولا بين الآيات .

وهذا التفسير الذى أهمل هذه النواحي الجليلة التى تظهر ما
في كتاب الله الكريم من ترابط وإحكام وتآلف وتآزر بين الآيات
والسور وما عليه من تناسق لفظى وإحكام معنوى يُشعر بأنه بناء
شامخ عظيم ، إنما هو تفسير قد ترك خيراً كثيراً وفاته نفع عظيم
أودع في باب المناسبات القرآنية بين السور والآيات .

وهذا لعمري بحث قيم الفائدة، ملئ بالعلوم الدينية والاجتماعية التي لم يتعرض لبحثها وخوض غمارها بوجه كامل وشامل سوى الشيخ (إبراهيم البقاعي) الذي بين بعمله هذا أن القرآن كل مترابط يتبع بعضه بعضاً ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وقد تناول البقاعي المناسبات بين السور من ثلاث نواحي :

الناحية الأولى: ارتباط نجوم السورة الواحدة بعضها ببعض .

الناحية الثانية: مناسبة أوائل السورة لآخر ما قبلها مباشرة أو بدون مباشرة .

الناحية الثالثة: مناسبة آخر السورة لأولها .

ففي الناحية الأولى نقول: إن البقاعي قد أمعن النظر في كل سورة على حده محاولاً ربط نجومها برباطٍ وثيق ليجعل من السورة سلسلة متصلة الحلقات لتكون لبنة فعالة في بناء صرح القرآن المجيد، وكأني به يقول:

أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة، يحسبها الجاهل أضغاثاً من المثاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المعاني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرتها بنية متماسكة وقد بُنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأقنية في بنيان واحدٍ قد

وُضِعَ رسمه مرةً واحدةً، فلا تحس بشيء من تنافر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة كما ترى بين آحاد الواحد نهاية التضام والالتئام، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانه بأمر من خارج المعاني أنفسها .

ولما ختمت سورة الحج ببدء المؤمنين وأمرهم بأموال الدين خاصة وعامة وختمت بالصلاة والزكاة والعصمة به سبحانه موصوفاً بما ذكر أوجب ذلك توقع المنادين كل خير، فابتدئت هذه بما يتم الاعتصام به سبحانه من الصلاة وغيرها من خلال الدين في الدارين فقال تعالى مفتتحاً بحرف التوقع: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وعبر بالاسم إشارة إلى أن من أمر بالايان وعمل بما أمر به في آخر التي قبلها استحق الوصف الثابت لأنه اتقى وأنفق مما رزق فأفْلَحَ ﴿وَمَنْ يُوقِ شَخِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وهذا المعنى قد تضمنه النجم الأول من السورة (١-١١) . . .

ولما ذكر سبحانه الجنة في آخر النجم الأول المتضمن ذكرها للبعث استدل على القدرة عليه بابتداء الخلق للإنسان، ثم لما هو أكبر منه من الأكوان وما فيها من المنافع (١٢-٢٢) . . .

فلما ثبت ذلك، شرع يهدد من استكبر عنه بإهلاك الماضين، وابتدأ بقصة نوح عليه السلام لأنه أول نبي ولأن نجاته كانت في الفلك المختوم به الآية الأخيرة من النجم الثاني وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تُحْمَلُونَ﴾ وفي ذلك ما فيه من تذكير بنعمة النجاة فيه لأن الكل من نسله . . . فلما ثبت بالتهديد بإهلاك الماضين القدرة التامة بالاختيار، خوفاً العرب مثل ذلك العذاب (٢٢-٧٧) . . .

فلما تمَّ الزجرُ بالنقم، شرع في الاستعطاف إلى الشكر
بالنعم بتمييز الإنسان على سائر الحيوانات ونحو ذلك
(٧٨-٨٠).

ثم عاد إلى دلائل القدرة على البعث بالوحدانية والتنزه عن
الشريك والولد إلى آخر السورة (٨١-١١٨).

وهكذا رأينا بوضوح أن الآيات التي بدأت ظاهرة التشعب
والتفرق قد التأمّت وتآزرت على هدف واحد ودارت حول غاية
واحدة هي وجوب الإخلاص والخضوع في العبادة لله الواحد الذي
ليس له شريك لأنه صاحب الفضل والنعم على الإنسان حتى لا
ينزل بنا ما نزل بالماضين الأولين من العذاب الأليم .

وأما في الناحية الثانية: فقد بين الإمام البقاعي أنه لوتدبر
القارئ افتتاح كل سورة وعلاقتها بختام ما قبلها لوجد المناسبة
بينها قائمة والعلاقة شديدة ووثيقة .

وقد بين الشيخ البقاعي أن للسورة بما قبلها عدة علاقات،
فمنها ما هو ظاهر واضح، ومنها ما هو خاف لا يدرك إلا بعد اعمال
فكر وتدبر ولا يستطيعه إلا من أوتى بسطة في العلم وسعة في الفقه
وعمق في التمعن، ونستطيع أن نجمل هذه العلاقات فيما يلي :

١ - قد تكون العلاقة بين أول السورة وآخر ما قبلها ظاهرة
جدا لا تحتاج إلى كبير عناء في ادراكها، وذلك كعلاقة أول سورة
الانعام بآخر سورة المائدة، وكذلك أول سورة الحديد ظاهر
الارتباط بآخر سورة الواقعة .

فبملاحظة السورتين الأوليين نجد أنه لما ختمت سورة
المائدة بقوله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾ كان مناسباً أن تبدأ سورة الأنعام بالحمد لله على هذا الخلق العظيم الذى وسع السموات والأرض وما فيهن مما شمل مصالح العباد فى الدنيا والآخرة، وهذا واضح التناسب .
 وفى السورتين الأخيرتين لما ختمت سورة الواقعة بالامر بالتسبيح فى قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ناسب أن تفتح التى بعدها بهذا التسبيح ، فجاء كذلك فى أونها حيث قال تعالى : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وهذا ايضا من اعظم التناسب .

٢ - وقد تكون علاقة السورة بما قبلها هى علاقة التفصيل بعد الاجمال وذلك كعلاقة أول سورة البقرة بأخر سورة الفاتحة حيث يقول البقاعى فى هذا المقام :

وتصنيف الناس فى آخر الفاتحة ثلاثة أصناف : مهتدين ، ومعاندين ، وضالين ، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة : متقين ، وكافرين مصارحين وهم المعاندون ، وضالين وهم المنافقون ، واجمالم فى الفاتحة وتفصيلهم هنا من بديع الأساليب وهودأب القرآن العظيم : الاجمال ثم التفصيل .

٣ - ومن أنواع العلاقات أيضا بين السورتين أن تكون اللاحقة بمثابة المكملة لمقصود الأولى وذلك كعلاقة سورة الأنعام بسورة المائدة حيث قال البقاعى :

لما تكفلت السورة السابقة (المائدة) بالرد على مشركى العرب واليهود والنصارى مع الاشارة إلى ابطال جميع أنواع الشرك ، سيق مقصود هذه السورة (الأنعام) فى أساليب مختلفة للرد على بقية الرق وهم : الثنوية من المجوس الذين قالوا بألهين اثنين

متأملين النور والظلمة، ومقرون بنبوّة إبراهيم عليه السلام فقط، والصابئة القائلون بالأوثان السماوية والأصنام الأرضية المتوسّطين إلى ربّ الأرباب وهؤلاء ينكرون الرسالة، وأصحاب الروحانيات أعنى مدبرات الكواكب والأفلاك وينتسبون إلى ملة إبراهيم عليه السلام ويدعون أنه منهم، والشمسية القائلون بأهية الشمس مع تأكيد الرد على الفرق المتقدمة (١).

٤ - وقد تكون السورة اللاحقة لوصف أشياء سيقت في السورة الأولى والوعظ بذكره والتحذير من أمره وذلك كعلاقه (الحاقه) بسابقتها (نَ وَالْقَلَمِ) حيث يقول الشيخ الجليل :
لما قدم سبحانه في (القلم) الإنكار الشديد لأن يسوّى المسيء بالمحسن وذكر القيامة، وبينها بكشف الساق وزيادة المشاق وهدد التهديد العظيم بآية الاستدراج الذي لا يدفع بعلاج وختم بأن القرآن ذكر أي شرف وتذكير ومواعظ للعاملين في شمولهم كلهم برحمته، أما من بعد إنزاله فبوعيده ووعده ووعظه وقصصه وأمره ونهيه، وأما من قبل إنزاله فبالشهادة لهم وعليهم، فكان تأويل ذلك وجميع آثاره إنما يظهر ظهوراً يوم الجمع الأكبر، وكان ذلك اليوم أعظم مذكّر للعالمين وواعظ وزاجر، تنبى جميع الخيرات على تذكره وتذكر العرض على الملك الديان، والسرفى إنزال القرآن هو التذكير بذلك اليوم الذي هو نظام الوجود لما كان الأمر كذلك قال واصفاً للقيامة واليوم الذي يكشف فيه عن ساق واعظاً بذكرها ومحذراً عن أمرها فقال: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ...
الآيات﴾ (٢).

(١) نظم الدرر: ج ٢: ص ١٦٧.

(٢) نظم الدرر: ج ٦: ص ١٥٢.

٥ - وقد تكون السورة بمنزلة الدليل على آية أو آيات ختمت بها أختها السابقه عليها وذلك كعلاقة سورة (القصص) بسورة (النمل) قبلها قال البقاعي رحمه الله : المقصود من القصص الاستدلال على نبوة محمد ﷺ النبي الامى بالاطلاع على المغيبات ، والتهديد بعلمه المحيط وقدرته الشاملة ، وأنه ما شاء كان ولا مدفع لقضائه ولا ينفع حذر من قدره ، فصح أنها دليل على قوله تعالى آخر تلك ﴿ سِيرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِ فَوْهَهَا الْآيَةَ ﴾ .

ولذلك لُحِصَتْ رُؤْسُ أخبار القصة فذكرت أمهات الأمور الخفيه ، ودقائق أعمال من ذكر فيها من موسى عليه السلام وأمه وفرعون وغيرهم إلى ما تراه من الحكم التي لا يطلع عليها إلا عالم بالتعلم أو الوحي ، ومعلوم لكل مخاطب بذلك انقضاء الأول أى (التعلم) عن المنزل عليه هذا الذكر ﷺ فانحصر في الأمر الثانى ، يوضح لنا هذا المرام مع هذه الآية الأولى التي ذكرتها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الظُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ الآية (١) وإتباع القصة بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

فالمراد بهذا السياق فيها «أى فى قصة موسى عليه السلام» كما ترى غير ما تقدم فى غيرها من السور فلا تكرير فى شىء من ذلك (٣) .

(١) القصص (٤٦) .

(٢) القصص (٥١) .

(٣) نظم الدرر: ٤: ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وهناك أنواع أخرى من العلاقات بين السور، كعلاقة التقابل أو السببية أو بيان الحقيقة، وقد أوضح البقاعى كل هذه العلاقات توضيحاً مفيداً .

هذا كما سبق أن بينا في مجال العلاقات بين أول السورة وآخر ما قبلها مباشرة .

إلا أنه أحياناً قد يربط بين السورة في مجموعها وما تقدمها من السور بوجه عام وذلك كما فعل في ربطه بين سورة (هود) وكل السور التي تقدمتها إلى سورة البقرة، وقد أبدع البقاعى في إيجاد مثل هذا الترابط، وبيان ذلك تفصيلاً مما يطول ذكره، ومن أراد الوقوف على ذلك فليرجع إلى موضعه من كتاب (نظم الدرر ج ٣ ص ٨-٨٢) ومما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام أن الكلام في إيجاد هذه العلاقات بين السور أو المناسبات بين الآيات إنما هو من قبيل الاجتهاد الفكرى الذى لا مجال للقطع فيه غالباً، وهو يعتمد أساساً على النظر في السورة أو الآية السابقة واللاحقة بإمعان ودقة عند التماس علاقه واستخلاص المناسبة بينهما .

وفي هذا الأمر قد يختلف نظر عالم عن عالم آخر وثالث ورابع وهكذا، وهذا سر من أسرار القرآن الكريم وإعجازه الخالد على مر التاريخ والأزمان، أن يكون لكل ناظر في القرآن وجهة هو مولياها، وله ثواب المجتهد المصيب أو المجتهد المخطئ .

وفي الناحية الثالثة: وهى ارتباط آخر كل سورة بأولها:

نجد الإمام البقاعى قد أولى هذا الأمر اهتماماً كبيراً وعنايةً فائقةً وذلك بمحاولاته الناجحة إرجاع آخر كل سورة إلى أولها وربط مفصلها بموصلها بأوثق ما يكون الارتباط وهو شئءٌ يُعتبر من وجوه التجديد في تفسيره الكبير .

فبينَّ البقاعى فى هذا المجال أن رجوع آخر السورة إلى أولها
إما أن يكون لفظياً أو معنوياً :

فمن باب الارتباط اللفظى : ما نراه واضحاً أمامنا يدركه
العام والخاص فى مثل سورتى «الحشر» و «المتحنة» على سبيل
المثال :

أما فى الأولى : فإن أولها التسييح فى قوله تعالى ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ
مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وأخرها
التسييح أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ مع ختم كل منها بهذين الوصفين
الكريمين وهما (العزة والحكمة) وفى ذلك بقول البقاعى :
وقد انعطف على افتتاحها ختامها، وعانق ابتداءها تمامها
ووفى بمطلعها مقطعها وزاد وبلغ من الارشاد إلى سبيل
الرشاد. فسبحان من أنزله رحمة للعباد وهاديا إلى الصواب
والسداد (١) .

وأما فى الثانية : فحيث افتتحت سورة (المتحنة) يقول
تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿
ختمت بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا قَوْمًا عَصِبَ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ ﴾ يقول البقاعى : وقد علم أن هذا الآخر هو أولها وهذا
الموصل مفصلها فسبحان من أنزله كتابا معجزا وقرآنا موجزا جامعاً
عظيماً (٢) .

(١) نظم الدرر: ج٦ : ص ٤٣ ب .

(٢) نفس المصدر: ج٦ : ص ٤٣ ب

وأما الارتباط المعنوي : فهو مما لا يدرك إلا بأعمال فكر دقيق ونظريقظ في بعض سور القرآن الكريم ، لأن هذا النوع ليس كسابقه مسيراً للجميع ولكن لا يكون إلا لمن توفرت له أهلية النظر والتدبر في آيات الله المجيدة بعقل سليم وفهم واع .

ومن هذا الارتباط المعنوي مثلاً بين أول السورة وآخرها ما أوضحه البقاعي بين أول سورة (الملك) وآخرها حيث يقول : لما افتتحت السورة بعظيم بركته تعالى وتمام مقدرته وتفردته في ملكه ودل على ذلك بتفردته بالإماتة والاحياء ، ختم بمثل ذلك ، بالماء الذي وجوده سبب الحياة وعدمه سبب الموت فقال قارعاً بالتنبيه مشيراً بتكرير الأمر إلى مزيد التوبيخ والزجر والتبكيث دالاً على تعيين ما أبهم من أهل الضلال ، ومصرحاً بما لوح إليه من ذلك الاجمال فقال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ

بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ (١) فقد رجع هذا الآخر كما ترى على ذلك الأول وعانقه على أحسن وجه وأكملة ولعل الآية الأخيرة تتضمن : قل لهم يا أعظم مخلوق وأعلمهم بنا (أخبروني إن أصبح ماؤكم) واختار وقت الصباح لأن الحاجة فيه أشد ما تكون لأنه وقت ارتقاب الفلاح ﴿ غَوْرًا ﴾ أي نازلاً في الأرض بحيث لا يمكن لكم نيله بنوع حيله ﴿ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ ﴾ على ضعفكم حينئذ وافتقاركم إليه ﴿ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ جارٍ جرياً دائماً لا ينقطع ظاهر للأعين سهل المأخذ غير الله تعالى الذي أثبت في أولها أن الملك بيده وأنه على كل شيء قدير (٢) .

(١) سورة الملك (٣٠) .

(٢) نظم الدرر: ج٦ : ص ١٣٤ ب .

وهذا الارتباط المعنوي بين أوائل بعض سور القرآن
 وأواخرها تبدو لنا قدرة البقاعى العلمية وعقليته الفذة وذهنه السيال
 وإعمال كل ذلك لخدمة العلم والدين وإظهار إعجاز كتاب الله
 الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
 حكيم حميد .

المناسبات بين الآيات :

وكما بذل الشيخ البقاعى جهدا يشكر عليه فى دقة النظر
 وحسن التدبر فى التماس العلاقات بين السور، فكذلك بذل جهداً
 أكبر وأعظم فى التماس العلاقات والمناسبات بين الآيات، بل بين
 أجزاء الآية الواحدة ونستطيع أن ندرك عظمة هذا العمل وقيمة
 الجهد العلمى الذى أنفق فيه بسخاء فى سبيل إعداده إذا عرفنا
 الفارق الكبير بين عدد سور القرآن الكريم وعدد آياته فضلاً عن
 عدد جملته وعدد كلماته البينات .

ومما ينبغى ذكره فى هذا المجال أن صلة الآية بأختها السابقة
 عليها قد يكون ظاهر الارتباط واضح المناسبة لا يحتاج إلى إعمال
 فكر ونظر لغاية وضوحه وذلك كأن تقع الآية من سابقها موقع :

١ - المكمله له كقوله : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ ﴾ (١) .

٢ - أو المؤكدة الأولى : كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة الأعراف (٨، ٩) .

(٢) سورة التكاثر (٣، ٤) .

٣ - أو المفسرة لها كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . الآيات (١) .

٤ - أو استثناء من الأولى كقوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . (٢) .
هذه العلاقات كلها ظاهرة لوضوح وجه الارتباط بين
الآيات دون عناء، وقد لا يظهر وجه الارتباط بين الآيات، بل
يظهر في بعض الأحيان كأن تكون الآية مستقلة عن الأخرى وهذا
النوع هو الذى يحتاج إلى إعمال فكر ونظر لالتماس وجه ارتباطها بما
قبلها، وهنا تظهر قدرة البقاعى الفكرية بشكل أعمق حينما يضع
بين أيدينا هذه المناسبة بين تلك الآيات الخفية الصلة بعضها
ببعض :

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ

إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ . (٣) .

فإن من ينظر إلى هذه الآية قد لا يدرك وجه الربط بينها
وبين سابقتها لبعده الشقه بينهما ظاهراً، حيث إن الآية السابقة
تحكى اقتراح الكفار بنزول آية على رسول الله ﷺ والثانية هذه
تتحدث عن دواب الأرض وطيورها وأنها أمم في الخلق مثل
الإنسان، وعلى هذا فلا رابطة إذن . . .

(١) سورة البقرة (٢-٥) .

(٢) سورة «ص» (٧٣، ٧٤) .

(٣) سورة الأنعام (٣٨) .

ولكن البقاعى يظهر لنا هذه الرابطة أجلى ما تكون حيث يقول ما يزيل الإبهام ويظهر بين الآيتين تمام الالتئام :

لما عجب منهم فى قوله هذا الذى يقتضى أنهم لم يروا له آية قط بعد ما جاءهم من الآيات الخاصة به ما ملأ الاقطار، ورد إلى الصم الاسماع وإلى العمى الابصار، ذكرهم بآية غير آية القرآن مستكثرة كافية لصلاحهم، رتبها سبحانه قبل سؤالهم تفضلا منه عليهم دالة على مظهر قدرته على البعث وغيره من الآيات التى طلبوها وغيرها، وعلى تفرد به بجميع الأمر، وإذا تأملوها حق تأملها كفتهم فى جميع ما يراد منهم فقال تعالى : ﴿وما﴾ أى قالوا ذلك والحال أنه ﴿ما من دابة فى الأرض﴾ أى تدب وتنتقل برجل أو بغير رجل ﴿ولا طائر يطير﴾ وقرر الحقيقة بقوله ﴿بجناحيه﴾ وشمل ذلك جميع الحيوان حتى ما فى البحر لأن سيرها فى الماء أما أن يكون ديبيا أو طيرانا مجازا، ولما كان المراد بالدابة والطائر الاستغراق قال ﴿إلا أمم﴾ أى كل نوع منها فى نفسه أمة يتحد بافراد نوعه وينضم إلى شكله ﴿أمثالكم﴾ أى فى ذلك وفى أنا خلقناهم ولم يكونوا شيئا وحفظنا جميع أحوالهم، وقدرنا كل أزواجهم وآجالهم وجعلنا لكم فيهم أحكاما حددناها لكم وجعلنا لكم فيها أجلا للموت .

على أنا فاوتنا بينهم فى الحياة ولكل أجل فى علمنا مثبت قبل ان نخلقهم لا ينقص ذره ولا يزيد خردله، وجعلنا فى هذه الحيوانات ما هو أقوى منكم وما هو ضعيف وجعلناكم أقوى من الجميع بالعقل ولو شئنا لجمعنا لها بين قوة البدن والعقل، وربما سلطنا الضعيف عليكم كالجراد والفأر والذود بما تعجز عنه عقولكم، ولو شئنا لسلطنا عليكم من أضعفها خلقا كالبعوض ما

أخذ بأنفاسكم ومنعكم القرار، وأخركم عن حركات الاخبار إلى غير ذلك من أمور تكل عنها العقول وتقف دونها نوافذ الفكر .
وهذا كله معنى ﴿ ما فرطنا ﴾ أى تركنا واغفلنا لما لنا من القدرة الكاملة والعلم الشامل ﴿ فى الكتاب ﴾ أى اللوح المحفوظ والقرآن ، وأغرق فى النفى بقوله ﴿ من شىء ﴾ بل ذكرنا جميع أحوال خلقنا من الجن والانس والملائكة وغيرهم من كل ناطق وصامت فصارت فى غاية الضبط حتى أن الحفظة يعرضون ما يحدث من عمل المكلفين وغيرهم آخر النهار على ما كان مثبتا فى أم الكتاب فيجدونه كما هو، لا يزيد شيئا ولا ينقص ، فيزدادون ايمانا، وأثبتنا فى هذا القرآن مجامع الأصول فهو بيان لكل شىء من الأحكام الأصلية والفرعية والدلالات على كل ذلك، وأخبار الأولين والآخرين، وكل علم يمكن أن يحتاجه المخلوق فمن أراد الهداية هداه بدقيق أسراره، ومن أعرض أوقعه فى الردى وعمى عن مواضع أنواره .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد . . . أفلا يكون لكم فى ذلك آيات تغنيكم عن ارسال الرسل فضلا عن أن تتوقفوا بعد ارسالهم ولا ترضوا منهم بخوارق العادات إلا بما تقترحونه . . . ولما أشار إلى ما شارك فيه سائر الحيوان الأدميين من أصول الحياة وغيرها نص على الحشر الذى هو محط الحكمة فقال ﴿ ثم ﴾ أى بعد طول الحياة والاقامة فى البرزخ ﴿ إلى ربهم ﴾ أى خاصة وبنى للمفعول على طريق كلام القادرين بقوله ﴿ يحشرون ﴾ أى يجمعون كرها بعد أن يعيدهم كلهم كما بدأهم

وينصف كل مظلوم منهم ممن ظلمه (١) .

هذا مثال لما جلاه البقاعى من خفى المناسبات بين الآيات
فضلا عن أنواع العلاقات والمناسبات الأخرى فى مجال الآيات
وذلك :

(أ) - كعلاقة الآية بآخر ما قبلها مباشرة .

(ب) - وعلاقة الآية بما قبلها من الآيات عموما .

(ج) - وعلاقة أول الآية بآخرها .

(د) - ودلالة بداية الآية على ختامها .

(هـ) - وختام الآية بما بدئت به .

(و) - ومناسبة ختم الآية لختم ما قبلها .

إلى غير ذلك من أنواع العلاقات ، ومن أراد الوقوف على
نماذج هذه العلاقات فليرجع إلى هذا الديوان الكبير والمؤلف
العظيم المسمى (بنظام الدرر فى تناسب الآيات والسور) للشيخ
البقاعى . . .

ليلمس بنفسه مدى ما أولى هذا النوع من التفسير من
اهتمام ويقف على مدى ما بذل فيه من جهد واستغرق منه زهرة
حياته . خدمة للقرآن الكريم وعلومه وحسبةً لله تعالى .

فرضى الله عنه وأرضاه ، وجزاه عن القرآن وأهله أعظم
الجزاء ، والله أسأل أن ينفع بهذا التراث وأمثاله الباحثين
والدارسين خاصة والمسلمين عامة إنه خير مسؤل . . .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) نظم الدرر: ج ٢: ص ٢١٢، ٢١٣

مصادر البحث

١ - البقاعى إبراهيم بن عمر / عنوان الزمان فى تاريخ الشيوخ والأقران
(مخطوط) .

نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (طبعة حيدرآباد) .

٢ - الزركشى برهان الدين / البرهان فى علوم القرآن (طبعة الحلبي) .

٣ - السخاوى شمس الدين / الضوء اللامع (طبعة القدسي) .

٤ - د / محمد بحيرى إبراهيم / البقاعى وجهوده فى التفسير (رسالة دكتوراه) .

٥ - ياقوت الحموى / معجم البلدان (طبعة دار صادر) .

القِسْمُ الثَّانِي
التَّرَاجِمُ وَالشَّخْصِيَّاتُ

العلامة الشيخ عبد الفتاح القاضي رَحِمَهُ اللهُ

وأثره في الدراسات القرآنية

للدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارئ
أستاذ مشارك وعميد الكلية

في يوم الاثنين الخامس عشر من محرم سنة ثلاثة وأربعمائة
بعد الألف من الهجرة انتقل إلى رحمة الله تعالى شيخنا وأستاذنا
العلامة الشيخ عبد الفتاح القاضي بعد حياة مباركة حافلة بخدمة
كتاب الله تعالى ، تأليفاً وإقراء وتعليماً ، فكم ترك فضيلته من
علم يُنتفع به ، ومن أبناء بررة وتلاميذ يدعون له بكل خير .
ولقد كان له أثر بارز ودور كبير في إثراء هذا المجال المبارك
(مجال الدراسات القرآنية) ينبغي أن يسجل له في ديوان تلك
السلسلة الذهبية القرآنية ، سلسلة القراء المحققين .

أما ترجمته فأنقل بعضها مما كتبه فضيلة الشيخ عبد الفتاح
السيد عجمي المرصفي في كتابه (هداية القارئ إلى تجويد كلام
الباري) فقد أملاه عليه صاحب الترجمة بنفسه ، وكنت قد
سمعت بعضها منه رحمه الله ، وقد زدت عليها زيادات قليلة ،
وتصرفت في عباراتها بعض التصرف ، ثم كتبت عن دوره في
الدراسات القرآنية ، وأبحاثه ومؤلفاته ، معرّفاً بكل كتاب منها
بإيجاز .

ترجمة حياته :

هو العلامة الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغنى بن محمد القاضى .

ولد بمدينة (دمنهور) عاصمة محافظة (البحيرة) بمصر ، فى الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة .

حفظ القرآن الكريم ببلده (دمنهور) على الشيخ على عياده ، وجوَّده على كل من الشيخين الفاضلين : الشيخ محمود بن محمد غزال ، والشيخ محمود بن محمد نصر الدين .

ثم أخذ القراءات العشر على غير واحد من الثقات الجهابذة الأثبات منهم : الشيخان المذكوران ، والشيخ همام قطب عبد الهادى ، والشيخ حسن صبحى ، وقد أجازوه جميعاً .

وأخذ عن شيوخ كثيرين غير من ذكر : علوم القرآن ، والتجويد ، والتفسير ، وعلوم العربية ، والفقه ، وغيرها من علوم الإسلام ، ففى مدينة الاسكندرية أخذ عن الشيخ محمد تاج الدين التفسير ، وعن الشيخ حسن الشريف الحديث ، وعن الشيخ محمود سرور التوحيد ، وعن الشيخ محمد أحمد عرفة الأخلاق ملخص كتاب إحياء علوم الدين ، وأخذ الفقه الشافعى عن الشيخين : محمد حسن الطودى ، والشيخ محمود عبد الدايم ، وأخذ البلاغة عن الشيخ شحادة المنيسى ، والمنطق وأدب البحث عن الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ الدكتور عبد الله دراز ، والشيخ عبد الحلیم أحمد قادم .

وممن تلقى عنهم بالقاهرة :

الشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ الدكتور عبد الله دراز فى التفسير ، والشيخ إبراهيم خاطر فى التوحيد ، والشيخ محمود خطاب السبكي فى الحديث ، والشيخ إسماعيل المسلاوى فى الفقه الشافعى ، والشيخ محمد العترى فى التفسير والبلاغة والأصول ، والعلامة الشيخ سيد بن على المرصفى صاحب كتاب (رغبة الأمل بشرح كتاب الكامل للمبرد) أخذ عنه الأدب .

وفى قسم التخصص تلقى التفسير عن الشيخ أحمد مكى عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر ، وعن الشيخ عبد الله جاد عضو هيئة كبار العلماء أيضا ، وتلقى صحيح البخارى عن الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر .

دراسته النظامية :

التحق - رحمه الله - بالمعهد الأزهرى بالإسكندرية بعد أن حفظ القرآن الكريم ، وحصل على الشهادة الأولية (الإعدادية حالياً) ، ثم التحق بالقسم الثانوى من المعهد المذكور وحصل على الشهادة الثانوية منه ، ثم رحل إلى القاهرة فالتحق بالقسم العالى بالأزهر ، وحصل على الشهادة العالمية النظامية سنة (١٣٥٢هـ) ، ثم التحق بقسم التخصص القديم بشعبة التفسير والحديث وحصل على شهادة التخصص القديم (التى تعادل الدكتوراه حالياً) وذلك عام (١٣٥٥هـ) .

الوظائف التي تولاهما :

عمل بالتدريس في المعهد الأزهرى الثانوى عقب تخرجه ،
ثم عين رئيساً لقسم القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر
حينذاك ، ثم عُيِّنَ مفتشاً عاماً بالمعاهد الأزهرية ، ثم عين شيخاً
لمعهد القراءات بالقاهرة ، ثم شيخاً للمعهد الأزهرى بدسوق ،
ثم شيخاً للمعهد الأزهرى ببلده دمنهور ، ثم عين وكيلاً عاماً
للمعاهد الأزهرية ، ثم مديراً عاماً لها ، وظل في عمله هذا حتى
أحيل إلى التقاعد .

ثم رحل إلى المدينة المنورة سنة ١٣٩٤ هـ ، حيث عين
رئيساً لقسم القراءات بكلية القرآن الكريم التي أنشئت في العام
المذكور ، وكان سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن
باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حينذاك حريصاً على
حضور الشيخ القاضي رحمه الله ليشارك في بناء صرح الكلية
المذكورة ، لما يعرفه سماحته في الشيخ من رسوخ في علوم القرآن ،
ودور كبير في خدمة كتاب الله ، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل
إلا أهل الفضل .

وقد بادر الشيخ القاضي رحمه الله بشد رحله إلى المدينة
المنورة ، حيث قضى آخر أيام عمره المباركة في رحابها جذلان
مسروراً بالجوار المبارك ، حريصاً على أبنائه طلاب القرآن
الكريم ، وعلى بناء صرح الكلية لبنةً لبنةً ، فختم حياته غفر الله
له بهذه الخدمة الجليلة لكتاب الله ، في مهبط الوحي ومنتزل
القرآن ، وقد تولى منذ حط ركابه في المدينة النبوية رئاسة قسم
القراءات بكلية المذكورة ، وكان له الدور الرئيسى في وضع

مناهج هذا القسم ، ثم تطوير هذه المناهج ، والإشراف على تنفيذها ، وعلى سير دولاب الدراسة في ظلها ، مع فرط العناية والحدب على أبنائه الطلاب ، حيث كان يتفقدهم واحداً واحداً ، بروح جذابة مؤثرة ، يزيد بها حسناً ما كان يمتاز به من دعابة لا تفارقه غالب أحيانه ، وقد رأيت من قوة تأثيره في طلابه ، وبركة تعليمه لهم أشياء عجيبة تُحكى لتكون ذكراً حسناً له من بعده ، وقدوة للمربين :

لقد كان جميع من درس عليه متعلقاً به غاية التعلق ، ولما سألت بعض أفاضلهم عن سر ذلك ، أخبروني بأن المسألة التي يظل غيره يشرحها لهم أياماً ، يشرحها الشيخ القاضي رحمه الله في دقائق معدودة فإذا بها واضحة كالشمس في رابعة النهار ، فحملت ذلك المعنى في نفسي على سببين : أولهما صدق النية إن شاء الله فإن لذلك أثراً كبيراً وبركة ظاهرة في أعمال الإنسان ، والآخر : رسوخه في هذا العلم ، كيف وقد أفنى عمره كله فيه قراءة وإقراءً وتعلماً وتعليماً ، وبحثاً وتأليفاً وتحقيقاً .

وكانت له فراسة عجيبة لا تكاد تخطيء ، حدثني أحد طلابه - ولوشئت لسميته لكنه لا يأذن بذلك - أن الشيخ رحمه الله كان كلما رآه يقول : يافلان ألا زلت على ظهرها ؟ فلما تكرر منه ذلك ، تغيظ الطالب إذ حضر في باله قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يَوَّاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ هَامِنًا دَابَّةً ﴾ ، وصدقت فراسة الشيخ فقد جاءني هذا الطالب يراجعني في السماح له بمغادرة الكلية والانتقال منها إلى الرياض ، وذلك قبل تخرجه بأشهر قليلة .

وحضرت عنده في البيت يوماً وأحد تلاميذه يقرأ عليه ،
 وكان رحمه الله يُعنى عناية شديدة بالوقوف ، فقرأ التلميذ ﴿ قَالَ
 فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ووقف ، فقال الشيخ : والذي صنعته
 إسرائيل بالعرب منذ عشرين سنة أين يذهب ؟
 وقرأ مرة أحد تلاميذه وأنا أسمع : ﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ
 يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ فقال الشيخ له : يافلان
 ما رأيك أن تقف على جهنم .
 فلما خرجنا قال لى أحد الحاضرين : هذا وقف لا أنساه
 أبداً .

والأهم أن الشيخ رحمه الله كان له أسلوب مؤثر في طلابه ،
 وكان يوثق صلته بهم ، ويتفقد شئونهم إذا لقيهم ، ويوبخهم إذا لم
 يزوروه في بيته ، ولو استطاع على ضعف صحته لزارهم ، فكان
 الجميع يشعرون بأبوته وحده عليه ، أما بعض المعلمين
 فتجدهم أشبه بالعساكر الجفاة الغلاظ ، لا يراهم الطالب إلا
 وقت الحصة ، مع أن التعليم مهمة تربوية تتطلب توثيق الصلة
 بين العالم وتلاميذه ، كما كان شأن سلف هذه الأمة في حلقات
 العلم التي كانت تزخر بها المساجد .

أثر العلامة القاضى في الدراسات القرآنية :

كان له دور رئيسى في هذا المجال رحمه الله ، فقد أسهم
 إسهاماً بارزاً في إثرائه بجهود استمرت أكثر من ربع قرن ،
 بأساليب ثلاث :

أولها : الإقراء والتعليم : فقد مكث يُقرىء ويعلم في مجال
 العلوم القرآنية منذ عام (١٣٥٥ هـ) تقريباً ، وتخرج على يديه

أجيال من أهل القرآن ، ومن قرأ عليه بالمدينة النبوية : كاتب هذه السطور قرأت عليه أجزاء من القرآن بحفص ، ثم بدأت عليه الشاطبية فقرأت جزئين من أول المصحف بقراءة نافع ، ثم بقراءة ابن كثير ولم أكمل ، ومنهم الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي الإمام بالمسجد النبوي ووكيل كلية القرآن الكريم قرأ عليه ختمة كاملة بحفص ، ومنهم الشيخ منير بن محمد المظفر التونسي المتخرج من الكلية ، قرأ عليه في البيت ختمة كاملة للعشرة من طريق طيبة النشر ، ومنهم الشيخ إبراهيم الأخضر تلقى عليه القراءات الثلاث المكملة للعشر من طريق الدرة ، وقرأ عليه ختمة كاملة .

ومنهم في مصر : الدكتور موسى شاهين لاشين ، والدكتور عوض الله حجازي ، والدكتور زكريا البري ، وغيرهم .
ثانيهما : الإسهام الفعال في المشروعات القرآنية التي تُعد من أكبر وأهم الإنجازات القرآنية أثراً في زماننا وهي :

١ - معهد القراءات بالقاهرة :

أنشئ هذا المعهد سنة (١٩٤٥ م) أي (١٣٦٥ هـ) تقريباً ، وكان أول أمره تابعاً لكلية اللغة العربية بالأزهر ، والدراسة فيه ثمان سنوات منها سنة تُسمى (إجازة التجويد) ، وثلاث بعدها تعادل (الثانوية) تسمى (عالية القراءات) وأربع سنوات بعدها ، تُسمى (تخصص القراءات) .
وجرى تعديل لذلك فأصبحت الدراسة في المعهد حالياً كما

يأتي :

ستان (إجازة التجويد) ، وثلاث بعدها (عالية القراءات) وثلاث بعدها (تخصص القراءات) ، وكان بإمكان الجهات الرسمية المختصة بمصر أن تعادل الشهادة النهائية لهذا المعهد بالشهادات الجامعية الأخرى دعماً وتشجيعاً للدارسين بهذا المجال القرآني لكنها لم تفعل .

وتولّى إدارة المعهد الشيخ أحمد شريط منذ إنشائه حتى سنة (١٣٦٨ هـ) ، حيث تولى ادارته الشيخ القاضي ، وظل مديراً له حتى سنة (١٣٧٨ هـ) .

وأول ما يبدأ الطالب في هذا المعهد بدراسة تجويد القرآن وإتقان حفظه مدة سنتين (إجازة حفص) ، ثم يدرس القراءات العشر المتواترة بمضمن الشاطبية والدرّة خلال ثلاث سنوات ، ثم ينتقل إلى مرحلة التخصص حيث يدرس (الطيبة) خلال ثلاث سنوات أخرى .

وقد خرّج أفواجاً من حملة كتاب الله تعالى خدموا القرآن الكريم وقاموا في مجال التعليم والإقراء أكرم مقام ، كما درّس في هذا المعهد إلى جانب الشيخ القاضي علماء مبرزون في القراءات كفضيلة الشيخ عامر بن السيد عثمان أمد الله في عمره ومتعته بالصحة والعافية ، والشيخ عبد العزيز الزيات ، والشيخ إبراهيم بن علي شحاته السمنودي بارك الله في عمر الجميع .

٢ - تصحيح المصاحف بمصر :

وهذه تقوم بأعمالها لجنة منبثقة من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، تضم في عضويتها علماء بارزين محققين في علوم القراءات والرسم والضبط وعد الآي .

وكان فضيلته رئيساً لهذه اللجنة حتى وفاته ، مشرفاً على

أعمالها ، وكان له دور في إخراج (مصحف الأزهر) الذي طبع حديثاً على غرار (مصحف الملك فؤاد المشهور الذي تولت طباعته دار الكتب المصرية) ، وقد أدخلت اللجنة بعض التعديلات على المصحف المذكور في ضبطه ووقفه .

ومما سمعته من الشيخ رحمه الله أنهم اتفقوا على اختصار اصطلاحات الوقوف ، فحذفوا (صلى) و (قلى) ، ووحدهما في رمز الوقف الجائز (ج) ، فلما سألته : كيف يمكن التسوية بين الوقف التام والكافي أو بين ما كان وصله أولى وهو الحسن والكافي ، وبين ما كان الوقف عليه أولى وهو التام ؟ أجاب فضيلته : بأن كل هذه الوقوف أمور خاضعة للاجتهاد لأنها تابعة للمعاني ، والأذهان تتفاوت في فهم المعاني ، والاجتهادات تختلف في إدراكها ، لذا رأينا ألا نحشر في المصحف رموزاً تخضع للاجتهاد ، وتحتمل الخطأ والصواب .

فكان رحمه الله دقيقاً متأنياً في عمله هذا طيلة إشرافه على هذه اللجنة ، وحرى به ذلك وهو من أعلم الناس بخطورة هذه المهمة ، وشدة مساسها بكتاب الله .

لكننا رأينا في السنوات الأخيرة مصاحف كثيرة ، أغلبها مطبوع في مصر ، مشحونة بالأخطاء ، مما يدل على أن القائمين على طبعتها لم يبذلوا أى جهد في العناية بتصحيحها ، ومع ذلك وجدنا في آخر كل مصحف منها اسم اللجنة المذكورة برئاسة الشيخ القاضى ، فسألته عن ذلك وأحضرت له بعض تلك المصاحف ، فأنكرها وقال : لم أطلع على هذه المصاحف ، واسم اللجنة مع اسمى أصبح (إكليشة) مسروقة تُوضع في آخر أى مصحف ؟

٣ - كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة :

كان إنشاء هذه الكلية فكرةً رائدةً في هذا المجال ، إذ أن كل غيور على كتاب الله مشفقٍ على حماه ، كان يعلم مدى انصراف الناس منذ عقد من الزمن عن علومه وفنونه ، خاصة علم القراءات وعلم الرسم والضبط والفواصل ، فعزَّ وجود العالم بهذه العلوم المتضلع بها ، فضلاً عن وجود المحقق المتبحر ، وأصبح الحال حينذاك باعثاً على القلق والخوف على كتاب الله ، كما خاف الصحابة الكرام عليه لما رأوا القتل استحر في القراء في الغزوات وخاصة في وقعة اليمامة ، وكان القراء من الصحابة في مقدمة صفوف الجهاد دائماً .

لكن مع الفارق بين الحالين ، إذ كان حال الصحابة كما وصفتُ ، بينما حالنا أن الخوف وقع على القرآن وعلومه لما تهادى الناس في الغفلة عن كتاب الله وانصرفوا عنه إلى ظاهر من الحياة الدنيا .

فكان من أبرز ما شاهدنا من محاولات صادقة لحث الناشئة على الإقبال على تعلم كتاب الله ، ثلاثة مشروعات جليلة بعيدة الأثر بالغة الفائدة :

الأول منها : مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي انتشرت في أرجاء هذه البلاد انتشاراً واسعاً ، سواء منها ما كان أهلياً أو تابعاً لوزارة المعارف .

والثاني : ذلك المشروع الخيري الأهلئ العظيم الذي كان فضل السبق فيه للثرى الباكستاني (الشيخ يوسف سیتی) تغمده الله برحمته ، فهو الذي سنَّ تلك السنة الحسنة ، وهي زرع كتاتيب

(تحفيظ القرآن الكريم) في سائر المساجد ، بجميع الأحياء ، في جميع المدن ، حيثما أمكن وقد مما تتحمل النفقات ، فانتشرت هذه الكتابيب انتشاراً عجيماً ولقيت قبولاً من الناس ، وأقبل عليها الصغار والكبار والذكور والإناث .

وكنت التقيتُ بالشيخ يوسف سیتی قبل وفاته وجلسنا في المسجد النبوی نتحدث عن مشروعه الكبير ، فسمعت منه ما يدل على حنكته وصدق نيته ، فقد قال لي : إنني أتفق مع سكان كل حي في المدينة على أن أتحمّل أنا ثلث النفقات ويتحملون هم متضامنين الثلثين وليس ذلك بخلاً مني أو عجزاً فقد وسع الله عليّ والحمد لله ، ولكنني أريد بذلك أن أشجع الناس أنفسهم على الإسهام في هذا العمل ، وحتى لا ينقطع بانقطاعي عنه بل يستمر ، إذ كان الذين تبنوه هم الأهالي أنفسهم . رحمة الله على ذلك الثرى المسلم الباكستاني الذي يُعدُّ بحق قدوة مثلي ، ليت أثرياء العرب يقتدون بها ، وفيهم أهل خير ، لكنهم قليلون كما قال الله تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ .

الثالث : كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة التي نحن بصدددها ، فقد كان في إنشائها إثراء واسع لمجال الدراسات القرآنية ، إذ كانت أول مؤسسة تعليمية تُخصَّص لهذا المجال على مستوى الدراسات الجامعية ، وفي ذلك من التقدم والارتقاء بهذه الدراسات ما لا يخفى .

وإذا استثنينا إنشاء قسم القراءات بكلية اللغة العربية بالأزهر الذي لم يستمر ، فإننا نأسف بالغ الأسف من خلو الجامعات في بلاد المسلمين من دراسات جامعية متخصصة بالعلوم

القرآنية ، وانصرفت عناية الجامعيين إلى الأخصش وابن خروف
والفرزدق وأبى نواس ، فتجد من الكليات والأقسام الجامعية
المفرغة للدراسات اللغوية والأدبية ما يزيد على الحاجة ، بينما
مجال الدراسات القرآنية لا حظ له ولا نصيب .

وإن تعجب فعجب من أولئك الذين اعتبروا العلوم
القرآنية تابعة لعلوم اللغة العربية ، مع أن العكس هو الصحيح .
فكان من توفيق الله تعالى لمحبي القرآن وأهله ، أن قيض
الله لهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز أمد الله في
عمره وبارك فيه ، وهو رئيس إدارات البحوث والافتاء والدعوة
والارشاد حالياً ، وكان حينذاك رئيساً للجامعة الإسلامية ،
فحرص سماحته حرصاً شديداً على تأسيس هذه الكلية
وإنشائها ، وتوفير سائر الإمكانيات من أجلها ، وبدأت بعشرين
طالباً من أهل القرآن الذين يجيدون حفظه ويؤدون قراءته ،
فكانوا أول فوج سعد بصحبة الشيخ القاضي والتلمذة عليه أربع
سنين ، وهم نخبة من أبناء العالم الإسلامي ، منهم خمسة
سعوديون .

فتولى الشيخ القاضي بدعم وتشجيع من سماحة الشيخ ابن
باز حفظه الله وضع مناهج هذه الكلية ، وكان لكاتب هذه السطور
شرف المشاركة مع الشيخ في ذلك ، ومعنا غيرنا .
كما تولى رحمه الله اختيار نخبة من علماء هذا الفن جميعهم
من مصر ، فقدموا إلى الكلية بطلب من الجامعة .
وقامت الكلية على أكتافهم ، بناءً شاباً قوياً مباركاً ،
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

ثالثها التأليف :

هو أبرز ما أسهم به الشيخ القاضي رحمه الله في نهضة الدراسات القرآنية .

لقد أغنى سلفنا رحمهم الله المكتبة القرآنية بما صنّفوه وسطرته أناملهم المباركة ، فشيدوا أضخم مكتبة في الدنيا متعلقة بكتاب منزل ، ومن يطالع فهرس المخطوطات يرى ذلك عياناً . لكن هذا الكنز العظيم مدفون تحت ركام النسيان والإهمال ، إذ معظم أمهات العلوم القرآنية مخطوط لم يبصر النور بعد ، وإذا استثنينا كتب التفسير ، فلا تستثنى أى علم آخر من علوم القرآن .

ولذلك كان مجال الدراسات القرآنية ولا يزال بأمس الحاجة إلى نهضة جديدة ، تُبعث فيها تلك المخطوطات الدفينة ، وتزود بجهود جديدة من الأبحاث والمؤلفات التي تثرى هذه المكتبة . لقد أدلى شيخنا القاضي - غفر الله له - بدلوه في ذلك ، فبلغت مؤلفاته ما بين منظوم ومنثور ، خمسةً وعشرين مؤلفاً ، منها ثلاث في الفقه والفرائض ، والباقي في العلوم القرآنية . وسأختم هذا البحث بعرض هذه المؤلفات مع التعريف بكل منها :

١ - (الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع) : شرح موجز على لامية أبي القاسم ابن فيرة الشاطبي المتوفى سنة (٥٩٠هـ) وهي المشهورة بالشاطبية .

وعدد أبياتها ثلاثة وسبعون ومائة وألف ، وهي من بحر الطويل .

وقد شرحها كثير من الأئمة الأعلام ، كعلم الدين
السخاوى ، وبرهان الدين الجعبرى ، وأبى شامة ، وابن
القاصح ، والموصلى المعروف بشعلة ، وشرحها السيوطى ، وقد
رأيت شرحه فى المكتبة الظاهرية بدمشق .

لكن شرح الشيخ القاضى رحمه الله يمتاز بأسلوبه
(المدرسى) العصرى ، فى جودة الترتيب والوضوح والتركيز .
يبلغ فى طبعته الأولى التى طبعت بمصر (٤٠٠) صفحة
من الحجم المتوسط .

٢ - (الإيضاح لمتن الدرّة فى القراءات الثلاث المتممة
للقرّاءات العشر) : شرح متوسط على لامية ابن الجزرى المعروفة
بالدرّة المضية ، وهى فى قرّاءات الأئمة الثلاث أبى جعفر المدنى ،
ويعقوب الحضرمى ، وخلف بن هشام الكوفى ، وعدد أبيات هذه
المنظومة مائتان وأربعون بيتاً ، من بحر الطويل .
والذى وصل إلينا من شروح على هذه المنظومة قليل يعد
على أصابع اليد الواحدة ، لذلك كان شرح الشيخ رحمه الله مع ما
يمتاز به أسلوبه من تركيز ودقة عبارة ووضوح مهما غاية الأهمية .
يبلغ الكتاب فى طبعته المصرية (١٣٠) صفحة من الحجم
المتوسط .

٣ - (البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة من
طريقى الشاطبية والدرّة) : هذا من أحسن مؤلفاته رحمه الله ،
وأنفعها لطلاب القراءات ، جمع فيها القراءات العشر المتواترة من
طريقى : التيسير والتجبير ، والشاطبية والدرّة ، ورتبها على
ترتيب القرآن الكريم ، فيذكر كل ربع من القرآن على حدة ويذكر

ما فيه من قراءات كلمةً كلمةً يبدأ بالأصول ثم بالفرش .
وقد سبقه إلى هذا الأسلوب العلامة الصفاقسى على
النورى التونسى المتوفى سنة (١١١٧ هـ) فقد رتب القراءات
السبع على نفس الترتيب فى كتابه (غيث النفع فى القراءات
السبع) .

يبلغ كتاب البدور الزاهرة فى طبعته الأولى التى طبعت
بمصر سنة ١٣٧٥ هـ (٣٦٠) صفحة .

٤ - (شرح منحة مولى البر فيما زاده كتاب النشر فى
القراءات العشر على الشاطبية والدرّة) : أما منحة مولى البر
فأرجوزة نظمها الشيخ محمد بن محمد هلال الأبيارى المصرى عدد
أبياتها (مائة وأربعون بيتاً) مطلعها :

قال محمد هلالى راجيا إلهه عفوا عميما كافيا
حمدا لمولانا مصليا على محمد والآل ما تال تالا
وهاك ما للكل نشر زاده عما بدره وجرز سرده
يبلغ الشرح فى طبعته المصرية التى نشرها الشيخ محمود
خليل الحصرى (١٣٦) صفحة .

٥ - (النظم الجامع لقراءة الإمام نافع) : وهو نافع بن
أبى نعيم إمام القراءة بالمدينة النبوية زمن الإمام مالك بن أنس ،
حتى كان مالك يحيل إليه فى القراءة ويقول : كل علم يسأل عنه
أهله .

وهو أول القراء فى ترتيب التيسير والشاطبية ، وتأتى قراءته
فيهما من روايتى قالون وورش ، وكذلك فى معظم دواوين
القراءات .

نظم الشيخ رحمه الله قراءته في هذه المنظومة من بحر الرجز ،
وعدد أبياتها (٢٩٤) ومطلعها :

بحمدِ مُنْشَى الْعَالَمِينَ أبتدئُ ثم الصلاة والسلام الأبدى
على رسول الله خير الخلقِ ومرشد الورى لنور الحق
وآله وصحبه الأعلامِ وقارئى القرآن بالأحكامِ
وهذه أرجوزة ضمنتها حروف نافعٍ وقد هدبتُها

٦ - (شرح النظم الجامع) : شرح النظم السابق ذكره
شرحاً وجيزاً لطيفاً واضح العبارة ، يبلغ في طبعته الثانية بطنطا من
مصر سنة (١٩٦١ م) (١٩٤) صفحة .

٧ - (القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب) : كتيب
لطيف ذكر فيه قراءة الأئمة الأربعة وهم : ابن محيىن محمد بن
عبد الرحمن المكى المتوفى سنة (١٢٣ هـ) ، ويحيى اليزيدى أبو
محمد يحيى بن مبارك البصرى المتوفى سنة (١١٠ هـ) ، والأعمش
أبو محمد سليمان بن مهران الكوفى المتوفى سنة (١٤٨ هـ) .

يذكر قراءة هؤلاء الأئمة مما انفردوا به عن القراء العشرة
الذين تواترت قراءتهم ، ويذكر وجه قراءتهم من اللغة العربية
والإعراب ، لكن هذه القراءات شاذة لا تُعدّ قرأناً ولا تحل القراءة
بها .

يبلغ الكتاب في طبعة الحلبي المصرية (١٠٠) صفحة .

٨ - (السر المصون في رواية قالون من الشاطبية) : نظم
لطيف في بيان ما خالف فيه قالون ورشاً ، وقد طبع بمطبعة عبد
الحميد حنفى بالقاهرة .

٩ - (شرح السر المصون) : شرح فيه المنظومة السابقة
شرحاً موجزاً .

١٠ - (الفرائد الحسان في عد آي القرآن) نظم سلس
عذب سهل التركيب يبلغ (مائة وثلاثين) بيتاً من بحر الرجز ،
مطلعه :

أحمدُ ربِّي وأصلي سرّمدًا على رسول الله مصباح الهدى
وهاك خُلفَ علماء العددِ في الآي منظوماً على المعتمد
سميته الفرائد الحسانا أرجوبه القبول والإحسانا

١١ - (نفائس البيان شرح الفرائد الحسان) : شرح فيه
المنظومة السابقة شرحاً وجيزاً واضح العبارة ، يبلغ في طبعة الحلبي
(٥٦) صفحة من الحجم الصغير .

١٢ - (بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم
الفواصل) : النظم للإمام الشاطبي وهو في عد الآي ويسمى علم
الفواصل ، وقد نظم فيها واختصر كتاب البيان لأبي عمرو الداني
وعدد أبيات المنظومة (٢٩٧) بيتاً من بحر الطويل ، مطلعها :

بدأت بحمد الله ناظمة الزهر لتجني بعون الله عيناً من الزهر
وعذتُ بربي من شرور قضائه ولذت به في السر والجهر من أمرى
بحي مريدٍ عالمٍ متكلمٍ سميعٍ بصيرٍ دائمٍ قادرٍ وتبر
ويمتاز الشرح المذكور بالإيجاز وحسن الترتيب والتركيز على
المهمات ، فالشارح درج فيه على أن يبدأ بشرح الكلمات لغةً ، ثم
يبين معنى البيت وما فيه من مسائل هذا الفن مفصلاً محل الاتفاق
ومحل الاختلاف .

يبلغ الكتاب في طبعة المكتبة المحمودية بمصر (١٩٢)
صفحة من الحجم الصغير .

١٣ - (تاريخ المصحف الشريف) : وموضوعه كما هو
واضح من عنوانه : المصاحف في عهد الصحابة ، وكتابة القرآن
الكريم في الكتب الثلاثة ، ورسم المصحف ونقطه وشكله ، وما
يجب على كاتب المصحف ، ثم المصاحف في دور الطباعة ،
والمكي والمدني وترتيب الآيات والسور ، والمباحث المتعلقة بنزول
القرآن .

يتناول هذه الموضوعات وغيرها بتفصيل واف وعبارات
دقيقة ، مبينا الآراء ، مع مناقشتها وترجيح ما يراه الأصوب منها ،
خاصة في المباحث المتعلقة بكتابة المصحف العثماني واشتماله على
الأحرف السبعة .

يبلغ الكتاب في طبعته الثانية بمطبعة المشهد الحسيني
بالقاهرة (١٦٨) صفحة من الحجم الصغير .

١٤ - (شرح المقدمة الجزرية) : والمقدمة الجزرية في
التجويد أشهر من أن تُعرَّف ، يعرج عليها الطلاب بعد حفظهم
لتحفة الأطفال والغلمان للشيخ سليمان الجمزوري ، فيحفظون
المقدمة ويجودون القرآن بمضمونها ، وقد ذكر هذا الشرح الشيخ
عبد الفتاح المرصفي في ترجمته للشيخ رحمه الله ولعله مخطوط فإنني
لم أعر عليه ، ولم أسمع ذلك من الشيخ مع حرصى على معرفة
مؤلفاته منه وقد أخبرنى بها .

وعندى طبعة مصرية لشرح الشيخ خالد الأزهرى على

المقدمة الجزرية تولى الشيخ الإشراف على تصحيحه وعلق عليه في بعض المواضع .

١٥ - (من علوم القرآن) : كتيب لطيف ، تناول فيه المؤلف عدداً من المهمات من علوم القرآن : معنى القرآن ، وأسماؤه ، والمكى والمدنى ، ونزوله ، وكتابه وجمعه ، وترتيبه ، ومحكمه ومتشابهه ، وأمثاله ، وقسمه ، وموهم الاختلاف من آياته ، وأساليبه ، وقصصه .

كل ذلك في أسلوب أخاذ واضح موجز ، فهو من أحسن ما ألف في هذا الموضوع ، خاصة للمبتدئين .
يبلغ الكتاب في طبعة (مكتبة الكليات الأزهرية بمصر) (١١٢) صفحة من الحجم الصغير .

١٦ - (تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة) : لم يترك لى هذا العنوان مجالاً للتعريف بهذا الكتيب ، يبلغ في طبعته المصرية التى طبعت بالقاهرة (١٩٧٠ م) (٤٦) صفحة من الحجم المتوسط .

١٧ - (أبحاث في قراءات القرآن الكريم) : تناول في هذا الكتاب ثلاثة عشر موضوعاً مهماً من الموضوعات المتعلقة بالقراءات هى كما عدها فى المقدمة : الأحاديث الواردة فى إنزال القرآن على سبعة أحرف وشرحها بإيجاز ، بيان المراد بالأحرف السبعة والرأى المختار فيها ، حكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف ، ما يستنبط من الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع ، قراءات الأئمة السبعة وصلتها بالأحرف السبعة ، قراءات الأئمة

العشرة جزء من الأحرف السبعة ، تواتر قراءات الأئمة العشرة ، ضابط القراءة المتواترة ، تقسيم القراءة الصحيحة . حكم إنكار القراءة المتواترة ، سبب إضافة القراءة إلى الصحابي أو القارىء ، القراءات اختيارات للقراء وبيان ذلك ، رأينا في التحريات . هذا الكتاب على وجازته حافل بعلم غزير وأبحاث هامة ، وهو متضمن خلاصة آراء الشيخ رحمه الله في تلك الموضوعات التي كانت مشار اختلاف وتباين في الأفهام والاجتهادات ، ورأيه رحمه الله في هذا الذى يسمونه (التحريات) واضح فى الكتاب ، وهو أنها اختيارات لا تلزم إلا مصنفها . يبلغ الكتاب فى طبعة (عبد الرحمن محمد بالقاهرة) (٣١) صفحة من الحجم المتوسط .

١٨ - (القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين) : هذا الكتاب من أحسن وأهم ما ألف الشيخ رحمه الله ، ردفه على المستشرق (جولد زيهر) الذى تعرض فى كتابه (مذاهب التفسير الإسلامى) للقراءات فوق فى أخطاء فادحة دلت على أنه أراد الطعن فى كتاب الله ، حيث غلب الطبع التطبع ، فإن المستشرقين من أمثاله مهما حاولوا أن يخفوا خبث نياتهم وفساد طوياتهم ، وأن يظهرها بمظهر الباحثين المنصفين إلا أن أقلامهم تكشفهم . وقد ناقش الشيخ شبهات هذا المستشرق بأسلوب يتجلى فيه طول نفسه فى التأليف ، ورسوخه فى علم القراءات وضبطه لها ، فهو يكثر من ذكر الأمثلة والأدلة عند تفنيده لآراء المستشرق المذكور . يبلغ الكتاب فى طبعته الثانية ، والتي تولتها مكتبة الدار بالمدينة المنورة (٢٠٣) صفحة من الحجم الصغير .

١٩ - (أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين) : كتاب كبير الحجم ، جليل القدر يعد من أحسن ما ألف في هذا الفن ، وسبقه إلى ذلك كثيرون ، لكن المتأخر في أغلب الأحيان يكون أكثر جمعاً ، كيف وقد التزم الشيخ رحمه الله في كتابه هذا ألا يُورد من الأسباب إلا ما كان صحيح السند محقق الثبوت ملائماً لروح الآيات وهدفها ، موائماً لسياقها وسباقها ، لا يصادم أصلاً من أصول العقيدة ، ولا يعارض نصاً من نصوص الشريعة ، ولا ينافي قاعدة من القواعد التي أجمع عليها علماء الاسلام وتلقته الأمة بالرضا والقبول كما يقول في الكتاب .

وقد اعتنى فيه أيضاً بالعزو والتخريج ، لكنه لا يتعرض للأسانيد بنقد أو تحليل .

يبلغ الكتاب في طبعته المصرية التي أخرجتها مكتبة عبد الرحمن محمد بالقاهرة (٢٥٦) صفحة من الحجم الكبير .

٢٠ - (أرجوزة الميراث) منظومة في علم الفرائض ، عدد أبياتها (١٥٨) بيتاً من بحر الرجز ، مطلعها :

الحمد لله القديم الباقي	مقدر الآجال والأرزاق
ثم الصلاة والسلام أبداً	على النبي العربي محتداً
وآله وصحبه الأئمة	وتابعيهم من هداة الأمة
وهذه أرجوزة الميراث	نظمتها للفتية الأحداث
وأسأل الله العليّ الأعلى	هدايتي إلى الطريق المثلى

ويقول فيها في أسباب الإرث :

قراية كذا نكاح أطلق	ثم الولاء للشريف المعثق
وبيت مالٍ إن إماماً عدلاً	في صرفه لمن له الحق أنجلاً

٢١ - (شرح أرجوزة الميراث) : شرح الأرجوزة السابقة ، شرحاً موجزاً لطيفاً سهلاً به هذا العلم على المبتدئين والفتية الأحداث - كما عبر في منظومته - ، لذلك لم يستوعب في الأرجوزة ولا في الشرح أبواب الفرائض ، فأخلاه من الأبواب الصعبة مثل : المناسخات ، والخنثى .

يبلغ الشرح في طبعته المصرية التي طبعت بالقاهرة سنة ١٣٩٣هـ (١٣٩) صفحة من الحجم الصغير .

٢٢ - (الصيام فضائله وأحكامه) : كتاب لطيف الحجم غزير الفائدة ، عنى فيه الشيخ رحمه الله بمسائل الصيام ، بأسلوب فقهي لكنه ممتع مهذب للنفس ، وقد بين فيه الأحكام مع ذكر مذاهب العلماء والإشارة إلى أدلتهم .

نشره لأول مرة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في غرة رمضان عام ١٣٩٢هـ .

ويبلغ عدد صفحاته في هذه الطبعة (١٧٥) صفحة من الحجم الصغير .

هذا ما تركه الشيخ رحمه الله من مصنفات ، رأينا أن أغلبها في العلوم القرآنية وأنه شارك فيها ناثراً وناظماً ، وله أسلوب سلس عذب في النظم كما أن أسلوبه في النثر يمتاز بالدقة والايجاز والسهولة ، وكان ينفر من الجشو والتعقيد ، وقد قرأت عليه كتابي (قواعد التجويد) من أوله إلى آخره فكان حريصاً على أن يخلو الكتاب من أى لفظة يمكن الاستغناء عنها .

وله رحمه الله مشاركة في تحقيق المخطوطات ، ظهر فيها أسلوبه المتميز ، فلم يثقل الهوامش بالتعليقات كما يصنع محققو

المخطوطات ، بل يصب كل عنايته على تصحيح النص ، وإذا
عثر على شيء منه يحتاج الى تعليق علق عليه بعبارات قليلة
موجزة لكنها محررة لا يستغنى عنها مطالع الكتاب ، كما تلمس
ذلك في تعليقاته على (تحبير التيسير) ، فهي على قلتها مهمة
جدا لفهم النص .

والكتب التي قام بتحقيقها هي :

١ - (تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة) للإمام
محمد بن الجزري ، حققه وعلق عليه بالاشتراك مع الشيخ محمد
الصادق قمحاوي وهو من تلامذته .
نشرته دار الوعي بحلب سنة ١٣٩٣هـ في (٢٠٦)
صفحة .

٢ - (شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة
أتراب القصائد) : أما العقيلة فهي رائية الشاطبي المشهورة في
رسم المصحف وعدد أبياتها (٢٩٨) من بحر البسيط ومطلعها :
الحمد لله موصولا كما أمرا مباركاً طيباً يستنزل الدررا
ذوالفضل والمن والإحسان خالقنا رب العباد هو الله الذي قهرا
والشرح لابن القاصح أبي البقاء علي بن عثمان بن محمد
المتوفى سنة ٨٠١هـ ، ويبلغ في طبعة الحلبي التي نشرت سنة
١٣٦٨هـ (١٠٨) صفحة .

٣ - (دليل الحيران شرح مورد الظمان) : مع ذيل الدليل
في علم الضبط ، أما منظومة مورد الظمان في علم رسم القرآن
فعدد أبياتها (٤٥٤) بيتا من بحر الرجز ، وناظمها هو أبو عبد الله

محمد بن محمد بن ابراهيم الأموى الشريشى الشهير بالخراز ،
والشارح هو الشيخ العلامة ابراهيم بن أحمد المارغنى التونسى
المتوفى سنة (١٣٤٩ هـ) وقد حقق الشيخ القاضى النظم والشرح
وعلق عليهما ، ويبلغ الكتاب فى طبعة دار القرآن بالقاهرة
(٤٧٩) صفحة .

هذا آخر ما يسر الله تحريره من ترجمة شيخنا العلامة الأستاذ
عبد الفتاح بن عبد الغنى القاضى وبيان أثره فى الدراسات
القرآنية ، غفر الله له ورحمه وجمعنا به فى جنات النعيم ، اللهم
اغفر لى ولوالدى ولمن يدعو لنا بكل خير آمين .

كتبه أبو مجاهد عبد العزيز القارئ

القِسْمُ الثَّالِثُ
المَصَاحِفُ العُثْمَانِيَّةُ
المُصْحَفُ الكُوفِيُّ

قام بتحرير هذا البحث

الشيخ محمود سيبويه البدوي - محاضر بقسم القراءات بالكلية

مقدمة :

المصاحف العثمانية : هي المصاحف التي أمر بكتابتها الخليفة الراشد ذو النورين عثمان بن عفان بعد أن شاور المهاجرين والأنصار بالمدينة رضوان الله عليهم أجمعين واتفق الجميع على ما رآه من كتابة المصاحف وجمع الأمة عليها، وتحريق ما سواها .

فانتدب رضى الله عنه زيد بن ثابت ومعه الرهط القرشيون : عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

وأمرهم أن ينسخوا صحف أبي بكر الصديق رضى الله عنه فى مصاحف، بعد أن يعرضوا ما فيها على صدور الصحابة حتى يتحقق التواتر ويتطلبوا عليه مع ذلك نسخة خطية مما كُتب بين يدى النبى ﷺ ، وعدد المصاحف ستة على الأصح .

ولما أنجزوا المهمة وكتبوا المصاحف الستة، أرسل إلى كل مصر من الأمصار الإسلامية الكبرى مصحفاً، وهذه الأمصار هى : مكة، والشام، والكوفة، والبصرة، وأبقى مصحفاً فى المدينة ويُسمى المدنى العام، واختار لنفسه المصحف السادس ويسمى المدنى الخاص أو المصحف الإمام، وأرسل مع كل مصحف مُقرئاً من أهل القرآن، ليُقرئ الناس، حيث لا يُتلقى القرآن إلا مشافهةً .

وكان هدف عثمان رضى الله عنه من كتابة هذه المصاحف إثبات نص القرآن بأحرفه وقراءاته الثابتة بموجب العرضة الأخيرة، وتجريد المصاحف مما سوى ذلك، فتكون مرجعاً

للمسلمين ، حتى إذا اختلفوا في قراءات القرآن وأحرفه وجدوا في هذه المصاحف ضابطاً للتمييز بين ما هو قرآن ثابت وبين ما هو غير ذلك .

ولذا أمر الخليفة الراشد بتحريق ما سوى هذه المصاحف لحسم مادة النزاع وسد ذريعة الاختلاف في كتاب الله . وقد أثبت كتاب المصاحف العثمانية القراءات المختلفة المنزلة برسم واحد كلما أمكن ذلك ، وما لم يمكنهم إثباته برسم واحد فرقوه في المصاحف برسمين مختلفين كما سيأتي بيانه . ومن هنا وجدت فروق يسيرة بين المصاحف في نص القرآن .

ومما ساعدهم على إثبات القراءات المختلفة برسم واحد في معظم المواضع تجريد الخط من النقط والشكل ، وكتابة الآيات بطريقة إملائية خاصة تجعل الخط محتملاً لوجهين فأكثر . وهذه المصاحف الستة لم يبق من أعيانها شئء اليوم ، وكانت آخر نسخة منها شوهدت مصحف الشام ، فقد ذكر ابن الجزرى المقرئ أنه شاهده ، وابن الجزرى توفى سنة (٨٣٣ هـ) .

وأما النسخ الموجودة اليوم في بعض متاحف العالم ويُدعى أنها من تلك المصاحف فليس هناك دليل ، تطمئن إليه النفس يثبت لها ذلك ، لكن المصاحف العثمانية وُصفت وصفاً دقيقاً ونُقلت إلينا عبر علم (الرسم والضبط) ، فعلم الرسم يصف الطريقة الإملائية التي كتبت بها ، وعلم الضبط يصف ما طرأ على هذه الطريقة من إضافات ، بينما نص القرآن الذي كُتب في هذه المصاحف ، مع أحرفه وقراءاته المختلفة المنزلة ، كل ذلك نُقل إلينا عبر صدور الحفاظ ، الذين تلقوه جيلاً عن جيل مشافهةً .

عملنا في المصحف :

من أهم المشروعات التي وضعتها الكلية ضمن أهدافها إخراج مصحفين : مصحف مطبوع تشرف الكلية على إعداده بالطريقة العلمية المرعية عند علماء القراءات والرسم والضبط والفواصل ، ومصحف مرتل بالقراءات المتواترة (١) .

وقد بدأت الكلية الخطوات الأولى في المشروعين : فكانت أول خطوة في المصحف المرتل هي تسجيل دروس القراءات السبع (بمضمن الشاطبية) ، وهي التي تُذاع من إذاعة القرآن الكريم بالمملكة بعنوان (دروس من القرآن) ، وستقوم الكلية بإذن الله تعالى بتسجيل نسخة ثانية بالقراءات العشر المتواترة من طريقى الشاطبية والدرة ، فإذا أتمت ذلك فإنها تقوم بتسجيل نسخة أخرى من طريق النشر وطيبته .

وأما المصحف المطبوع الذي تعزم الكلية نشره ، فأول خطوة منه هي كتابة سورة الفاتحة وثلاثين آية من أول سورة البقرة في هذا العدد من المجلة ، ومرادنا من نشر هذا القدر هنا أن يطلع عليه أهل الفن فيوافقونا بملاحظاتهم واقتراحاتهم ، فيتسنى لنا بذلك الاستفادة منها قبل طبع المصحف .

(١) نقدم شكرنا الجزيل لساحة رئيس إدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد الشيخ عبد العزيز بن باز فقد كان لاقتراحه الذي أرسله إلى الكلية يحنثها فيه على الإقدام على هذين المشروعين كان لذلك أثر كبير في تشجيع الكلية على البدء فيها مع تهيب المسؤولين فيها من عظم المسؤولية في ذلك ، كما أن المسؤولين في الجامعة وعلى رأسهم معالي رئيسها الدكتور عبّء الله العبيد ، وفضيلة رئيس المجلس العلمى الشيخ عبد المحسن العباد دعموا الكلية في ذلك ، وفق الله الجميع لخدمة كتابه الكريم وشرعه القويم .

وبعد دراسة مستفيضة من قبل الجهة المتخصصة، وهي
(قسم القراءات) بالكلية، رأينا أن نلتزم بما يأتي في طبع
المصحف :-

أولاً : إبراز (جوهر الرسم) : أى النص القرآنى كما كتب
في جمعة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولما كان
النص القرآنى في مصاحف عثمان قد كتب مجرداً من النقط والشكل
فقد اخترنا أن نكتبه بالمداد الأسود، على أن يكتب ماسواه من
الضبط والشكل، وعلامات الفواصل، وأرقام الآيات، وعلامات
الأجزاء والأحزاب والأرباع، وأسماء السور، كل ذلك بمداد
مخالف، واخترنا أن يكون بالحمرة اتباعاً لطريقة المتقدمين في كتابة
المصاحف وقد نص عليه بعض المحققين كالنووى .

والغرض من ذلك واضح : وهو التفريق بين النص القرآنى
وغيره، وإبراز جوهر الرسم العثمانى .

ثانياً : اعتمدنا في كتابة النص القرآنى على مصحف
الكوفة، حيث إننا ضبطناه على قراءة حفص عن عاصم
(الكوفيين)، وهى القراءة المتداولة اليوم في معظم الأقطار
الإسلامية .

ثالثاً : حرصنا على تجريد المصحف - قدر الإمكان - ، ولم
نثبت فيه شيئاً سوى القرآن، إلا ما اضطررنا إلى إثباته لشدة
الحاجة إليه كالضبط والشكل، ورموز الفواصل، وترقيم الآيات،
وأسماء السور، واكتفينا في الرمز للأجزاء والأحزاب والأرباع بوضع
نجمة على علامة الفواصل (وهى الدائرة)، وخصصنا كلاً من
الجزء والحزب بعلامة في الهامش إلا أننا نضع رقم الجزء في هذه

العلامة، ونترك علامة الحزب بدون ترقيم. ووجدنا باقى الهوامش فلم نثبت فيها شيئاً .

وبناء على ذلك نكون قد حذفنا ما درج عليه كثير من المطابع من إثبات اسم السورة والجزء فى أعلى الصفحة، وبيان نوع السورة - مكية أم مدنية - وذكر عدد آياتها، كل ذلك لم نره ضرورياً مع ما فيه من محذور هو: إثبات غير القرآن بين الدفتين دون أن تكون هناك حاجة ماسة .

ومما حذفناه رموز الوقف، فإن هذه الرموز فائدتها إعانة القارئ على التدبر وعلى معرفة مواضع الوقف، إلا أنها غير متفق عليها، لذلك تختلف المصحف الآن فيها اختلافاً كبيراً، بل إن علماء الوقف أنفسهم اختلفت الرموز التى وضعوها لأقسام الوقف، تبعاً لاختلافهم فى هذه الأقسام .

وأمر ثانٍ دعانا إلى تجريد المصحف من هذه الرموز هو أنها محل اجتهاد، وتابعة لفهم واضعها للمعانى، والأفهام تتفاوت، وقد يكون للآية أكثر من وجه فى المعنى فترجيح وجه على وجه آخر حصر بدون دليل فى كثير من الأحيان، فلم نر أن نثبت بين دفتى المصحف هذه الرموز الاجتهادية المحتملة للخطأ والصواب والتى تكون محل منازعة واختلاف .

مع أن تجريد المصحف من هذه الرموز يعيد القارئ إلى السنة الصحيحة لتلقى القرآن وهو المشافهة، ويدفعه إلى تدبر المعانى دون الاتكال على تلك الرموز .

وربما لاحظ المتأمل فى النموذج المنشور فى هذا العدد أننا حرصنا أيضاً على تجريد المصحف من الأشكال والزخارف التى

درج الطابعون علي الإكثار منها والإسراف فيها مع أنها في رأينا
تصرف جزءاً كبيراً من انتباه القارئ ، بينما الأحسن أن يركز
انتباهه على النص .

النقط والشكل

النقط نوعان :

أحدهما : نقط الإعراب : وهو ما يدل على ما يعرض
للحرف من حركة أو سكون .

وثانيهما : نقط الإعجام : وهو ما يدل على ذوات الحروف ،
ويعمدين معجمها ومهملةا : كالنقطة الموضوعه تحت الباء
والنقطتين الموضوعتين على التاء من أعلاها وهكذا فنقطة الباء قد
ميزتها عما يشاركها في رسمها من التاء والثاء .

والشكل : معناه ما يدل على ما يعرض للحرف من حركة
أو سكون أو شد ، أو مد ، أو نحو ذلك ، ويرادفه الضبط ، والذي
جرح إليه المحققون من العلماء أن الذي وضع النقط بمعناه الأول
وهو نقط الإعراب أبو الأسود الدؤلي (١) وذلك أن أمير المؤمنين
معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد وكان والياً من قبل معاوية
على البصرة يطلب عبيد الله بن زياد فلما قدم عليه كلمه معاوية
فوجده يلحن ، فرده إلى أبيه وكتب إليه كتاباً يلومه فيه على وقوع
إينه في اللحن ، فبعث زياد إلى أبي الأسود وقال له : إن هؤلاء

(١) اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكنانى واضع علم النحو من التابعين
رسم له على بن أبى طالب رضى الله عنه شيئاً في أصول النحو فكتب فيه أبو الأسود ولى اماره
البصرة فى أيام على توفى سنة ٦٩ هـ الأعلام للزركلى ٣/٣٤٠ .

الأعاجم قد أفسدوا لغة العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح الناس به كلامهم، ويعربون به كلام الله تعالى. فامتنع أبو الأسود لأمر ما، فأمر زياد رجلاً أن يجلس في طريق أبي الأسود وقال له: إذا مر بك أبو الأسود فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه، فلما مر به أبو الأسود قرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ (١) بجر اللام من لفظ ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾.

فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عزَّ وجهُ الله أن يتبرأ من رسوله. ثم رجع إلى زياد وقال له: قد أجبتك إلى ما طلبت، ورأيت أن أبدأ بإعراب المصحف، ثم اختار أبو الأسود رجلاً وقال له: خذ مصحفاً وصبغاً يخالف لونه لون مداد المصحف فإذا فتحت شفتي فانقط نقطة واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف (أى أمامه)، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله فإذا أتبعْتُ شيئاً من هذه الحركات غنةً (أى تنويناً) فانقط نقطتين. فبدأ بأول المصحف حتى أتى على آخره.

أما النقط بمعناه الثانى وهو نقط الإعجام فأرجح الآراء فى واضعه أنه نصر بن عاصم (٢)، ويحيى بن يعمر (٣).

وذلك أنه لما كثر الداخلون فى الإسلام من الأعاجم كثر التصحيف فى لغة العرب وانتشر على كثير من الأفواه، فخيف على القرآن أن تمتد إليه يد هذا اللحن فأمر أمير المؤمنين عبد الملك

(١) التوبة ٣.

(٢) هو نصر بن عاصم الليثى من أوائل واضعى علم النحو، وكان فقيهاً عالماً بالعربية، من التابعين، توفى سنة ٨٩ هـ - ٣٤٣.

(٣) هو يحيى بن يعمر العدوانى، ولد بالأهواز وسكن البصرة، وكان من علماء التابعين، وأخذ اللغة عن أبيه والنحو عن أبى الأسود، توفى سنة ١٢٩ هـ - الأعلام للزركلى ٢٢٥/٩.

ابن مروان الحجاج بن يوسف - وكان والياً من قبله على العراق - أن يُعنى بهذا الأمر الجليل، ويعمل جاهداً على إبعاد أسباب التحريف عن ساحة القرآن، فندب الحجاج للقيام بهذه المهمة رجلين من علماء الإسلام المبرزين في اللغة العربية وأسرارها، وفنون القراءات وتوجيهها وهما نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، ثم أخذوا في تنفيذ هذه المهمة، فوضعا هذا النوع من النقط، لتمييز الحروف بعضها عن بعض محافظة على كتاب الله تعالى، وصوناً له من اللحن والتحريف.

وكان هذا النقط بلون مداد المصحف حتى يتميز عن النقط الذى وضعه أبو الأسود الدؤلى. ويؤخذ من هذه القصة وما قبلها أن النقط بمعناه الأول سابق عليه بمعناه الثانى ضرورة تقدم زمن زياد على الحجاج.


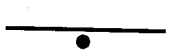
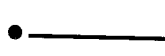
الشكل: فى عصر الدولة العباسية ظهر الخليل بن أحمد (١)



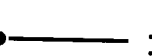
فأخذ نقط أبى الأسود، وحوّرفيه، وجعله على هذا النمط المستعمل الآن، فجعل الضمة واواً صغيرة تُوضع فوق الحرف على ما عليه العمل، والفتحة ألفاً صغيرة مبطوحة تُوضع فوق الحرف على ما عليه العمل، والكسرة ياء صغيرة مردودة إلى خلف مع إسقاط رأسها وتوضع تحت الحرف، ثم جعل علامة التشديد رأس شين بدون نقط، وهذه العلامة مأخوذة من كلمة (شد)، أو (شديد).

(١) هو أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى الأزدي اليمدنى، من أئمة اللغة والأدب وهو أستاذ سيبويه وواضع علم العروض، ولد بالبصرة سنة مائة هجرية وتوفى سنة سبعين ومائة. الأعلام للزركلى ٣٦٣/٢.

وجعل علامة السكون رأس خاء وهي مأخوذة من كلمة (خلو) للدلالة على خلو الحرف من الحركة إلى غير ذلك من العلامات .
 ثم إن هذه العلامات دخل عليها شيء من الاختزال والتحسين حتى آلت إلى ماهى عليه الآن .
 وصفوة القول أن نقط الإعراب الذى وضعه أبو الأسود الدؤلى كان فى المرحلة الأولى بعد أن كانت المصاحف مجردة من النقط والشكل ، وأن نقط الإعجام الذى وضعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر كان فى المرحلة الثانية ، وأن الشكل الذى وضعه الخليل بن أحمد ليكون عوضاً عن نقط الإعراب كان فى المرحلة الثالثة .

المرحلة الأولى :

- نقط أبى الأسود الدؤلى المسمى نقط الإعراب .
 مصطلحه فى هذا النقط :
- أ — لون هذا النقط مخالف لمداد المصحف .
 ب — الفتحة نقطة فوق الحرف هكذا :  .
 ج — الكسرة نقطة تحت الحرف هكذا :  .
 د — الضمة نقطة أمام الحرف هكذا :  .
 هـ — التنوين نقطة أخرى بعد نقطة حركة الحرف هكذا : -

- :  : إن كان الحرف مفتوحاً
 :  : إن كان الحرف مكسوراً
 :  : إن كان الحرف مضموماً

المرحلة الثانية :

نقط الإعجام :

وهو ما يدل على ذوات الحروف ويميز بين معجمها ومهملها .

مصطلح هذا النقط :

لون هذا النقط بلون مداد المصحف ليميز عن نقط أبي الأسود السابق .

المرحلة الثالثة :

مصطلح الشكل والضبط المستعمل الآن .

على ما وضعه الخليل بن أحمد وغيره من علماء الضبط .
عرفنا مما سبق عند الكلام على الشكل الذى وضعه الخليل
ابن أحمد أنه جعل الضمة واواً صغيرة توضع فوق الحرف على ما
عليه العمل هكذا أ والفتحة ألفاً صغيرة مبطوحة توضع
فوق الحرف هكذا : أ والكسرة ياء صغيرة مردودة إلى
خلف، ولكن مع إسقاط رأسها، وتوضع تحت الحرف
هكذا : أ

ثم إذا كان الحرف منونا كانت علامة التنوين علامة كعلامة
الحركة، لكونه ملازماً لها لا يأتى إلا بعدها، فيزاد على الضمة
ضمة أخرى هكذا : أ ، وعلى الفتحة فتحة أخرى
هكذا : أ وعلى الكسرة كسرة أخرى هكذا : أ
تركيب الحركتين وتتابعهما :

تركيب الحركتين (أى الضمتين أو الفتحتين، أو الكسرتين)
هكذا : أ يدل على إظهار التنوين نحو:

﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ .
وتتابع الحركتين هكذا : وَفِي مع تشديد التالى
يدل على إدغامه (أى التنوين) إدغاماً كاملاً نحو: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ
اللَّهِ ﴾ ، ﴿ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ .
وتتابعها مع عدم التشديد يدل على الإدغام الناقص نحو :
﴿ وَجُوهٌ يُّؤَمِّدُونَ ﴾ ، ﴿ رَجِيمٌ وَدُودٌ ﴾ ، أو الإخفاء نحو
﴿ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ ونحو: ﴿ سِرَاعًا ذَٰلِكَ ﴾ ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾
﴿ كِرَامٍ ﴾ .

ضبط التنوين عند قلبه ميما :

وضع ميم صغيرة بدل الحركة الثانية من النون ، مع عدم
التشديد يدل على قلب التنوين ميما نحو: ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴾ ﴿ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ .

ضبط النون الساكنة :

السكون كما قدمنا رأس خاء صغيرة (بدون نقطة) وهو
مأخوذ من كلمة «خال» لخلو الحرف من الحركة :
ووضع السكون فوق الحرف يدل على أنه مظهر بحيث
يقرعه اللسان نحو: ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾ .
وتعرية الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالى
يدل على إدغام الأول فى الثانى إدغاماً كاملاً نحو: ﴿ مِنْ نِعْمَةٍ ﴾
﴿ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ ﴾ .

وتعريته مع عدم تشديد التالى يدل على إخفاء الأول عند
الثانى فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان ، ولا هو مدغم حتى يقرب

من جنس تاليه نحو: ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ ﴿ يَعْتَصِمُ بِاللَّهِ ﴾ . أو على إدغامه فيه إدغاماً ناقصاً نحو: ﴿ مَنْ يَقُولُ ﴾ ﴿ مِنْ وَالٍ ﴾ ﴿ تَسَطَّتْ ﴾ .

ووضع ميم صغيرة فوق النون الساكنة بدل السكون مع عدم تشديد الباء يدل على قلب النون ميماً نحو ﴿ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ ﴿ مُنْبَأً ﴾ .

الإلحاق :

الحروف الصغيرة الملحقة تدل على أعيان الحروف المتروكة في المصاحف العثمانية مع وجود النطق بها نحو: ﴿ ذَلِكَ أَلِكْتَبُ ﴾ ﴿ يَلُؤُونَ أَلِسْتَهُمْ ﴾ ﴿ يُجِيءُ وَيُمِيتُ ﴾ ﴿ أَلْحَوَارِيجُ ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ نُجِيءُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وإذا كان الحرف المتروك له بدل في الكتابة الأصلية عول في النطق على الحرف الملحق لا على البديل نحو: ﴿ الصَّلَاةُ ﴾ ﴿ مَوْلَانَهُ ﴾ .

علامة المد :

علامة المد مدة بآخرها ارتفاع قليل تجعل فوق حروف المد الثلاثة إذا وليها همز أو سكون تنبيهاً على أنها تمد مداً زائداً على مقدار المد الأصلي (الطبيعي) هكذا : « - » وهي مأخوذة من كلمة (مد) بعد طمس ميمها وإزالة الطرف الأعلى من دالها مثل ﴿ أَلْم ﴾ ﴿ أَلْحَاقَةُ ﴾ ﴿ فُرُوءِ ﴾ ﴿ سِيءَ بِهِمْ ﴾ ﴿ شُفَعَاؤُا ﴾ ﴿ بِنَاءِ ﴾ ﴿ أَنْزَلَ ﴾ .

الحروف الزائدة :

وضع الصفر المستدير فوق حرف علة يدل على زيادة ذلك الحرف فلا ينطق به في الوصل ولا في الوقف نحو: ﴿قَالُوا﴾ ﴿يَتْلُوا﴾ ﴿لَا أَذْبَحَنَّهُ﴾ ﴿أُولُوا﴾ ﴿بِأَيْدِي﴾ .
ووضع الصفر المستطيل القائم فوق ألف بعدها متحرك يدل على زيادتها وصلًا لا وقفًا نحو ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ .

الممال والمشم :

وضع النقطة تحت الحرف يدل على إمالة الفتحة نحو الكسرة وإمالة الألف نحو الياء كالإمالة لحفص في لفظ ﴿مجرها﴾ وقد جعلوها الآن خالية الوسط على شكل معين هكذا : ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَهَا﴾ لتعسر طباعتها باللون الأحمر ولم يمل حفص غير هذه الكلمة في القرآن الكريم .

ووضع النقطة المذكورة أمام الحرف يدل على الإشمام وهو ضم الشفتين كهيئتهما عند النطق بالضممة إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق . نحو «تأمنا» في قوله تعالى ﴿مَالِكٌ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ .

الهمزة :

إذا كانت الهمزة مسهلة بين بين فضبطها نقطة مدورة مسدودة الوسط توضع فوق الهمزة الثانية وذلك في قوله تعالى : ﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ .

ولم يسهل حفص من الهمزتين من كلمة - إذا كانت الهمزتان همزتي قطع - إلا هذه الكلمة وليس له تسهيل مطلقاً في الهمزتين من كلمتين وكان النقاط يضعون للهمزة المحققة نقطة صفراء .
وجعلها الخليل بن أحمد رأس عين هكذا: « ء » وهي مأخوذة من كلمة قطع .

وإذا كانت الهمزة همزة وصل فعلاقتها رأس صاد صغيرة هكذا: « ص » وهي مأخوذة من كلمة وصل .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الهمزة لم توضع في المصاحف العثمانية، بل جعل موضعها خالياً، ثم وضعت لها هيئة، فمن العلماء من جعلها نقطاً، وجعلها الخليل بن أحمد عينا (أى رأس عين) وتكتب الهمزة باللون الأصفر إذا كانت محققة كما ذكرنا .

تجزئة المصحف

كما كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل - كما تقدم - كانت خالية من التجزئة أيضاً، ثم قامت طائفة فقسمت القرآن ثلاثين قسماً، وأطلقت على كل قسم منها اسم «الجزء» وقسمت الجزء إلى حزبين، وقسمت الحزب إلى أربعة أقسام وسمت كل قسم منها «ربعا» .

ومن كتاب المصاحف في الصدر الأول من كان يضع ثلاث نقط في نهاية كل فاصلة من فواصل الآيات إعلماً بانقضاء الآية ويضع كلمة «خمس» عند نهاية كل خمس آيات من السورة وكلمة «عشر» عند نهاية كل عشر آيات منها .

فإذا انتهت خمس أخرى بعد العشر أعاد كلمة «خمس» فإذا صارت هذه الخمس عشراً أعاد كلمة «عشر» وهكذا إلى آخر السورة، وبعضهم يكتب في موضع الأخماس رأس الخاء بدلا من كلمة خمس، ويكتب في موضع الأعشار رأس العين بدلا من كلمة عشر .

وبعض الناس يرمز إلى رؤوس الآي برقم عددها من السورة أو من غير رقم .

ومنهم من كان يكتب اسم السورة، وكونها مكية أو مدنية . واختلف العلماء في ذلك كله فأجازوه قوم بكراهة، وآخرون بلا كراهة .

القراءات ، وموافقها للرسم العثماني

سورة الفاتحة

١ - في لفظ ﴿ ملك ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ
الدِّينِ ﴾ قراءتان :

إحدهما : بحذف الألف بعد الميم .
وثانيتها : باثبات هذه الألف .

وقد رسم هذا اللفظ في جميع المصاحف العثمانية بحذف
الألف للإشارة إلى قراءة الحذف وقراءة الحذف توافق الرسم
تحقيقا .

وقراءة الإثبات توافق الرسم تقديرا ، لأن المحذوف لعله -
كالاختصار والإشارة - في حكم الثابت .
فالألف وإن حذفت في الرسم ملاحظ وجودها في الذهن
والتقدير .

وهذا النوع من الحذف يسمونه حذف الإشارة وهو ما يكون
موافقا لبعض القراءات .

والحذف عند علماء الرسم ثلاثة أنواع :
النوع الأول : حذف الإشارة ، وهو ما يكون موافقا لبعض
القراءات .

النوع الثاني : حذف الاختصار ، وهو ما لا يختص بكلمة
دون مماثلها فيصدق بما تكرر من الكلمات ، وما لم يتكرر منها .
وذلك كحذف ألف جموع السلامة بشروط المذكورة في كتب
الرسم .

النوع الثالث : حذف الاقتصار، وهو ما اختص بكلمة، أو كلمات دون نظائرها كلفظ «أَلْمَيْعَلِدِ» في سورة الأنفال وربما جامع النوع الأول أحد القسمين الأخيرين كحذف الألف التي بعد الواو في لفظ «وعدنا» والتي بعد الراء في لفظ «سرجا» بالفرقان .
 ٢ — في لفظ «صراط» حيث وقع سواء أكان معرفا أم منكرا
 ثلاث قراءات :

أ — قراءة بالسين الخالصة وهي موافقة للرسم تقديرا .
 ب — وقراءة بالصاد الخالصة وهي موافقة للرسم تحقيقا .
 ج — وقراءة بالإشمام أى بإشمام الصاد صوت الزاى .
 بحيث يتولد منها حرف فرعى ليس بصاد خالصة ولا زاى خالصة وإنما هو حرف بين الصاد والزاى وهي موافقة للرسم تقديرا .

قال المحقق ابن الجزرى فى النشر: إن الصحابة كتبوا الصراط بالصاد المبدلة من السين، وعدلوا عن السين التى هى الأصل لتكون قراءة السين - وإن خالفت الرسم من وجه - قد أتت على الأصل فيتعادلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك، ولعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل .

سورة البقرة :

(١) فى لفظ: «يُخَدَعُونَ» فى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ قراءتان: -
 أ — قراءة بفتح الياء وسكون الخاء مع حذف الألف وفتح الدال .

ب — وأخرى بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها مع كسر
الذال .

وقد رسم هذا اللفظ في جميع المصاحف العثمانية بحذف
الألف بعد الخاء للإشارة إلى قراءة الحذف .
وقراءة الحذف توافق الرسم تحقيقا .
وقراءة الإثبات توافق الرسم تقديرا، لأن المحذوف لعله
كالثابت كما تقدم في لفظ «ملك» .

الرسم العثماني

كان نسخ المصاحف العثمانية من صحف أبي بكر بإشراف
الخليفة عثمان وأعلام الصحابة من المهاجرين والأنصار رضى الله
عنهم أجمعين، وكانوا لا يكتبون في المصاحف شيئا إلا بعد أن
يعرض على الصحابة جميعا، ويتحققوا أنه قرآن، وأنه لم تنسخ
تلاوته، وأنه استقر في العرصة الأخيرة، فلم يكتبوا ما نسخت
تلاوته ولا ما لم يكن في العرصة الأخيرة، ولا ما كانت روايته
أحادا، ولا ما ليس بقرآن: كالذي كان يكتبه الصحابة في
مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى، أو بيانا للناسخ، أو منسوخ، أو
نحو ذلك وكتبوا هذه المصاحف متفاوتة في الحذف والإثبات
وغيرهما لأن عثمان رضى الله عنه قصد اشتغالها على الأحرف
السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وجعلت خالية من النقط
والشكل تحقيقا لهذا الغرض أيضا .

وقد كتبت هذه المصاحف برسم يخالف القواعد الإملائية
الحديثة في أشياء مدونة في التآليف الخاصة بهذا الفن المسمى
(الرسم العثماني) والرسم العثماني أكثره موافق للخط الإملائي
الحديث .

ولنذكر أنواع مخالفة الرسم العثماني للرسم الإملائي
الحديث بإيجاز مع ذكر أمثلة لكل نوع .

١ - الحذف :

كحذف الألف التي بعد العين في لفظ «الْعَلَمِينَ» والتي
بعد الميم في لفظ «مَلِكٍ» ولفظ «مُسَلِّمَتٍ» وكحذف إحدى
الياءين في لفظ «النَّبِيِّينَ» ولفظ «يُحْيِيءُ» وكحذف إحدى الواووين
في لفظ «يَسْتَوُونَ» ولفظ «الْعَاوُونَ» وكحذف إحدى اللامين في
ألفاظ مخصوصة منها: «الَّيْلُ» وكحذف النون الثانية من لفظ
«نَحْيِي» في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُحْيِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالأنبياء (١) .

٢ - الزيادة :

كزيادة الألف في لفظ «لِسَائِيءٍ» بالكهف (٢) .
وزيادتها بعد الواو التي هي علامة للرفع في جمع المذكر
السالم والملحق به إذا حذفت النون للاضافة مثل: ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ
النَّاقَةَ﴾ (٣) ﴿بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (٤) .

وبعد الواو المتطرفة الواقعة لاما من الفعل المضارع نحو:
«أَشْكُوا يَتَّى» (٥) «وَنَبَلُّوا أَخْبَارَكُمْ» (٦) إلا لفظ «أَنْ يَعْفُو» (٧) وكزيادة

(١) ٨٨ .

(٢) ٢٣ .

(٣) القمر ٢٧ .

(٤) يونس ٩٠ .

(٥) يوسف ٨٦ .

(٦) محمد عليه الصلاة والسلام ٣١ .

(٧) النساء ٩٩ .

الياء في لفظ «بَأْيَيْدٍ» في الذاريات (١) وكزيادة الواو في لفظ «سَأُورِيكُمْ» في الأعراف (٢) .

٣ - الهمز :

كتصوير الهمزة ألفا في لفظ «لَتَتَّوَأُ» (٣) وتصويرها واوا في لفظ «يَبَدُّوْا» حيث وقع . وتصويرها ياء في لفظ «وَإِيْتَايِ» في النحل (٤) وكعدم تصويرها في لفظ «الرُّؤْيَا» .

٤ - البدل :

كرسم الألف واوا في لفظ «أَلَصَّلَوَّة» غير مضاف إلى ضمير ، وفي لفظ «أَلَزَّكُوَّة» ولفظ «كَمِشْكُوَّة» (٥) .

٥ - الفصل والوصل :

مثال الفصل : «وَحَيْثُ مَا» في موضعي البقرة (٦) .

ومثال الوصل : «يَبْنُوْهُمْ» في سورة طه (٧) .

مذاهب العلماء في التزام الرسم العثماني :

ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلى وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف الشريف .

واستدلوا على ذلك بما يلي :

أن هذا الرسم الذي كتبت عليه المصاحف قد اظفر بإقرار الرسول ﷺ له ، وإجماع الصحابة عليه ، واتفاق الأمة عليه بعد ذلك في عهد التابعين وأتباعهم والأئمة المجتهدين .

(٥) النور ٣٥ .

(٦) ١٤٤ ، ١٥٠ .

(٧) ٩٤ .

(١) ٤٧ .

(٢) ١٤٥ .

(٣) القصص ٧٦ .

(٤) النحل ٩٠ .

فقد كان للنبي ﷺ كتاب يكتبون الوحي ، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم ، وأقرهم الرسول ﷺ على كتابته وانتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى وقد كتب القرآن كله على هذه الكيفية المخصوصة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل .

ثم تولى الخلافة بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فأمر بكتابة القرآن كله في الصحف على هذه الكيفية ، ثم جاء عثمان رضى الله عنه فأمر بنسخ المصاحف العثمانية من صحف أبي بكر على هذا الرسم أيضا ، وأرسلها إلى الأمصار ، لتكون إماما للمسلمين ، وأقر أصحاب رسول الله ﷺ عمل أبي بكر وعثمان رضى الله عنهما ، ولم ينكر أحد منهم عليهما شيئا ، بل ظفر كل منهما بإقرار جميع الصحابة لعمليهما .

واستمرت المصاحف مكتوبة بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة ولم ينقل أن أحدا منهم حدثه نفسه بأن يستبدل به رسما آخر من الرسوم التي حدثت في عهد ازدهار التأليف ، ونشاط التدوين ، بل بقى الرسم القديم منظورا إليه بعين التقديس والإكبار في سائر العصور المختلفة والأزمنة المتفاوتة ، مع أنه قد وجد في هذه العصور المختلفة أناس يقرءون القرآن ولا يحفظونه ، وهم في الوقت نفسه لا يعرفون من الرسم إلا هذا الرسم المحدث بين الناس في كتابة غير القرآن ولم يكن وجود هذا الصنف من الناس مما يبعث الأمة على تغيير رسم المصحف بما تقضى به هذه القواعد الجديدة .

ومن كل ما تقدم عرفنا أن الرسم القديم الذي كتبت عليه المصاحف قد حظى بإقرار الرسول ﷺ له ، وإجماع الصحابة

عليه ، ورضا أئمة الصدر الأول عنه ، واتفاق التابعين وأتباعهم والأئمة المجتهدين عليه وإذا ثبت ذلك فلا يجوز العدول عنه إلى غيره .

نصوص الأئمة في التزام الرسم العثماني :
روى الامام السخاوى^(١) أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة سئل :

أرأيت من استكتب مصحفا أرأيت أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم؟

فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتابة الأولى .
قال السخاوى : والذي ذهب إليه مالك هو الحق إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى بعد الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأخرى إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى .

وقال الإمام أبو عمرو الدانى^(٢) : لا مخالف لمالك في ذلك من علماء الأمة وقال الدانى أيضا : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل : الواو والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه شىء من ذلك؟ قال : لا قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو : أولوا .

(١) أبو الحسن علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوى الشافعى عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير وله نظم وأصله من (سخا) بمصر سكن دمشق وتوفى فيها ٦٤٣ هـ .

من كتبه جمال القراء وكمال الإقراء الأعلام للزركللى ١٥٤/٥ .
(٢) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموى مولا هم المعروف بابن الصيرفى وكنى أبا عمرو من أهل قرطبة وعرف بالدانى لسكناه دانية وكان أبو عمرو من الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومن حفاظ الحديث وله مؤلفات كثيرة منها التيسير في القراءات السبع ، والمقنع في رسم المصاحف ، والمحكم في نقط المصاحف توفى سنة ٤٤٤ هـ .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: تحرم مخالفة خط عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك .

وقال صاحب المدخل: ويتعين على كاتب المصحف أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان من نسخ المصحف على غير المرسوم الذي اجتمعت عليه الأمة .

وقال البيهقي^(١) في شعب الايمان: من كتب مصحفا ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئا، فانهم كانوا أكثر علما، وأصدق قلبا ولسانا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم .

ونقل الإمام الجعبري^(٢) وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني إلى غير ذلك من النقول التي توجب التزام الخط العثماني .

ففي كل هذه النصوص التي أوردتها العلماء دلالة جلية، بل قاطعة على وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف، ولا سيما أنه أحد الأركان الثلاثة التي عليها مدار القراءات .

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي من أئمة الحديث، ولد في (خسرو جرد) من قرى بيهق بنيسابور سنة ٣٨٤ هـ وله تصانيف كثيرة: منها السنن الكبرى، والسنن الصغرى، والجامع المصنف في شعب الايمان وتوفي سنة ٤٥٨ هـ الأعلام للزركلي ج ١ ص ١١٣ .

(٢) أبو اسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ولد بقلعة جعبر (على الفرات بين بالس والرقعة) عالم بالقراءات من فقهاء الشافعية وله نحو مائة كتاب أكثرها مختصر منها: شرح الشاطبية المسمى (كنز المعاني) (نزهة البررة في القراءات العشرة) وخميلة أرباب المقاصد في رسم المصحف، توفي سنة ٧٣٢ هـ .

ففى الحفظ عليه حفظ على القراءات التى نزل بها القرآن
الكريم .

فلورسم مثلاً لفظ «ملك» فى قوله تعالى : ﴿مَلِكِ يَوْمِ
الدِّينِ﴾ بالألف بمقتضى قواعد الرسم المحدث لفاتت قراءة
«مَلِكِ» بحذف الألف ولورسم لفظ «كلمت» فى قوله تعالى :
﴿وَمَتَّ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (١) بألف على قراءة الجمع
لفاتت قراءة الأفراد .

وقد رسمت ألفاظ بالتاء المفتوحة خلافاً لما عليه الرسم
الحديث .

ومن هذه الألفاظ لفظ «رحمت» فقد رسم بالتاء المفتوحة فى
مواضع معينة فى القرآن الكريم : كموضع سورة الأعراف فى قوله
تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) ، وقد تواترت
قراءة من وقف عليه بالتاء اتباعاً للرسم العثمانى .

فلورسم اللفظ بالتاء المربوطة حسب قواعد الإملاء الحديثة
فى جميع مواضعه فى القرآن الكريم لما ميزنا بين هذه المواضع التى
رسمت بالتاء المفتوحة ووقف عليها بعض القراء بالتاء ، وبين
المواضع التى رسمت بالتاء المربوطة واتفق القراء على الوقف عليها
بالهاء .

وقد رسمت الهمزة فى بعض الكلمات برسم مخالف لما عليه
الإملاء الحديث ومن هذه الكلمات كلمة «المَلُؤَأُ» فى مواضعها

(١) الأنعام ١١٥ .

(٢) الأعراف ٥٦ .

الثلاثة بسورة النمل^(١) وفي الموضع الأول في سورة «المؤمنون»^(٢) فرسمت الهمزة واوا في هذه الكلمة في المواضع المذكورة .
وقد تواترت قراءة حمزة وهشام بإبدال الهمزة واوا في حال الوقف عليها اتباعاً للرسم .

فلورسمت الهمزة في هذه الكلمة في المواضع السابقة بالألف حسب قواعد الإملاء الحديثة لما حصل التمييز بين هذه المواضع التي جاء الوقف عليها بالواو اتباعاً للرسم ، وبين بقية مواضع هذه الكلمة في القرآن الكريم التي لم يرد الوقف عليها بالواو لرسمها بالألف .

وقد رسم لفظ «الظُّنُونُ» ولفظ «الرَّسُولُ» ولفظ «السَّبِيلُ»^(٣) بالألف ، فلو حذفت هذه الألف على قواعد الإملاء الحديثة لضاعت قراءة إثبات الألف ، فإن من القراء من تواترت قراءته بإثبات الألف في هذه الألفاظ وصلاً ووقفاً اتباعاً للرسم ومناسبةً لفواصل هذه السورة (سورة الأحزاب) .

ومن القراء من تواترت قراءته أيضاً بإثبات الألف وقفاً للرسم وللمناسبة ، وبحذفها وصلاً على الأصل في هذه الألفاظ .
ومما تجدر الإشارة إليه أن لفظ «السبيل» في قوله تعالى :
﴿ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾^(٤) في السورة المذكورة محذوف الألف رسماً ، مع كونه رأس آية باتفاق فلماذا حذفت الألف رسماً في هذا

(١) ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٨ .

(٢) ٢٤ .

(٣) ١٠ ، ٦٦ ، ٦٧ .

(٤) ٤ .

الموضع وأثبتت في الموضع الأخير؟ في قوله تعالى: ﴿فَأَصْلُونَا
السَّبِيلَا﴾ إذن لا مجال للاجتهاد في هذه الأمور لأنها راجعة إلى
السمع والاتباع .

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تدل على أن الرسم العثماني
أحد الأركان الثلاثة التي عليها مدار القراءات، ومن ثم لا ينبغي
العدول عنه، بل يجب اتباعه حفاظاً على القراءات القرآنية التي
نزل الله بها الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ﷺ تخفيفاً عن
الأمّة وتسهيلاً عليها .

٢ - هذا، وهناك من ذهب إلى جواز كتابة المصحف
الشريف حسب القواعد الإملائية كابن خلدون محتجاً بأن كتابة
المصحف على الرسم العثماني قد توقع الناس في الحيرة والالتباس
ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة وبأنه لم يرد دليل شرعي يدل على
وجوب كتابة المصحف برسم معين

٣ - وهناك من ذهب إلى وجوب كتابة المصحف لعامة
الناس على القواعد الإملائية ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثماني،
وإنما يكتب بالرسم العثماني للخاصة من الناس وممن جنح إلى
ذلك الإمام الزركشي في البرهان وشيخ الإسلام العزبن عبد
السلام .

واستدل أصحاب هذا المذهب بأن كتابة المصحف على
قواعد الرسم العثماني توقع الناس في العسر والمشقة وتفضي بهم
إلى اللحن .

قالوا: ومع هذا يجب الاحتفاظ بالرسم العثماني، لأنه من
آثار سلفنا الصالح فلا نتغاضى عنه بالكلية مراعاة لجهل
الجاهلين، بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا يخلو زمان من
وجودهم .

وقد عرفنا مما تقدم عند الكلام على مذهب الجمهور الأدلة القاطعة بوجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف .
أما ما يتعلل به أصحاب المذهبين الأخيرين من أن كتابة المصاحف على الرسم العثماني توقع القارئ في حيرة وارتباك إلى آخر ما قالوه فمردود بأن المصاحف في هذا العصر قد ضبطت بالشكل التام ووضعت علامات مخصوصة تدل على الحروف المحذوفة التي ينطق بها وأمارات معينة تدل على الحروف الزائدة التي لا ينطق بها وألف الناس القراءة في هذه المصاحف، ومروا عليها من غير حرج ولا مشقة .
وبعد عرضنا لمذاهب العلماء في التزام الرسم العثماني نقول :

إن المذهب الذي تطمئن إليه النفس، وينشرح له الصدر، ويستجيب له الضمير هو المذهب الأول مذهب الجمهور القائلين بوجوب التزام الرسم العثماني لما يأتي :
أولاً : أن الأدلة التي ساقها أصحاب هذا المذهب ظاهرة بل قاطعة في الدلالة على وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف .

ثانياً : أن قواعد الاملاء الحديثة نوع من الاصطلاح في الخط وهذه القواعد عرضة للتغيير والتبديل في كل عصر وفي كل جيل فلو أخضعنا رسم القرآن لهذه القواعد لأصبح القرآن عرضة للتغيير والتبديل، وحيطتنا للكتاب العزيز، وتقديسنا له يوجب علينا أن نجعله بمنأى من هذه التغييرات في رسمه وكتابته .

ثالثاً : أن تغيير الرسم العثماني ربما يكون مدعاة - من قريب أو من بعيد - إلى التغيير في جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية

بتبديل بعض الحروف من بعض والزيادة فيها والنقص منها، ويخشى أن تختلف القراءة تبعاً لذلك ويقع فيها التخليط على مر الأيام والسنين، ويجد عدو الإسلام مدخلاً للطعن في القرآن بالاختلاف والاضطراب بين نسخه وهذا من جنس البلاء الذي أصيبت به الكتب الأولى حينما عبثت بها الأيدي والأفكار، وقد جاءت شريعة الإسلام بسد الذرائع والقضاء عليها، وسد الذرائع - مهما كانت بعيدة - أصل من الأصول التي تبنى عليها الأحكام .

وما كان موقف الأئمة من الرسم العثماني إلا بدافع من هذا الأصل العظيم مبالغة في المحافظة على كيان ألفاظ القرآن، وصيانتها من تطرق التحريف إليها والعبث بها، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

على أن للرسم العثماني فوائد كثيرة ومزايا عظيمة تكفل علماء الرسم ببيانها .

وبناء على ما تقدم يجب على كاتب المصحف وطابعه وناشره أن يتحرى كل منهم كتابته على مقتضى قواعد الرسم العثماني ولا يخل بشيء منها، ولا يغير فيها شيئاً ما بزيادة أو نقص أو إثبات، أو حذف حفظاً لهذا التراث الخالد، واقتداء بالصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وأعلام الإسلام في سائر الأعصار والأمصار لا فرق في ذلك بين المصاحف الكاملة، والأجزاء التي يقرأ فيها الصغار للتعلم، وكذا من في حكمهم من الكبار .

هذا وهناك أمور نحب أن نشير إليها في هذا الباب :

(١) الحجر ٩ .

أ — ربما يقول قائل : لو كان من الواجب أن نكتب المصاحف وفق رسم المصحف الذى كتبه عثمان رضى الله عنه لوجب أن نمحو النقط والشكل لأن المصحف العثمانى كان مجرداً من النقط والشكل .

ونقول : إن هناك فرقاً بين الأمرين ، فلا يقاس جواز كتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث على جواز نقطه وشكله .

١ — لأن فى كتابة المصاحف بالخط الإملائى الحديث هدماً لأساس بناء الرسم العثمانى ، وفى النقط والشكل حفاظاً على هذا البناء ودعمه له ، وصوناً لكتاب الله تعالى من وقوع اللحن فيه .

٢ — ولأن القارئ يمكنه تعلم الأمور المخالفة لقواعد الرسم الحديث - وهى قليلة - فمعظم الرسم العثمانى موافق للخط الحديث وليس فى إمكان أحد بعد ضعف اللسان العربى وكثرة اللحن بالاختلاط بالأعاجم أن يقرأ القرآن مجرداً من النقط والشكل .

٣ — أما ما ذكره البعض من أن عثمان رضى الله عنه أرسل مصاحف متعددة إلى الأمصار وتختلف كتابة بعض الكلمات فى بعض هذه المصاحف عن بعضها الآخر فأياها هو الذى يجب علينا اتباع رسمه وتحرم مخالفته؟ فنجيب عنه بقولنا : صحيح أن عثمان رضى الله عنه كتب مصاحف متعددة متفاوتة فى الحذف والإثبات وغيرهما ، لأنه قصد بذلك اشتغالها على الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم وجعلها خالية من النقط والشكل تحقيقاً لهذا الغرض أيضاً .

فالكلمات التي اشتملت على أكثر من قراءة وتجريدها من
النقط والشكل يجعلها محتملة لما اشتملت عليه من قراءات كتبوها
برسم واحد في جميع المصاحف وذلك نحو «فتبينوا» في النساء (١)
والحجرات (٢)، ونحو «هيت لك» بيوسف .

أما الكلمات التي جاءت على أكثر من قراءة وتجريدها من
النقط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من قراءات فلم تكتب
برسم واحد في جميع المصاحف وإنما كتبت في بعض المصاحف
برسم يدل على قراءة، وفي بعضها برسم آخر يدل على القراءة
الأخرى نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَوْصَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنِهِ ﴾ في
البقرة (٣) .

فقد رسم لفظ «وأوصى» في بعض المصاحف بوأوين قبل
الصاد من غير ألف بينهما هكذا «وَوَصَّىٰ» وفي بعضها بإثبات
الألف بين الواوين هكذا: «وأوصى» ونحو ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴾ في الحديد (٤) كتب في بعض المصاحف بإثبات ضمير
الفصل (هو) وفي بعضها بحذفه .

ولأجل هذه الكلمات التي وردت على أكثر من قراءة
وتجريدها من النقط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من
القراءات - كان تعدد المصاحف .

فلا يمكن أن يكتب هذا النوع من الكلمات برسمين معاً في
مصحف واحد خشية أن يتوهم أن اللفظ نزل مكرراً في قراءة واحدة

(١) الآية : ٩٤ .

(٢) الآية : ٦ .

(٣) الآية : ١٣٢ .

(٤) الآية : ٢٤ .

وليس كذلك ، بل هما قراءتان : نزل اللفظ في إحداهما بوجه ، وفي الثانية بوجه آخر من غير تكرار في واحد منهما .

فيرسم ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (١) بإثبات الواو قبل السين إذا كان يكتب المصحف على رواية حفص مثلاً ، ويرسم ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ على رواية حفص أيضاً بحذف الألف ، لأن رسمه كذلك يوافق رواية حفص احتمالاً فيمتنع رسم الكلمات بما لا يوافق الرواية لا صراحة ولا احتمالاً .

فلنحافظ على هذا التراث الخالد رسم المصحف الشريف .

ولنعلم أولادنا كيفية قراءة المصحف بهذا الرسم العثماني ليتمرنوا على قواعده منذ طفولتهم ونعومة أظفارهم .
هذا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

(١) آل عمران ١٣٣

أهم المراجع

- البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشى ط الحلبي بمصر .
المحكم في نقط المصاحف للإمام أبي عمرو الداني دمشق ١٣٧٩ هـ .
١٩٦٠ م .
المقنع في رسم مصاحف الأمصار للإمام أبي عمرو الداني مكتبة الكليات
الأزهرية .
تاريخ المصحف الشريف لفضيلة أستاذنا الشيخ عبد الفتاح القاضي مكتبة
ومطبعة المشهد الحسيني القاهرة .
دليل الحيران شرح مورد الظمان في الرسم للشيخ المارغني التونسي دار القرآن
القاهرة .
سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين . للشيخ علي محمد الضباع ط
عبد الحميد حنفي القاهرة .
مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني دار إحياء التراث العربي
بيروت .

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ
يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْم ① ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ
هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَٰئِكَ
عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ⑥ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑦ وَمِنَ النَّاسِ مَن
 يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ
 بِمُؤْمِنِينَ ⑧ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا
 يَشْعُرُونَ ⑨ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ
 اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
 يَكْذِبُونَ ⑩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑪
 إِلَّا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن
 لَا يَشْعُرُونَ ⑫ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ءَامِنُوا

كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْوْمُنُ كَمَا
 ءَامَنَ السُّفَهَاءُ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ
 وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذْ الْقَوَّالُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى
 شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
 نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
 وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
 فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا
 مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ
 نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ
 بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ

لَا يَبْصُرُونَ ۝١٧ صُمُّ بِيكُمُ عُمَىٰ
فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ
السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ
يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِذَا ذُنُوبُهُمْ مِّنَ
السَّمَاءِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ
بِالْكَافِرِينَ ۝١٩ يَكَادُ الْبَرْقُ
يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ
لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ
اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

كَلَّمَارِزْقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا
قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا
بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٥﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ
فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ
أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ
بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا
يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ الَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
 وَكُنْتُمْ أُمَّوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّنُكُمْ
 ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾
 هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ
 سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾
 وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ
 فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ
 يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ
 نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
 قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

القِسْمُ الرَّابِعُ

كُلِّيَّةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَاللَّهْرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

نُبذة عن تاريخها وبيان مناهجها ومنجزاتها

صدرت الموافقة السامية على إنشاء الكلية من جلاله الملك
فيصل تغمده الله برحمته، وذلك بالكتاب رقم (٢٦٥١١) وتاريخ
١٣٩٤/٩/٦ هـ .

وبدأت الدراسة فيها يوم الاثنين السادس من شوال عام
١٣٩٤ هـ حيث باشر واحد وعشرون طالباً الدراسة بالسنة
الأولى .

وتعتبر الكلية الأولى من نوعها، والهدف من إنشائها هو
بعث النشاط في مجال العلوم والدراسات القرآنية بتوفير
المتخصصين بها على مستوى الدراسة الجامعية، وخاصة مجال
القراءات وعلومها .

وقد خرجت الكلية حتى الآن ستة أفواج من حملة كتاب
الله، يحفظونه عن ظهر قلب بالقراءات العشرة المتواترة، متزودين
بما تيسر لهم تلقيه من علومه وفنونه، إضافة إلى العلوم الإسلامية
ومواد اللغة العربية وغير ذلك من العلوم الضرورية .

تتكون الكلية من قسمين: قسم القراءات، وقسم
التفسير . . وذلك على نظام الأقسام لعلمية غير التخصصية، إذ
أن منهج الكلية واحد أدمج فيه الاختصاصان .

ولكل قسم رئيس ومجلس يتكون من عدد من أعضاء هيئة
التدريس بالكلية .

وللكلية مجلس يرأسه عميد الكلية ويتولى أمانته وكيل
الكلية .

وللكلية جهاز إدارى يتكون من :

١ - عميد الكلية : من أعضاء هيئة التدريس ويعين بقرار من مجلس الجامعة الأعلى لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة .

٢ - وكيل الكلية : من أعضاء هيئة التدريس ويعين بقرار من رئيس الجامعة لمدة سنتين قابلة للتجديد مرة واحدة .

٣ - مسجل الكلية .

٤ - مأمور الصرف .

٥ - أمين المكتبة .

٦ - المراقبون .

٧ - كاتب .

٨ - فنى أجهزة تسجيل .

٩ - معقب معاملات .

١٠ - مستخدم، وعاملان .

أعضاء هيئة التدريس والمحاضرون والمعيدون بالكلية عام

: ١٤٠٢/١٤٠١

(قسم القراءات)

١ - أستاذ ١ - محاضر ٤ - معيدون .

(قسم التفسير) :

١ - أستاذ مشارك ٦ - أساتذة مساعدون ١٢ -

محاضراً ٣ - معيدون .

منهج الكلية

أخذ في الاعتبار عند وضع المنهج الحالي للكلية أن يتضمن

ما يأتي :

أ — الاختصاص الرئيسي للكلية وهو العلوم القرآنية وتشمل مجالين : القراءات وعلومها، التفسير وعلومه .

ب — المواد المساعدة (المتعلقة بالعلوم الإسلامية الضرورية لكل دارس) .

ج — مواد الثقافة الإسلامية .

وفيما يلي جدول بهذا المنهج . .

مع التنويه بأن هذا المنهج يخضع الآن لدراسة دقيقة بهدف تطويره بعد الاستفادة من التجربة السابقة في تطبيقه .

بيان بالمواد والكتب المقررة بالكلية وعدد الساعات المخصصة لكل مادة

م	المادة	الكتاب المقرر	عدد الساعات المقررة في الأسبوع			
			السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
١	دراسة القراءات العشر	متن الشاطبية حفظا سراج القارى شرحا متن الدرّة للجزرى حفظا شرح السمندى شرحا	٢	٢	٢	٢
٢	عرض القرآن الكريم بالقراءات العشر	غيث النفع للصفاقسى تحرير التيسير للجزرى	٤	٤	٤	٤

«تابع» بيان بالمواد والكتب المقررة بالكلية وعدد الساعات المخصصة لكل مادة

م	المادة	الكتاب المقرر	عدد الساعات المقررة في الأسبوع			
			السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
٣	الرسم والضبط	متن مورد الظمان للخراز حفظا دليل الخيران شرحا	١	٢	—	—
٤	عد الآي	متن الفرائد الحسان للقاضي حفظا ونفائس البيان شرحا	١	—	—	—
٥	توجيه القراءات	تحاف فضلاء البشر للبناء	—	—	—	٢
٦	علوم القرآن	مناهل العرفان للزرقاني	٣	—	—	—
٧	مناهج المفسرين	التفسير والمفسرون للذهبي	١	—	—	—
٨	التفسير	فتح القدير للشوكاني	٤	٤	٤	٤
٩	أحاديث الأحكام	سبل السلام للصنعاني	٣	٣	٣	—
١٠	التوحيد	شرح الطحاوية لابن أبي العز	٣	٣	٣	—
١١	الأديان والفرق	—————	—	—	—	٢

م	المادة	الكتاب لمقرر	عدد الساعات المقررة في الأسبوع
		السنة الأولى	السنة الثانية
		السنة الثالثة	السنة الرابعة
١٢	شبهات مزعومة حول القرآن	—	—
١٣	إعجاز القرآن	الايضاح / للقرزويني دلائل الاعجاز/ للجرجاني أسرار البلاغة/ للجرجاني	—
١٤	النحو والصرف	شرح ابن عتيل على الألفية	٣
١٥	السيرة النبوية	السيرة النبوية لابن هشام	٢
١٦	التاريخ الاسلامي	—	٢
١٧	التربية الاسلامية وطرق التدريس	—	٢
١٨	مناهج البحث	—	٢
١٩	حاضر العالم الاسلامي	—	٢
٢٠	البحث بالسنة الرابعة	—	—

شروط القبول بالكلية

- ١ — أن يكون الطالب مسلماً حسن الخلق خاضعاً لجميع الأحكام الشرعية .
- ٢ — أن يتعهد بالتزام مبادئ الجامعة الإسلامية ونظمها المستمدة من الدين الحنيف .
- ٣ — أن لا يزيد سن الطالب عن ٢٢ سنة .
- ٤ — أن يكون حاصلاً على الشهادة الثانوية العامة من المملكة العربية السعودية أو ما يعادلها .
- ٥ — أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله مجوداً له .

المستندات الواجب تقديمها عند طلب الالتحاق

- ١ — الشهادة الدراسية الأخيرة التي حصل عليها الطالب مصدقاً عليها من السفارة السعودية .
- ٢ — بيان بالدرجات والتقدير التي حصل عليها الطالب في السنة الأخيرة من دراسته مصدقاً عليه من الجهة المختصة بإصداره .
- ٣ — شهادة بحسن السيرة والسلوك صادرة من جهة معتمدة .
- ٤ — شهادة الميلاد موثقة من جهة معتمدة .
- ٥ — تقرير طبي بسلامة بصره وأعضائه وخلوه من الأمراض السارية مصدقاً عليه من جهة معتمدة .

- ٦ - ثلاث صور شمسية (مقاس ٦×٤) .
- ٧ - تعريف بالطالب من إحدى المؤسسات الإسلامية
في البلد الذي يقيم فيه أو من شخصيتين إسلاميتين معروفتين لدى
الجامعة .

من مشروعات الكلية

تعترم الكلية بإذن الله تعالى إنجاز مشروعات عظيمين وافقت الجامعة على تبني الكلية لهما :

١ — تسجيل مصحف بالقراءات العشر المتواترة، وهذا المشروع قيد الدراسة الآن والتجارب قبل البدء به، ومن ضمن التجارب التي أجريت تمهيدا له، تسجيل سورة البقرة في مائة ساعة تقريبا بالقراءات السبع مع بعض الشرح والتوجيه . وأذيعت من إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية تحت عنوان (دروس من القرآن الكريم) .

٢ — كتابة مصحف بإشراف قسم القراءات بالكلية، تتولى الجامعة طبعه ونشره وتوزيعه . وقد بدىء بكتابة سورة الفاتحة وثلاثين آية من أول سورة البقرة، وفي هذا العدد من المجلة بحث مفرد لذلك .

٣ — نشر بعض المراجع والمخطوطات في مجال القراءات وعلومها، لقلّة ما نشر في ذلك .

وقيد التحقيق الآن الكتب الآتية :

— التيسير لأبي عمرو الداني مع التحبير للجزري .

— شرح الدرّة لابن عبد الجواد .

— شرح الطيبة للنويري .

— إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبنا .

— البيان في عدّ آي القرآن للداني .

(غلاف المجلة)

صفحة من مصحف مخطوط عشر عليه باليمن كتب بخط
كوفي قديم بغير نقط ، ويتجلى فيه (نقط الإعراب) الذى وضعه
أبو الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ ، وجعل فيه الحركات دوائر
حمراء فى آخر الكلمة ، دائرة فوق الحرف إذا كان مفتوحاً وتحتة إذا
كان مكسوراً وبجانبه إذا كان مضموماً ، والتنوين دائرتان .
ونص المكتوب من سورة النحل الآيات من ٧٦ إلى ٨٠ ،

وهى كما يأتى :

طِ مستقيمٌ وللهِ غيبُ السموتِ و

الأرضِ وما أمرُ الساعةِ إ

لا كلمحِ البصرِ أو هو أقربُ

إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بطونِ أمهتِكُمْ لا
تعلمو

نَ شيئاً وجعلَ لكم السمعَ والأبصا

رَ والأفئدةَ لعلكم تشكرونَ أ

لم يروا إلى الطيرِ مسخراتِ

فى جو السماءِ ما يمسكهنَ إلا إ

للهِ إَنَّ فى ذلكَ لآيتٍ لقومٍ يو

منونَ واللهِ جعلَ لكم من بيوتكم

سكناتٍ وجعلَ لكم من جلود الأنعا

مَ بِيوتاً تستخفونها يومَ ظعنكم ويومَ
مَ إقامتكم ومن أصوافها وأوبرها
وأشعرها أثاثاً ومتعاً إلى حينٍ . و

ملاحظات

- ١ - لفظ «مسخرات» في الآيات السابقة رسم بإثبات ألف بعد الراء، مع أن هذه الألف محذوفة اتفاقاً .
- ٢ - لفظ «وأبارها» رسم بحذف الألف التي بعد الباء ولفظ «وأشعارها» رسم أيضاً بحذف الألف التي بعد العين وقد جاء هذا الحذف في اللفظين السابقين على قول لبعض العلماء (١) خلافاً لما اتفق عليه الشيخان أبو عمرو والداني وأبوداود سليمان بن نجاح . وقد جرى العمل على إثبات الألف في هذين اللفظين .
- ٣ - لفظ «إقامتكم» رسم بحذف الألف التي بعد القاف مع اتفاق علماء الرسم على إثباتها .

(١) انظر سميير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين للشيخ على الضباع ص ٦٨، ٧١ .

مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة